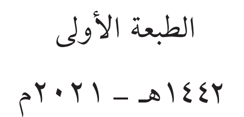

بسم الله الرحمن الرحیم

طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة





الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء الثامن.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.





قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء الثامن



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٤١

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).

موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: 978-9922-655-11-6
BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

٧- محور الدراسات اللغوية والأدبية

- قراءات دلالية ولسانية في خطبة الغدير.
- خطبة الغدير في ضوء المناهج اللغوية والنقدية الحديثة.
- الغدير والغديريات في الأدب العربي.
- الغدير في الأدب العالمي.

اللّغة الشعرية في غديريات الشعر العربي

م. م. زهراء سالم جبار

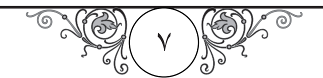
المقدمة

-((إنَّ الحمـدَ لله نحمـدُه ونسـتعينُه ونسـتغفرُه ونتـوبُ إليـه، ونعـوذ بـالله مـن شرور أنفسـنا ومـن سـيئات أعمالنـا، مَـن يَهـده الله فـلا مضـل لـه، ومَـن يُضلـل فـلا هـادي لـه، وأشـهد أنْ لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه، وأشـهد أنَّ محمـدًا عبـده ورسـوله، صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وأصحابـه، ومَـن تَبِعَهـم بإحسـانٍ إلى يـوم الديـن.

أمّا بعد:

فقـد آثـر الإسـلام في الفكـر، وارسـى دعائم الحيـاة الجديـدة بقيمته السـامية، ومثلـه الرفيـع، فأثّـر ذلـك في حركـة الشـعر، فـولادة الواقـع الجديـد الـذي يختلـف عـن واقـع مجتمـع عـصر مـا قبـل الإسـلام ادت الى احـداث تأثـير كبـير في الشـعر والشـعراء؛اذ جعلـت الشـعراء المسـلمين يسـتظلون بالفكـر الإسـلامي وهـو ينسـجون نصوصهـم الابداعيـة فيواشـجون بـين الفـن والفكـر في ضـوء معطيـات الواقـع الجديـد. -))

فـأن القضيـة التـي عرفـت في تاريـخ الإسـلام ب (قضيـة الغديـر) تعتـبر مـن أهـم القضايـا الإسـلامية، واشـدها خطـورة وحساسـية وذلـك لأنهـا تمثـل



المحور والأساس الذي يتم على اساسه تحديد الاتجاه العام للإنسان المسلم، ويرتسم خط مسيره إلى مصيره، من الناحية العقائدية، أو الفكرية، أو في نطاق التشريع، أو في مجال الارتباط الشعوري والعاطفي فأخذوا ينسجون الشعر في هذه الواقعة.

-((اذ واكب الشعر العربي حركة الإسلام منذ البدايات الأولى فكان المرآة التي انعكست فيها أفكار الشريعة المحمدية وأهدافها وما لبث أن أصبح المنبر الإسلامي الأكثر تأثيراً عندما احتدم الصراع بين الإسلام والوثنية وأصبح سلاحاً فعالاً بعد انفجار الصراع المسلح بين مكة والمدينة المنورة. -))

وبدأ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) تأكيداته على الشعر والشعراء وشجع حسان بن ثابت على التصدي للشعر الوثني فنال حسان لقب شاعر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم).

فالشعر في الحقيقة يجسد الملامح العامة لضمير الأمة، كما أنه البارومتر الذي يشير الى الجو الثقافي والاجتماعي والظروف العامة التي يعيشها بلد ما او مجتمع ما على مسار التاريخ. -))

التمهيد (الشعر والقضية)

-((بين الشعر العربي وقضايا المجتمع ملازمة مشهودة على مر العصور، فلم يكن منفصلا عن حياة الناس وقضاياهم، ومواقفهم ومشكلاتهم الاجتماعية، وهذه الملازمة تفرض على الشاعر ان يعالج قضايا مجتمعه

موضوعيا وفنيا، بحيث تتوفر تلك المعالجة الشعرية، على جعل الكلام عدة لما يراد منه استثارة الافعال الجمهورية، او كفكفتها بالأقناعات والتخاييل المستعملة فيه[1]، وذلك لان الشعر ((اذ يعكس صورة المجتمع، يحاول ان يغير من هذا المجتمع، ويؤثر فيه سلبا او ايجابا؛ لان الفن ليس شيئيا منفعلا فقط، وانما هو فاعل أيضاً، انه يتأثر ويؤثر[2]. وبذلك لا تقصر مهمة الشعر على تحقيق التأثير الانفعالي الذي يحقق اللذة والامتاع فحسب، وانما تتعدى ذلك الى تحقيق المنفعة بالتأثير في سلوك المتلقي وأفعاله[3]، وهذا لا يتأتى للشاعر الا اذا كان شعره يعالج شيئاً من حياة الجماعة، والا ضعف استجابة المتلقين[4]، ولكن الحديث عن العلاقة بين الشعر والحياة شيء لم يعتنِ به النقد القديم بشكل ملحوظ، فقد سيطر المعيارين التقليديّن الجمالي والأخلاقي- متلازمين او متبادلين – على ميدان الفن منذ عصوره الأولى، فالأول يبحث في المتعة الفنية التي نحصل عليها من العمل الفني، بينما يبحث الثاني في مغزى العمل الفني من وجهة نظر العرف والتقاليد، واذا تجاوز النقاد القدامى القيم الجملية الى القيم المعنوية، كان موقفهم من المعاني تجسيدا لموقفهم الجمالي، فهم يحاسبون الشاعر على صحة المعنى في نفسه، أو خطئه، أو على ما فيه من ابتكار، او ما فيه من اقتفاء لمعنى سابق، او تأثر به، من دون محاولة ربط التجربة

(١) منهاج البلغاء وسراج الادباء:٤١.

(٢) مقدمة في النقد الادبي:١٦.

(٣) ينظر:نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد:١٢٥.

(٤) ينظر:مفهوم الشعر:٢٧٤.

الشعرية بالتجربة الشعرية الواقعية للحياة والمجتمع ثم يوزنون المعنى أخيراً في حدود العرف والتقاليد[١]، بيد أن ذلك لا يعني عند انفراط الشعر والشاعر من مسيرة الحياة وقضايا المجتمع فيها، فالشعر عند كل أمة ((صورة منتزعة من واقعها، وأحداثها، تستلهمه تجاربها، وصراعها مع ذلك الواقع، وتلك الأحداث تعبيرا عن مأساتها وتمثيلا لكينونتها في عالم يعج بالحركة ويتغبط بجوهر الحياة))[٢]، -))والشاعر ابن بيئته، ولا بد ان تجد احداث هذه البيئة وقضاياها ووقائعها طريقها الى منجزه الشعري. ونظرة الشاعر الى الحياة تفترض الاندماج فيها، وتفهم أبعادها أولاً، ومن ثمّ يكون الموقف الذي يتخذه الشاعر من الحياة، وقضايا المجتمع ليس الا نتيجة لتجربته الخاصة ومعاناته ومعرفته وثقافته، وطبيعة المنهج الذي يسير عليه والافكار والمعتقدات التي يؤمن بها، وفلسفتها للحياة والمجتمع.[٣]، ومتتبع مسيرة الشعر العربي يجده شديد الارتباط بقضايا المجتمع، ومواقف الناس منها، بل ان التزام الشاعر بقضية معينة وموقف محدد والتحدّث عن معلقة زهير بن ابي سلمى عن قضية الحرب والسلام بوصفها قضية كبرى لأبناء قبلتي عبس وذبيان في عصر ما قبل الإسلام، وقد التزم زهير التعبير عنها، فكانت معلقته مصداقا جليا للدور الإنساني والاجتماعي الذي يؤديه الشاعر في التعبير

(١) ينظر: البنيات الدالة في شعر أمل دنقل: ٢٤١، والشعر في اطار العصر الثوري: ٩.

(٢) الشعر والفكر المعاصر: ٥.

(٣) ينظر: الشعر في اطار العصر الثوري: ١١.

عـن قضايـا المجتمـع.[١]

-((واذا مـا وصلنـا الى عـصر صـدر الإسـلام وجدنـا ان الشـعر ينهـض بمسـؤولية حمـل الرسـالة الإسـلامية، والدفـاع عنهـا، فقـد واكـب الشـعر العـربي الإسـلام منذ بـزوغ فجـره، فـكان لسـانا معـبراً عـن أفـكاره الشـعرية، وأهدافهـا، وسـلاحا فعّـالاً للـذود عـن حيـاض الإسـلام ومنـبرا اعلاميـا يسـجل حوادثـه وأيامـه، فقـد أعتـبر الرسـول الشـعر سـلاحا في المعركـة، وحـث شـعراء المسـلمين عـلى مهاجمـة خصومـه بالقصيـدة الشـعرية، وعاقـب عقابـا صارمـا شـعراء الخصـوم الذيـن تقوّلـوا عليـه، وأسـاءوا اليـه، فيـما نظمـوه مـن شـعر في الهجـاء[٢]، ممـا يؤكـد ان الشـعر العـربي لم يكـن بمعـزل عـن قضايـا المجتمـع الإسـلامي، ومـا يجـري فيـه مـن وقائـع وأحـداث، ومـا تسـتلزمه مـن مواقـف.

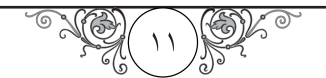
وتـأتي الغديـر في هـذا السـياق، عـن طريـق التـزام طائفـة كبـيرة مـن الشـعراء بهـا، وهـي واقعـة مشـهورة في تاريـخ المسـلمين، وتعـد مـن أهـم القضايـا الإسـلامية، وأشـدها خطـورة وحساسـية، » وذلـك لأنهـا تمثـل المحور والاسـاس الـذي يتـم عـلى أساسـه تحديـد الاتجـاه العـام للإنسـان المسـلم، ويرتسـم خـط مسـيره الى مصـيره، ان مـن الناحيـة العقائديـة والفكريـة، او في نطـاق التشريـع او في مجـال الارتبـاط الشـعوري والعاطفـي.[٣]

---

(١) ينظر: شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: ٤-٣٢..

(٢) مقالات في تأريخ النقد الادبي:٣٨.

(٣) الغدير والمعارضون:٧.



ان المتتبع للقضية الغديرية يجدها قضية تاريخية تأتي من ارتباط الحادثة والحديث بمسألة غاية في الاهمية والحساسية، وتتمثل في مسألة الامانة والولاية والقيادة والخلافة ومثلما كان (غدير خم) المفترق الذي تشبعت فيه طرق المسلمين؛ كانت واقعة (بيعة الغدير) المفترق الذي تشعبت فيه فرقهم تجاه هذه القضية المهمة. وقد نهض الشعر العربي بمهمة حمل هذه القضية والتزامها، والتعبير عنها، فنبعت النصوص الشعرية من معطيات الواقع الذي عقدت فيه بيعة الغدير وما شهده من مواقف ظن وما تبعه من احداث ومواقف. وبعد ان عرضنا الأصل الذي قامت عليه (الغديريات) فلا بدّد من ان نبين المقصود بها، ولا بّد من تحديدها، لان وضع المصطلح يحتاج الى ايضاح محدد لمجال استعماله، ومعناه، وقيمته، والا فسوف يتيه المتلقي عند التطبيق، ويفقد الاصطلاح جدواه، لان المعنى الاصطلاحي لا يكون على المعنى اللغوي؛ اذ يتصف بالخصوصية، لذلك يجب ان يقوم تحدد المصطلح على مقدمات صحيحة بحيث لا يفقد ذلك المصطلح قيمته وأثره في البحث العلمي.[1]-))

بدءا نقول: ان الشيخ الأميني (ت ١٣٩٠هـ) ذكر لفظة (غديرية) في مواضع متعددة من اجزاء موسوعته (الغديريات في الكتاب والسنة والأدب) قاصدا بها كل نص شعري ورد فيه ذكر الألفاظ الدالة على واقعة الغدير، بيد ان الشيخ رحمه الله لم يؤسس لهذا المصطلح، ولم يقم

(١) ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها:٣١٦، المصطلحالنقدي في نقد الشعر:١٠، ومناهج البحث في اللغة:٨، ٢٢.

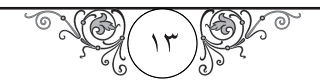
بتحديـده، وبيـان المقصـود منـه، لان ذلـك ليـس مـن وكـده في موسـوعته التـي يسـعى فيهـا الى ايـراد الادلـة لإثبـات ان واقعـة الغديـر تـدل عـلى ولايـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) وخلافتـه للرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) وامامتـه الأمـة، وقيادتـه لهـا، ومـن ثـمّ عـرض تلـك الادلـة في موسـوعته بعـد رصدهـا وتنقيبهـا مـن القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة المطهـرة والادب العـربي.

المبحث الأول (الألفاظ وأثرها في شعر الغديريات)

-((الألفـاظ هـي المصـدر الأسـاسي للشـعر، ومادتـه الأوليـة، ولهـا الأثـر البالـغ في صناعـة الشـعر[1]، فمـن خلالهـا يبنـي الشـاعر لغتـه؛ ليخلـق بعـد ذلـك عالمـه الفنـي المثال(النـص او القصيـدة)، شريطـة الانتظـام الـذي ينقلهـا مـن مـادة أوليّـة الى عـالم رحـب تتجـاوز فيهـا دلالتهـا المعجميـة الثابتـة؛ فتكـون بذلـك أداة فاعلـة، ووسـيلة ناهضـة تحـول الافـكار مـن خطـرات في الذهـن الى عـالم تـدرك حـدوده، وتعـرف معالمـه مـن خـلال دلالتهـا عـلى معانيهـا؛ لان ارتباطهـا بالمعـاني كارتبـاط الـروح بالجسـم، تضعـف لضعفهـا، وتقـوى لقوتهـا[2]، فتعـبر بذلـك عـن التجربـة الشـعرية؛اذ ان « الألفـاظ لا تتفاضـل مـن حيـث هـي ألفـاظ مجـردة، ولا مـن حيـث هـي كلـم مفـردة، وأن الألفـاظ تثبـت لهـا الفضيلـة مـن حيـث هـي ألفـاظ مجـردة، ولا مـن حيـث هـي كلـم مفـردة، وان الألفـاظ تثبـت لهـا الفضيلـة وخلافهـا في ملاءمـة معنـى اللفظـة لمعنـى التـي تليهـا او مـا أشـبه ذلـك ممـا لا تعلـق لـه بصريـح اللفـظ،

(١) ظ: البيان والتبين:١/ ٧٦، كتاب الصناعتين:٥٧-٥٨.

(٢) ظ: عيار الشعر:١٢١، العمدة:١/ ١٢٤، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن:٦٩.



وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك في موضع آخر.(١)

والذي يحدد دلالة اللفظة وأهميتها-على وفق هذا التصور- هو علاقتها بالسياق العام، وبذلك نقترب من توحيد اللفظ والمعنى في حيز الدلالة، فيكون التأليف الشعري نتيجة للائتلاف الحاصل بين اللفظ والمعنى، وبه يكون التمايز بين وآخر، بيد ان هذا ليس حكما عاما ينطبق على الألفاظ جميعا، وقد أشّر ذلك نقّاد العربية، وكانت قضية اللفظ والمعنى من قضايا النقد العربي القديم الكبرى، وكلّما كان اللفظ بعيدا عن الغرابة والابتذال سما بالعمل الأدبي الى الابداع(٢)، ويجب ان تكون الألفاظ سمحة، سهلة مخارج، الحروف، من مواضعها عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة(٣)، وعلى الشاعر ان يتوخى انتقاء الألفاظ المعبرة عن المعاني التي يقصدها، فللمعاني ألفاظ تشاكلها تحسن فيها وتقبح في غيرها(٤)، وذاك ما يجب الانتباه إليه واعتماده في اغراض الشعر، فألفاظ المديح يجب ان تكون جزلة مذهوبا بها مذهب الفخامة في المواضيع التي يصلح بها ذلك، وألفاظ النسيب يجب أن تكون مستعذبة، وألفاظ الرثاء شاجية، وهكذا

---

(١) دلائل الاعجاز: ٤٤.

(٢) ظ: سر الفصاحة: ٥٤-٨٢، الايضاح: ١/ ٧٢-٨٤.

(٣) ظ:: نقد الشعر: ٢٦.

(٤) ظ: عيار الشعر: ٨.

فلكل غرض اشتراطاته في ألفاظة ومعانيه[١]، -))وان تباينت ميول النقاد في تقديم الألفاظ على المعاني او العكس؛فالأمر مختلف عند الشعراء، فهم يحاولون الاجادة في اختيار الألفاظ لتؤدي وظيفتها في ابراز المعاني سواء اراقت للنقاد ام لم ترق لهم[٢]. لذلك نجد ان عناية الشعراء بالألفاظ لا تقل قدرا عن عنايتهم بابتكار الجديد من المعاني والافكار[٣]، فهي تختزن -((طاقات وجدانية خيالية تتفتح على فسح ايحائية زاخرة بالمحمولات الانفعالية والشعورية معتمدة على قدرة الشاعر في ايداع انساق تعبيرية متضافرة تسعى الى خدمة البناء الفني للنص الشعري[٤]، وذلك من خلال تجاوزه المعاني المحددة المتعارفة للفظة الى معانٍ أخرى مستثمراً امكانيتها المعنوية ودورها في السياق؛ اذ ان للكلمة معنى أصلي، وآخر سياقي[٥]، والشاعر يسعى الى تثوير اللغة في الشعر، لان الشعر هو «فن اللغة»[٦]، ولما كانت لهذه اللغة «في كل عصر دلالة على حياته العقلية والاجتماعية»[٧]، و لا يمكن تصورها خارج المجتمع وثقافته، وما يمر به من تطور وما

---

(١) ينظر:منهاج البلغاء وسراج الادباء:٣٥٢-٣٥٣.

(٢) ينظر الاتجاهات الفلسفية في النقد الادبي:١٣٧.

(٣) ينظر: الحكمة في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري:٣٥٦.

(٤) ينظر: قصيدة المديح في الشعر العراقي الحديث-مرحلة الاحياء:٨٨.

(٥) ينظر: الشعر والتجربة:٢١-٢٢.

(٦) نظرية البنائية في النقد الأدبي:٣٤٧.

(٧) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري:٥٨٣.

يحدث فيه من تغيرات في نظمه الاجتماعية والفكرية والسياسية[1]،؛فأنّه لا بدَّ من وجود ألفاظ تشكّل معجما لغويا عند الشعراء الذين يجمعهم همّ واحد أو قضية واحدة، مما يحملنا على القول انهم يشتركون بلغة واحدة تقريبا يمكن تمييزها من غيرها من النصوص الشعرية التي لم تأخذ من تلك القضية موضوعا لها، بل حتى من نصوص شعراء تلك القضية التي انجزوها في غرض آخر، والغديريات يجمع شعراءها قضية واحدة دينية فكرية-اختلف المسلمون في تأويلها- من هنا كانت ألفاظ العقيدة في الغديريات السمة المميزة من غيرها من الألفاظ -مثلما سنرى- وهي تنم عن مدى التزام الشعراء بقضيتهم، وتعاملهم معها شعريا دفاعا عنها، وتمسكا بها، ونشراً لها بين الثقلين على مرّ العصور.

لقد أثر القرآن والحديث النبوي الشريف في مفردات الشعر العربي وتراكيبه واغراضه تأثيرا كبيرا[2]، اذ أنّ الشاعر أخذ يقتبس من القرآن والحديث ما يشعر أنه يؤيد الغاية التي يذهب اليها، والغرض الذي جاء نصه فيه؛ مما يكسب نصّه الشعري مزيّة على غيره من النصوص، ويتضح هذا في النصوص الشعرية التي تتخذ من قضايا العقيدة الدينية والفكرية موضوعا لها، وتتصدى لإثباتها، ومن تلك النصوص:الغديريات؛اذ حضرت ألفاظ العقيدة فيها بشكل لافت للنظر، حتى أصبحت ظاهرة لا يخلو منها النص الغديري، وقد وظفها الشعراء لغاية عقائدية فكرية

---

(١) ينظر:الشعراء الكتاب في العراق:٢١٣.

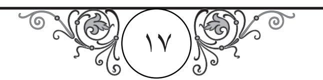
(٢) ينظر: أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري:١٧.

سـامية تتمثـل في اثبـات وجـود بيعـة الغديـر، وأنهـا في الإمـام عـلي (عليـه السـلام)، وهـي تـدل عـلى صحّـة خلافتـه النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) وولايتـه، وهـذا الحضـور الواسـع لتلـك الألفاظ؛انـما هـو سـبب كونهـا تمثـل القاعـدة او القانـون الـذي يتكـئ عليـه المحـور الـدلالي للنـص الـذي يعـبر عـن تلـك الغايـة المشـار اليهـا، لذلـك ظهـرت هـذه الألفـاظ بشـكل بـين الانتـماء الفكـري والعقائـدي للشـعراء، وبـين موقفهـم مـن قضيـة بيعـة الغديـر، وأكثـر تلـك الألفـاظ دورانـا الولايـة -بتصريفاتهـا المتعـددة--)) يقـول حسّـان بـن ثابت:(الطويـل)

يـنـاديهـم يــوم الـغـديـر نـبـيّـهـم	بـخـم وأسـمـع بـالـرسـول مـنـاديـاً
وقـال فـمـن مـولاكـم ووليـكـم؟	فـقـالـوا ولم يـبـدو هـنـاك الـتـعـاديـاً
الهـك مـولانـا وانـت ولـيـنـا	ولـن تجـدنّ منا لـك الـيـوم عاصيـاً
فـقـال لـه قـم يـا عـليّ فـانـنـي	رضيتك مـن بعدي امامـاً وهـاديـاً
فـمـن كـنـت مـولاه فـهـذا ولـيّـه	فكونـوا لـه أنـصـار صـدق مـواليـاً
هـنـاك دعـا الـلـهـم والي ولـيـه	وكـن للذي عـادى علياً معاديا[(١)]

-((وهنـا نلحـظ ان الشـاعر حـرص في مقطوعتـه عـلى توظيـف الشـعر في نـشر حديـث الغديـر، فقـام باسـتقصاء ألفـاظ ذلـك الحديـث- وبخاصّـة التـي تـدل منهـا عـلى الولايـة- بـما يثـري لغـة النـص الشـعري، ويعـبر عـن مـراد الشـاعر، ثـمَّ وزَّع تلـك الألفـاظ عـلى أبيـات نصـه؛ لتسـتوعب حديـث النبـي الأكـرم (صـلى الله عليـه وآله)وتعـبر عـن الحادثـة بلغـة الشـعر. وقـد

(١) موسوعة الغدير:٢/ ٦٥.



أجاز النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك لحسان بن ثابت حينما سأله حسان أن يأذن له في ذلك، «فقام حسان، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش اتبعها [أي بيعة الغدير] قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية»[1]، ثمَّ أنشد الأبيات، ولما كان هم الشاعر ابراز ولاية الإمام علي (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ أخذ يركز على الألفاظ الدالة على ذلك، ويكررها فالألفاظ (مولاكم، - مولانا- الولاية-مولاه- وليه- مواليا- وال وليه) تتحدث عن الولاية، وقد استمد الشاعر ذلك كله من حديث الغدير الذي قام بتوزيع مضامينه الى مفاصل نصه الشعري، وللشاعر السلطة في التصرف بالألفاظ، وتوظيفها بحسب مقدرته لتستوعب أفكاره وعواطفه[2]، وله الحق في تلوين تلك الألفاظ لكي يكسبها القدرة على التعبير والتأثير[3]. -))

يقول السيّد الحميري: (البسيط)

نفسي فداء رسول الله يوم أتى	جبريل يأمر بالتبليغ إعلانا
إن لم تبلغ فما بلغت فانتصب	النبي ممتثلا أمرا لمن دانا
وقال للناس: من مولاكم قبلا	يوم الغدير؟ فقالوا: أنت مولانا
هذا وليكم بعدي أمرت به	حتما فكونوا له حزبا وأعوانا[4]

(١)--المصدر نفسه: ١/ ٣٦.

(٢) ينظر: الاسس الجمالية في النقد الأدبي: ٣٤٠.

(٣) ينظر: فصول في الشعر: ١٣٠.

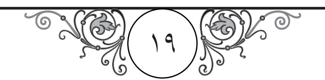
(٤) ديوان السيد الحميري: ١٩٨-١٩٩.

-((وهنا نلحظ أنَّ الشاعر يبين أن الولاية هي تنصيب الهي، بلَّغها الرسول (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى مشيرا الى قوله عزوجل في آية التبليغ:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[1]

والشاعر يحاول الالمام بتفاصيل بيعة الغدير، لذلك جاءت الألفاظ معبرة عن تلك التفاصيل، ولما كان هم الشاعر أثبات وجود البيعة، وكونها في ولاية الإمام علي (عليه السلام) نجد أنَّ ألفاظه سهلة وواضحة، لا غرابة فيها ولا وحشية، ذلك لان الشاعر يريد نشر هذه القضية، فلا بد من ان تكون ألفاظه بهذه السمات، وهو يلتزم بقضية بيعة الغدير، وفكرتها لذلك فهو يعبر عن ايمانه بهذه القضية، لا طمعا في عطاء، و لا خوفا من سلاطين الدنيا، أنما القضية دفاع عن أحقيَّة الإمام في الولاية التي آمن بها الشاعر، فالطمع أخروي -اذا جاز لنا التعبير-والخوف كذلك أخروي، لذلك تجد أكثر شعراء الغديريات لا يتركون الفرصة من دون-))أن يعبروا عن مولاتهم للإمام علي (عليه السلام)، أو يبثوا حزنهم عليه وعلى آل بيته، وسخطهم على خصومهم، ويحتجوا عليهم بأحقيّة الإمام في الخلافة او الولاية، يقول عبد المحسن الصوري:(الوافر)

ولائك خير ما تحت الضمير	وأنفس ما تمكن في الصدور
وها أنا بت أحسس منه نارا	أمت بحرها نار السعير
أبا حسن تبين غدر قوم	لعهد الله من عهد (الغدير)

(١) سورة المائدة:٧٦.



وقد قام النبي بهم خطيبا فدل المؤمنين على الأمير
أشار إليه فيه بكل معنى بنوه على مخالفة المشير
فكم من حاضر فيهم بقلب يخالفه على ذاك الحضور
طوى يوم (الغدير) لهم حقودا أنال بنشرها يوم (الغدير) [1].

-((نلحظ ان الشاعر ابتدأ قصيدته بالقضية المحورية (الولاية)، لذلك جاءت ألفاظه لخدمة هذه القضية، فالألفاظ (ولاؤك-عهد الله-عهد الغدير-الامير-المشير -يوم الغدير) كله تدل لالتزام الشاعر بهذه القضية التي تهم حياة الفرد والجماعة؛ لكونها قضية جوهرية في الفكر الإسلامي -وان اختلف المسلمون في تأويلها- فهي قضية تمس حياة الناس، وقد التزمها شعراء الغديريات بوصفها قضية دينية فكرية ذات اتصال وثيق بالحياة الاجتماعية، وهذا التركيز على ألفاظ الولاية والخلافة ناظر في جانب من جوانبه الى هذه المسألة؛لانَّ القضية قضية أمة، ومن تلك الألفاظ (الوصيَّة)-))، يقول السيد الحميري: (الطويل)

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فإني كمن يشري الضلالة بالهدى تنصر من بعد الهدي أو تهودا. [2]

-((والشاعر هنا استعمل لفظة (الوصية) وعرّفها بكونها وصية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) (وصاة محمد)، وتحدّث عن نفسه، وجعل

(١) ديوان الصوري:١/ ١٨٦-١٨٧.

(٢) ديوان الحميري: ٧٣-٧٤، ينظر: ديوان ابي تمام:٣٥٤، ديوان مهيار الدليمي: ٢/ ٥١٤، موسوعة الغدير:٢/ ٤١١.

القضيـة مشروطـة (اذا أنـا) ليعـبر عـن رسـوخ القيـم والمفاهيـم الإسـلامية التـي يؤمـن بهـا، وجعـل مـن نفسـه جـزءا اراد بـه الـكل، وهـو (الأمـة)، لذلـك نجـده يتحـدث عـن الضلالـة التي يمثلهـا عـدم الالتـزام بوصيـة النبـي (صلى الله عليه والـه وسـلم)، وشـأن مـن يفعـل ذلـك عنـد الشـاعر هـو شـأن مـن يرتـد عـن ملّـة الإسـلام، فتنـصرَّ، او تهـوَّد، والهـدى انّـما يتمثّـل بالالتـزام بتلـك الوصيـة التـي تعنـي الالتـزام بالديـن الإسـلامي وسـلوك طريـق الحـق.

لقـد أشـار شـعراء الغديريـات الى ان هـذه الوصيـة واجبـة، بمعنـى ان الأمـة ملزمـة باتباعهـا وتنفيذهـا، لذلـك نجدهـم يعـبرون عنهـا بألفـاظ تـدل عـلى هـذا المعنـى. -))

-((ومحصـول الـكلام كانـت ألفـاظ العقيـدة هـي الألفـاظ الأكثـر حضـورا مـن غيرهـا في الغديريـات، بحيـث أصبحـت ظاهـرة لا يخلـو منهـا النـص الغديـري، وقـد وظفّهـا الشـعراء لإثبـات وجـود بيعـة الغديـر، وأنّهـا في الإمـام عـلي (عليـه السـلام) وانّهـا تـدل عـلى خلافتـه الرسـول (صلى الله عليـه والـه وسـلم)، وولايتـه للامـة مـن بعـده؛ لان هـذه الألفـاظ تمثـل القاعـدة التـي يتكـئ عليهـا المحـور الـدلالي للنص الـذي يعـبر عـن تلـك البيعـة، وهـذه الألفـاظ اقتبسـها الشـعراء مـن القـرآن الكريـم -))والحديـث النبـوي الشريـف بالشـكل الـذي يفصـح عـن قـوّة المعتقـد لـدى الشـعراء، وسـعيهم الى أن تحقـق تلـك الألفـاظ الأثـر المطلـوب في المتلقـي، وذلـك ببيـان ان بيعـة الغديـر قضيـة مصيريـة ذات اتصـال وثيـق بحيـاة الفـرد والأمـة، وهـذا الأمـر يكشـف عـن الـدور الاجتماعـي للشـعر، وقـد انـمارت ألفـاظ الغديريـات ولغتهـا -بصـورة

عامة-بالسـهولة والوضـوح، وهـو مـا تحتاجـه قضيـة الغديريـات.

المبحث الثاني (التراكيب وأثرها في شعر الغديريات)

-((لا شـكَّ في أنَّ الشـاعر ليـس بمختـرع لغـة، بيـد أنـه مخترع سـياق مادتـه الأوليـة هـي الألفـاظ؛ التـي لا تظهـر أهميتهـا الا مـن خـلال السـياق الـذي يـأتي فيـه معنـى اللفظـة ملائـما لمعنـى التـي تليهـا[1]، فللسـياق أهميتـه في تقريـر معنـى اللفظـة المفـردة وتحديـده؛ لان الكلـمات لا معنـى لهـا عندمـا تكـون خـارج السـياق[2]، ولا بـدَّ لهـا مـن الانتظـام مـع بعضهـا في تركيـب يميزهـا، وبذلـك تكتسـب سـمتها الأسـلوبية[3]، فيتحقـق مـا يسـعى إليـه الشـاعر مـن هـذا التركيـب اللغـوي، وهـو دلالـة تخـدم النـص[4].

والشـعر هـو «لغـة داخـل لغـة»[5]، وهـذا يتطلـب مـن الشـاعر ان لا تكـون لغتـه مجـرّد وضـع ألفـاظ بـإزاء معان-مثلـما نراهـا في المعجـم - وانـما يتعـدى ذلـك الى عمليـة التركيـب بحسـب مقتضيـات المعـاني التـي يريـد التعبـير عنهـا.
(٦)

ولعمليـة اختيـار الألفـاظ الأقـدر عـلى الإحاطـة بالمعنـى، والأكثـر انطباقـا

(١) ظ: دلائل الاعجاز:٤٦.

(٢) ظ:الدرس الدلالي في خصائص ابن جني:٣٨، دور الكلمة في اللغة:٥١.

(٣) ظ: من بلاغة القرآن:٥٤.

(٤) ظ: الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري:١٠١.

(٥) بنية اللغة الشعرية:١٢٩.

(٦) ظ:البلاغة والاسلوبية:٣٨.

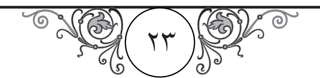
عليـه، والنسـق الـذي تترتـب فيـه تلـك الألفـاظ بحيـث تنتظمهـا علاقـات تـبرز العمـق الـدلالي لها داخـل السياق؛ الاثـر البالـغ في قيمـة العمـل الأدبي، وفي نقــل التجربــة الشــعرية، عــلى شرط أن ينصهــر ذلــك مــع أحاســيس الشـاعر، ومشـاعره، وانفعالاتـه النفسـية مـن جهـة، ومـع تجربتـه التـي يريـد نقلهــا الى متلقيــه مــن جهــة أخرى؛لذلــك نجـد في الغديريـات ان الشــاعر يتـصرَّف في تراكيبـه عـلى وفـق مـا يشـعر انـه يحقـق لـه ذلـك، فهـو يـدرك أنّـه بـإزاء تبليـغ قضيـة مهمـة في العقيـدة الإسـلامية، وعليـه معالجتهـا شـعريا ليتمكــن مــن الدفــاع عنهــا، والبرهنــة عــلى صحتهــا، ونشرهــا، وايصالهــا الى المتلقــي الــذي يطمــح الشــاعر الى تقريرهــا في نفســه؛لذلك نجـده يتكــئ عــلى أســاليب، وتراكيـب يشـعر انهـا تحقـق لـه ذلـك، وقـد تنوعـت تلـك الأسـاليب في الغديريــات؛انَّ التحكــم في إيثــار أســلوب عــلى آخــر انــما تتحكــم بــه درجــة الإحســاس، والانفعــال الشــعوري ســاعة الإبــداع القــولي[1]. -))

وقـد شـكّلت تلـك الأسـاليب ظواهـر بـارزة في الغديريـات؛ ممـا اسـتدعى دراسـتها، وهـي عـلى النحـو الآتي:

١-الاستفهام:

-((يثـير أسـلوب الاسـتفهام في نفـس المتلقـي مشـاعر، وانفعـالات متعددة، ويتيــح للشــعراء التعبــير بــه عــن معــان متنوعــة، فهــو «بــاب مــن أبــوب

(١) ظ: لغة شعر ديوان الهذليين:٨٣.



المعاني»[1]، ويتكوّن عليه في محاولة منهم لتهيئة المناخ النفسي الضروري لتفاعل المتلقي مع ما يتلوه من معان وأفكار يقصدونها في تجاربهم الشعرية، لذلك فهو يؤدي دورا مهما في الخطاب الشعري؛ اذ «يمتلك قدرة طيبة في ادخال المتلقي في صميم الصورة»[2].

وأول ما نقف عنده من ادوات الاستفهام؛الهمزة اذ شكّلت حضورا واسعا في مواضع الاستفهام في الغديريات، ويبدو أن السؤال بها أكثر منطقية في تقرير الحقائق، وهو الأمر الذي يحتاجه شعراء الغديريات في عرض حججهم، وأدلتهم على صحة القضية التي يعتقدون بها، وهم يتصدون لنشر حقيقة ثابتة الوجود في التاريخ الإسلامي-)). يقول السيّد الحميري: (الرجز)

ألست مولاكم؟فهذا مولى لكم   والله شاهد بذا عزّ وجل[3]

-((فالاستفهام هنا أدى دورا مهما في تثبيت قضية مهمة فحواها الفات نظر المتلقي الى ان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قرّر في نفوس أصحابه أنه مولاهم المرسل أولاً- وهو أمر لاشك فيه عندهم- ثمَّ دلَّهم من بعد ذلك على وصيَّه من بعده من بينهم وهو الإمام علي (عليه السلام)، وجاء كلّ ذلك من خلال الاداة التي خرج فيها الاستفهام الى معنى التقرير.

---

(١) اسلوبا النفي والاستفهام في العربية:٥٠.

(٢) الصورة الفنية معيارا نقديا:٣٩٨.

(٣) ديوان الحميري:١٦٥، ينظر: موسوعة الغدير:٤/ ٥٠٠-٥٠٣.

وثمّة نكتة هنا، تتمثل في انّ الاستفهام يجعل المتلقي في حال من الترتقب والمتابعة لما يأتي بعد هذا السؤال، وهو مما يقصده الشاعر في الغديريات؛من أجل إشراك المتلقي، وزيادة تفاعله مع النص ليعرض عليه -بعد ذلك- ما شاء من تفاصيل القضية التي يتصدى لنشرها والدفاع عنها.

وثاني أدوات الاستفهام شيوعا في الغديريات الاداة (هل)؛اذ توسل بها الشعراء للاستفهام في تراكيبهم، وحمّلوها دلالات مجازية متعددة، فالسيد الحميري ينطق بلسان الحال عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) مشيرا الى حديث الغدير، فقال:(المتقارب)

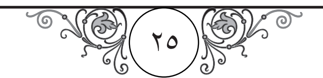
فهل أنا بلغت؟ قالوا: نعم　　　فقال: اشهدوا غيبا أو حضورا
يبلغ حاضركم غائبا　　　وأشهد ربي السميع البصيرا(١)

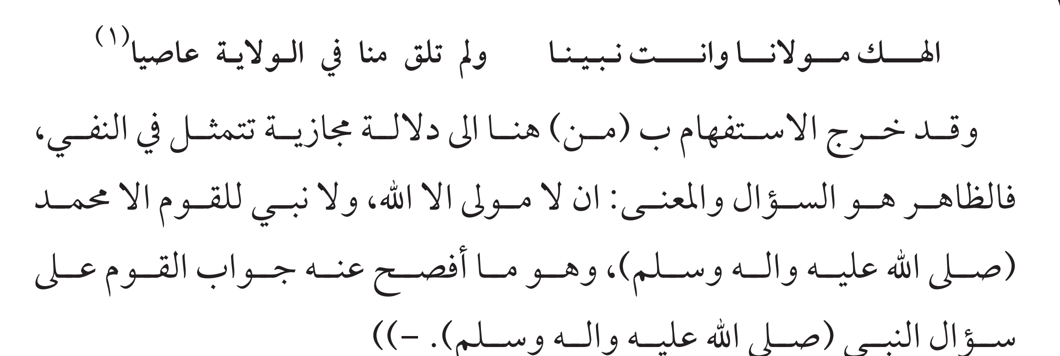
فالسؤال هنا موجه إلى من حضر بيعة الغدير ينقله السيد الحميري شعرا، وهو سؤال العارف ياالجواب، لكنه يريد اتمام الحجة والإقرار بها، فكان الجواب ب(بنعم).

ومن أدوات الاستفهام: (من)، وتأتي للسؤال عن العقلاء؛ اذ يراد بها تعيين العاقل المسؤول عنه، يقول حسّان بن ثابت متحدثا بلسان الحال عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم)يوم الغدير، ومن شهد بيعة الغدير: (الطويل)

فقال فمن مولاكم ونبيكم　　　فقالوا ولم يبد هناك التعاميا

(١) المصدر نفسه:١٠١، ينظر:المصدر نفسه:٤/ ١٠٤.





الهك مولانا وانت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا[1]

وقد خرج الاستفهام ب (من) هنا الى دلالة مجازية تتمثل في النفي، فالظاهر هو السؤال والمعنى: ان لا مولى الا الله، ولا نبي للقوم الا محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وهو ما أفصح عنه جواب القوم على سؤال النبي (صلى الله عليه واله وسلم). -))

-((وكانت هذه الاداة مجالا رحبا عبّر فيه الشعراء عن بيعة الغدير، وولاية الإمام علي (عليه السلام) وما يتصف به من مناقب انمار بها على غيره.

ومن أدوات الاستفهام التي وردت في الغديريات الاداة (كيف) التي ربما تكون أجدى من غيرها في تصوير السؤال عن الحال، وبخاصة اذا ما خرجت الى معنى مجازي، يقول السيد الحميري: (الرجز)

ان رجالا بايعته انما بايعت الله فيما بدا لها
وكيف لم تشهد رجال عندما أشهد في خطبته رجالها[2]

فالشاعر هنا يتحدث عن بيعة الغدير ومبايعة المسلمين الإمام علياً (عليه السلام)، وقد استعمل الاستفهام في مقام التعجب، فالسؤال عن الحال او السبب في عدم شاهدة منكري الخلافة بها وقد سمعوا ذلك على لسان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وقد اشهدهم في خطبته على تلك الولاية والخلافة، لان ذلك يستلزم الجهل بهذه الخطبة، وهذه الشهادة،

(١) موسوعة الغدير:٢/ ٦٥.

(٢) ديوان الحميري:١٥٦، ينظر:ديوان أبي تمام:١/ ٣٥٨.

لذلـك فالشـاعر يتعجـب لهـذا الجهـل او التجاهـل لخطبـة النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) ووصيتـه، وهـو بهـذا الأسـلوب وجـد متنفسـا لإثـارة المتلقـي وتحريكـه واشراكـه في التفكـير بأمـر هـؤلاء القـوم الذيـن سـاروا عـلى هـذا النهـج في تجاهـل وصيـة النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم).

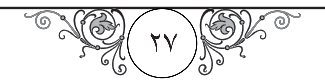
ومـن أدوات الاسـتفهام أيضـا (مـا)، وقـد عـبّر سـفيان بـن مصعـب العبـدي عـن إنـكاره لانقـلاب منكـري ولايـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) عـلى نهـج النجـاة المتمثـل بهـا، واتباعهـم لمنهـج الهـلاك، فقـال مخاطبـا عليـا (عليـه السـلام): (البسـيط)

اسمع أبـا حسـن ان الألى عدلـوا ... عن حكمك انقلبوا عن شر منقلب
مـا بـالهم نكبـوا نهـج النـجاة وقـد ... وضحته واقتفوا نهجا من العطب[1]

فالاسـتفهام هنـا حمـل دلالـة مجازيـة هـي الإنـكار، أي إنـكار مـا فعلـه هؤلاء القـوم بالصـد والانقـلاب عـلى النهـج المسـتقيم الـذي يمثلـه الإمـام عـلي (عليه السـلام)، ولمّـا كان هـذا الفعـل قـد وقـع منهـم؛ لـذا فقـد حمـل الإنـكار هنـا معنـى التوبيـخ، وأسـلوب الاسـتفهام الإنـكاري هنـا فيـه حـث للمخاطـب عـلى التفكـير والمخاطـب المقصـود هـو المتلقـي، وبخاصـة الـذي سـار عـلى نهـج منكـري الولايـة، فهـو دعـوة للمتلقـي للتفكـير بهـذا الأمـر، وهـذا جانب توصيـلي انـبرت عليـه الغديريـات، وقـد وردت مواضـع للاسـتفهام ب (مـا) كثـيرة لا مجـال لاسـتقصائها في هـذا البحـث.

ومـن الأدوات الأخـرى (متـى) التـي يطلـب بهـا تعيـين الزمـان، وقـد تخرج

(١) موسوعة الغدير: ٢/ ٤١١.



الى دلالات مجازية كما في قول الشريف المرتضى (ت:٤٣٦هـ) وهو يخاطب من يفاخره بالقربى من النبي (صلى الله عليه وآله)-)): (الطويل)

فقل لأناس فاخرونا ضلالة وهم غرباء من فخار أجانب

متى كنتم أمثالنا ومتى استوت بنا وبكم في فخر مراتب(١)

-((فالاستفهام هنا خرج لدلالة النفي؛ اذ أنَّ الشاعر ينفي في استفهامه أن يكون المفاخرون ممّن يحقّ لهم التفاخر، فهم بعيدون عنه، ولا يصلون الى مرتبته، ولذلك نراه يتعجب منهم، وينبههم الى خطأ ما يذهبون أليه؛لافتاً نظر المتلقي الى جرم هؤلاء القوم، وجعل المتلقي ممن يحمل رسالته الشعرية، وقد عبَّر عن انفعالاته ورفضه من خلال هذه الاداة (متى)التي خرجت عن دلالتها الزمنية لتكون وسيلة للاعتداد بالنفس والفخر بالأرومة، والارتفاع بهما الى مفاخرة أولئك القوم الذين لم يصلوا الى مرتبة المفاخرة. -))

ومن تلك الأدوات أيضا (أين) وقد خرجت الى دلالة مجازية، كما في قول ابي الحسن المنصور بالله (ت٦١٤هـ): (المتقارب)

بني عمنا ان يوم الغدير يشهد للفارس المعلم

أبونا علي وصي الرسول ومن خصّه باللوا الاعظم

لئن كان يجمعنا هاشم فأين السنام من المسنم(٢)

فقد خرج الاستفهام هنا الى دلالة الاستبعاد؛ اذ اخرج الشاعر -وهو

---

(١) ديوان الشريف المرتضى:١/ ١٨١.

(٢) موسوعة الغدير:٥ / ٦٢٣.

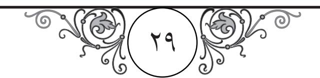
يعـارض ابـن المعتـز ويفاخـره- العباسـيين مـن دائـرة الانتـماء الى النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه)، ومـن ثـمَّ فقـد أبعدهـم بهـذا الاسـتفهام الـذي أفـاد أيضـاً علـو منزلـة الشـاعر الـذي ينتهـي نسبه الى الإمـام عـلي (عليـه السـلام).

-((ومما تقدَّم؛نخلـص الى ان أسـلوب الاسـتفهام -بصيغـه المتعـددة- كان الأسـلوب الأكثـر حضـورا مـن غـيره مـن الأسـاليب في الغديريـات، وقـد استعملت أدواتـه في غـير معانيهـا الأصليـة، وذلـك ينـم عـن حـرص الشـعراء عـلى إثـارة المتلقـي، واشراكـه في محاولـة منهـم لإيجـاد مـا يسـتدعي تأثـيره بقضيـة الغديـر، واقناعـه بهـا، مـن خـلال هـذا الأسـلوب الـذي يوفـر للشـاعر مسـاحة واسـعة لطـرح أفكاره، واثبـات مـا يذهـب إليـه في أحقيَّـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بالخلافـة والولايـة، عـن طريـق ايـراد حججـه وأدلتـه التـي وفَّـر لـه هـذا الأسـلوب فرصـة عرضهـا للمتلقـي.

٢-الشرط

تكتنـز في بنيـة الـشرط قيـم الاثـارة والترقـب والتلهـف والتوتـر؛ لذلـك يحـرص متلقـي الشـعر عـلى متابعـة الشـاعر- اذ يـأتي بهـذه البنيـة- للوصـول الى النتيجـة أو الصـورة التـي يريـد رسـمها، او ادراك المعنـى الـذي يريـد التعبـير عنـه مـن خلالهـا، فيتحقـق مـا يصبـو إليـه الشـاعر المبـدع في جعـل المتلقـي منجذبـا إليـه ومتابعـا؛اذ لا يحصـل التـوازن النفـسي المطلـوب عنـد المتلقـي الا بعـد مجيـئ جـواب الشرط-الـذي يتأخـر عـادة- فتتـوازن بـه كفَّتـا الـشرط[١].

(١) الشعر في كتاب وقعة صفين، دراسة فنية:١٠٢، ينظر: لغة شعر ديوان الهذليين:٨٥.

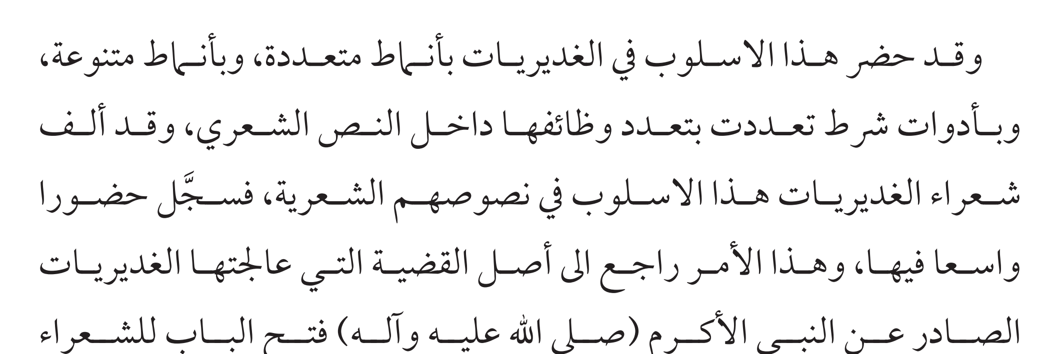


وقد حضر هذا الاسلوب في الغديريات بأنماط متعددة، وبأنماط متنوعة، وبأدوات شرط تعددت بتعدد وظائفها داخل النص الشعري، وقد ألف شعراء الغديريات هذا الاسلوب في نصوصهم الشعرية، فسجَّل حضورا واسعا فيها، وهذا الأمر راجع الى أصل القضية التي عالجتها الغديريات الصادر عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فتح الباب للشعراء -باشتماله على الشرط وجوابه- في استلهامه، ونسجه شعرا للتعبير عن المعاني والصور والمواقف التي انبثقت عن بيعة الغدير، لذلك كانت أداة الشرط (من) الاكثر استعمالا في الغديريات. -))

يقول حسّان بن ثابت مشيرا الى حديث الغدير، ومتحدثا بلسان الحال عن النبي (صلى الله عليه وآله): (الطويل)

فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له اتباع صدق مواليا[1]

فالشاعر رسم في هذا النص -بواسطة الاداة من- تعانق عبارة الشرط مع عبارة الجواب؛ اذ ان جملة الشرط «تتألف من عبارتين لا استغناء لاحداهما عن الاخرى، تسمى العبارة الأولى شرطا، وتسمى العبارة الثانية جوابا، او جزاء»[2]، وقد استعمل الفعل (كنت) التام بلفظ الماضي وادخل الفاء على جملتي الشرط والجزاء، ولمّا كان «الشرط منزّل منزلة السبب أعني ان وجود الجزاء معلّق على وجود الشرط فاذا وجود الشرط، فاذا وجد الشرط وجد الجزاء، واذا انعدم الشرط انعدم الجزاء، وليس في



(١) موسوعة الغدير: ٢/ ٦٥.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣٠٧.

عبارة الشرط على تحققها او عدم تحققها، وكل ما يدل عليه هو انه يجوز ان يقع ويجوز ان لا يقع، فكلا الامرين لا رجحان لاحدهما على الاخر... وهذا المعنى هو الذي يفسر لنا دخول الفاء على عبارة الجواب»[1]، فعبارة الجواب هنا (فهذا وليه) تدل على تحقق النسبة وثبوتها، ودوامها بشرط تحقق جملة الجواب على تحقق الشرط، وقد استعين بالفاء على ربط العبارة الاسمية (فهذا وليه) من اجل التوسط لجعل الجملة جوابا مرتبطا بالشرط، وقد استقى الشاعر الشرط وجوابه من حديث الغدير؛ اذ جعلت ولاية الإمام علي (عليه السلام) جزاء لولاية الرسول (صلى الله عليه وآله) بنص هذا الحديث.

-((وسجّل الشرط حضورا فاعلا في الغديريات من خلال الاداة (ان)، والأصل فيها ان تكون «للمعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في وقوعها»[2].

وقد يقوم الشاعر بالحديث عن علو منزلة الامام، ورفعة شأنه، قال سفيان بن مصعب العبدي الكوفي واصفا شجاعة الإمام علي (عليه السلام)، مخاطبا اياه: (البسيط)

فالشاعر استطاع أن يصف شجاعة الإمام علي (عليه السلام) عبر تصدير البيت الشعري بالأداة (ان)، وعندما لم يتسع البيت لأوصافه عطف بيتا آخر، وصدَّره ب (ان) أخرى ليتسنى له إكمال جانب من

(١) المصدر نفسه: في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣١٠.

(٢) معاني النحو: ٤/ ٤٤٨.

جوانب شجاعة الإمام علي (عليه السلام).

ومن أدوات الشرط التي وردت كثيرا في الغديريات: (اذا)، والأصل من هذه الاداة «ان تكون للمقطوع بحصوله، وللكثير الوقوع»[1]، وما يريده المتكلم في التعبير بهذه الاداة ان يعلّق شيئا على شيء[2]، يقول السيّد الحميري: (الرمل)

اذا أنا لم احفظ وصاة محمد	ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فاني كمن يشري الضلالة بالهدى	تنصر من بعد الهدى او تهوّدا[3]

فالموت مقطوع بحصوله، لذلك استعمل الشاعر الاداة (اذا) في بنية الشرط في نصه الشعري.

وتلي (اذا) حضورا في الغديريات الاداة (لو) لشرطية التي تستعمل «فيما لا يتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه، او فيما هو محال، او من قبيل المحال»[4]، يقول أبو محمد العوني في بيعة الغدير-)): (البسيط)

أليس قاسم رسول الله يخطبهم	يوم الغدير وجمع الناس محفل
وقال من كنت ملاه فذاك وليه	من بعد مولى فواخاه وما فعلوا[5]

فالشاعر يبين ان امتناع حصول الجزاء لامتناع تسليم منكري ولاية

---

(١) الايضاح:٥٣.

(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه:٣٠٧.

(٣) ديوان السيد الحميري:٧٣-٧٤.

(٤) ديوان طلائع بن رزيك:١٤٧.

(٥) موسوعة الغدير:٤/ ١٧٦.

الإمـام عـلي (عليـه السـلام) لتلـك الولايـة، والاعـتراف بهـا مـع قيـام الادلـة عليهـا، فوجـد في الاداة (لـو) خـير حامـل لذلـك المعنـى.

ومـن أدوات الـشرط التـي وردت في الغديريـات الاداة (لّمـا) التـي تظهـر أنَّ صـورة الجـزاء هـي اسـتجابة لا مفـرّ منهـا للصـورة التـي رسـمها فعـل الـشرط او المثـير، قـال الحمـيري واصفـا وقوفـه بالطلـل: (السريـع)

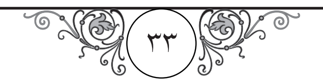
لّمـا وقـفـن الـعـيـس في رسـمـه — لـعـين مـن عـرفـانـه تـدمـع

ذكـرت مـا قـد كـنـت ألهـو بـه — فـبـت والـقـلـب شج مـوجـع[1]

-((فالصـورة الأولى هـي فعـل الـشرط أو المثـير، هـو وقـوف العيـس برسـم الـدار الموحشـة، مما أدى الى الصـورة الثانيـة وهـي صـورة الجـواب أو الجـزاء أو الاسـتجابة التـي أطلـق فيهـا الشـاعر العنـان لخيالـه في تذكّـر ماضيـه ولهـوه، فكانـت هـذه الصـورة باكيـة، وكانـت صـورة فعـل الـشرط عـبر الاداة(لّمـا) داعيـة لفعـل الجـواب (ذكـرت) الـذي أدّى بـدوره الى نتيجـة او صـورة أخـرى هـي مبيـت الشـاعر شـجي القلـب موجعـه، فبسـبب هـذا التذكّـر كان ذلـك المبيـت الشـجي الموجـع، وكل تلـك المشـاعر استطاع الشـاعر رسـمها بخيالـه الشـعر عـن طريـق استعماله هـذه الاداة في صورتـه التـي يرمـز بهـا الى مـا جرى في بيعـة الغديـر ومـا تلاهـا مـن نكـث البيعـة، وقطـع لأرحـام النبي(صـلى الله عليـه وآلـه).

وآخـر هـذه الادوات استعمالا في الغديريـات (متـى)، التـي هـي كنايـة عـن الزمـان وتـدل عـلى التأهـب والاسـتعداد، واسـتعادة صـورة الحقائـق، بحيـث

(١) ديوان السيد الحميري:١٢٩.



كلما رجع الشرط؛ رجع الجواب او الجزاء، يقول السيّد الحميري عن استعداده للدفاع عن الإمام علي (عليه السلام): (الطويل)

علي له عندي على من يعيبه ... من الناس نصر باليدين وبالفم

متى ما يرد معاديه عيبه ... يجد ناصرا من دونه غير مفحم[1]

فالأداة (متى) تشعر -فيما يبدو- باستمرار الترابط بين الشرط وجوابه، وهذا الأمر استثمره الشاعر في الدفاع عن قضية الإمام علي (عليه السلام) وأحقيته بالخلافة، وهو لا يدع لكل من يعادي الإمام عليا (عليه السلام) المجال مفتوحا، بل أنه يشعر بأنّ للنصرة تستوجب عدم فسح ذلك المجال والرد عليه بسرعة سواء أكان ذلك الرد باليد أم بالشعر، لذلك فهو قد وجد في هذه الاداة (متى) ما يوفر له تلك السرعة المطلوبة في جواب الشرط أو الجزاء، وهذا جانب رفده الجانب الفكري العقائدي الذي يؤكد ضرورة الدفاع عن أحقية الإمام علي (عليه السلام) في الخلافة، وعرض الادلة الدامغة، والبراهين الساطعة في المحاججات والمناظرات. -))

ويتضح مما تقدم حضور الشرط بأدواته المتعددة في الغديريات على الشكل الذي ينم عن وعي كثير من الشعراء لخصوصية استعمال كل واحدة منها في التعبير عن الحيثيات التي اكتنفت بيعة الغدير، والنتائج التي ترتبت على نكثها، والمعاني والصور التي قصدوها، بما يحقق الاستجابة المطلوبة في المتلقي.

---

(١) المصدر نفسه:٢/ ٤١٠.

٣-النداء

-((واكبت جملة النداء نسيج الابيات في الغديريات، وشكّلت مساحة واسعة فيها، مما يزيد انتباه المخاطب او المتلقي بقصد الاصغاء الى ما يجيء بعدها من كلام؛ لغرض الاستماع الى أمر ما، واذاعة قضية معينة يريد الشاعر نشرها، او الافصاح عن مشاعر وانفعالات وجدت الشعر طريقا لها؛ليؤدي الشاعر الوظيفة الإبلاغية -عن طريق اللغة-في منجزه الشعري، وقد استثمر شعراء الغديريات النداء في نصوصهم، ومن هذه الادوات وأشهرها (يا)يقول طلائع بن رزيك؛ اذ يرثي الإمام الحسين (عليه السلام) في محور من محاور غديرياته: (البسيط)

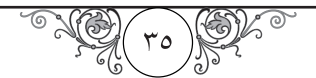
يا حرَّ قلبي على قتل الحسين ويا لهفي ويا طول تعدادي ويا حزني[1]

فقد وجد الشاعر في هذه الاداة -بما تنماز به من مد -وسيلة تتسع لحمل أنينه، وحزنه في البكاء على قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، لذلك كررها في بيته الشعري.

يتضح ممّا تقدم حضور النداء في لغة الغديريات بما تقوم به أدواته من وظائف، وما تؤديه من بنية النداء من رسالة او مضمون يريد الشاعر توصيلها الى المتلقي، وكان النداء ب (يا) من الاكثر شيوعا في نصوص الغديريات، وهو أمر مألوف في الشعر العربي لكثرة دوران هذه الاداة في النصوص.

---

(١) موسوعة الغدير:٤/ ٥٣، ظ:ديوان السيد الحميري:١٦٥، ١٨٨.



٤-الأمر

الامـر عنـد اللغويـين نقيـض النهـي، وهـو طلـب لإيقـاع الفعـل، والنهـي طلـب لـترك ايقاعـه[١]، وهـو عنـد البلاغيـين طلـب الفعـل عـلى وجـه الاسـتعلاء والالـزام.[٢].

وقـد حـضر هـذا الاسـلوب في المنجـز الشـعري الغديـري؛ مما يدلـل عـلى عظمـة اللغـة وقدرتهـا عـلى شـحن القصيـدة بـدلالات متنوعـة تنـم عـن استشـعار تجـارب الشـعراء، وتعـبر عـن مشـاعرهم وانفعالاتهـم ومقاصدهـم التـي تتجـه صـوب المتلقـي بخطـاب شـعري تشـتد نغمتـه، وتلـين بحسـب دواعـي التجربـة وطبيعـة ذلـك الخطـاب ومـا يسـتدعيه المقـام.

يقـول سـفيان بـن مصعـب العبـدي مخاطبـا الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في قبـول قصيدتـه: (البسـيط)

فاستجل من خاطر العبدي آنسة　　　طابت ولو جاوزتك اليوم لم تطب[٣]

فالشـاعر هنـا أجـرى الأمـر عـلى لسـانه بالفعـل (اسـتجل)، ولما كان الشـاعر أدنـى مرتبـة مـن الإمـام عـلي (عليـه السـلام) خـرج الأمـر الى معنـى الالتـماس او الرجـاء او الاسـتعطاف، وذلـك مـا يدركـه الشـاعر.

٥-النهي

---

(١) المصدر نفسه:٤/ ٥٣.

(٢) ينظر:الطراز:٣/ ٢٨١.

(٣) موسوعة الغدير:٢ / ٣١٤.

النهي نقيض الامر، وهو طلب الكف عن الفعل، والامتناع عنه على وجه الاستعلاء والالزام، وله صيغة واحدة هي الفعل المضارع المسبوق ب (لا) الناهية الجازمة، وقد يستعمل في طلب الكف أو الامتناع او الترك[1]. -))

وقد استثمر شعراء الغديريات هذا الاسلوب في التعبير عمّا يدور في أذهانهم من أفكار ومعان، ودلالات، ومقاصد؛ يريدون ايصالها الى المتلقي، وهذا التوصيل او التبليغ يعتمد على قوة الانفعال التي تكتنف الشاعر ساعة الابداع القولي بحيث تؤدي في النهاية الى احداث الاستجابة المطلوبة عند المتلقي، وذلك باستثمار الامكانيات اللغوية المكتنزة في هذا الاسلوب، غير متناسين ان ذلك يختلف من متلق الى آخر، وأول ما نلحظه في هذا المجال ان بعض الشعراء قاموا بإيراد النهي على لسان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في غديرياتهم، ادراكا منهم لأهمية ذلك، اذ انه (صلى الله عليه واله وسلم) لا ينطق عن الهوى، قال الصاحب بن عبّاد مخاطبا أعداء أهل البيت (عليهم السلام): (الطويل)

دعوا حقّهم ما يبتغون جداكم وخلّوا لهم عن فيئهم لا تشاغبوا[2]

-((فالشاعر يخاطب القوم الذين أعمى الضلال عيونهم، فساروا على نهج أسلافهم في ظلم أهل البيت (عليهم السلام)، وبعد ان زجرهم بفعلي الأمر (دعوا، خلّوا) عاد وكرّر ذلك الزجر بالنهي، وهو في هذا

---

(١) ظ: الايضاح:٨٥.

(٢) ديوان الصاحب بن عباد:١٨٨.



انـما يعـبر عـن الانفعـال الغاضـب لحمـل المتلقـي عـلى التفكـير في مـراده، والتفاعـل معـه.

ممّـا تقـدّم يتبـين لنـا حضـور النهـي في نصـوص الشـعراء عـلى شـكل حاولوا فيـه اسـتثمار هـذا الاسـلوب في التعبـير عـن قضيـة الغديريـات، اذ قامـوا باسـتلهام حديـث النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)يوم الغديـر، وايـراده شـعرا بلسـان الحـال عنـه مـن أجـل جـذب انتبـاه المتلقـي، والفـات نظـره، ومحاولـة منهـم لايجـاد الحافـز عنـده في التفاعـل مـع دلالـة النـص الشـعري.

الخاتمة

بعـد هـذه الجولـة الممتعـة في غديريـات الشـعر العـربي، ومـا خُضنـاه في لجاج هـذا البحـر الزاخـر الـذي لا تنفـد لآلئُـهُ، والـذي مـا زال زاخـراً بكنـوزه، يمكـن القـول إننـا قـد توصلنـا الى مجموعـة نتائـج مُميـزة:

١-بحـدود مـا نعلـم يمكـن القـول ان البحـث في أوسـع نتائجـه قـدّم مصطلحـا جديـدا الى السـاحة الادبية؛هـو مصطلـح (الغديريـات)، وقـام ببنـاء ذلـك عـلى مقدمـات صحيحـة تمثّلـت بوجـود المفهـوم، وهـو مناسـبة النصـوص الشـعرية، ووجـود المصاديـق، وهـي النصـوص نفسـها.

٢-كان لواقعـة الغديـر أثرهـا الواضـح في المنجـز الشـعر العـربي عـلى مـر العصـور، فقـد سـجّلت حضـورا واسـعا في ذلـك المنجـز؛ الـذي حـرص فيـه الشـعراء عـلى تدويـن تفاصيلهـا، ومـا اشـتملت عليـه مـن محـاور، ومشـاعر مصاحبـة لهـا، ووصـف شـخصياتها، وبيـان المواقـف المختلفـة لمـن شـهدها؛

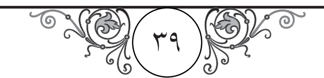
مـن اقـرار بهـا، او انـكار لهـا، او نكـث للبيعـة التـي أخذهـا الرسـول (صـلى الله عليـه وآله)مـن المسـلمين فيهـا، ومـا اسـتتبع ذلـك مـن نتائـج وأحـداث كـبرى في حيـاة الأمـة الإسـلامية كان مـن ابرزهـا واقعـة الطـف الاليمـة.

٣-تحدثـت الغديريـات عـن منزلـة الإمـام عـلي (عليـه السلام)السـامية، وشـخصيته، وعبادتـه، وجهـاده، ومواقفـه، ومـا أنـماز بـه مـن مناقـب وكرامات فضّلتـه عـلى غـيره بعـد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه)، وكان مـن الطبيعـي ان يشـفع ذلـك بالحديـث عـن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه)، واهـل بيتـه (عليهـم السـلام). -))

٤-كشـفت الدراسـة عـن قـدرة الشـعر عـلى حمـل الفكـر والعقيـدة والقيـام بواجـب التبليـغ مـن دون ان يفقـد فنيتـه، فقـد وجدنـا ان الغديريـات زاخـرة بقضايـا الفـن التـي توزعـت عـلى مباحـث البحـث.

٥-((-حـرص الشـعراء عـلى ان تكـون قصائدهـم تعبـيرا صادقـا عـما يعتلج في نفوسـهم مـن مشـاعر وأحاسـيس وانفعـالات، وبـما يشـعرون أنـه يعـود على غـرض القصيـدة بالفائـدة، لذلـك تنوعـت طـرق اثـارة تلك المشـاعر.

٦-اسـتند الغـرض الشـعري في الغـرض الى قضيـة عقائديـة، وقـد تـوزع عـلى لوحـات ومحـاور تواشـجت لتشـكيل ذلـك الغـرض، وذلـك بتعبيرهـا عـن شـخصيات تلـك القضيـة، ومواقفهـا مـن الحـدث وهـو بيعـة الغديـر، وبتعبيرهـا عـن الحـدث نفسـه، فضـلا عـما يكتنـف القضيـة مـن محـور احتجاجـي، ومشـاعر تبعثهـا داخـل نفـوس الشـعراء، وهـذه المحـاور: محـور



الإمام علي (عليه السلام)، ومحور اعداء الامام، ومحور البيعة، ومحور الاحتجاج، وقد تفاوت الشعراء في ذلك تبعا للظروف المؤثرة في ولادة القصيدة، وطبيعة المتلقين.

٧-كانت ألفاظ العقيدة هي الألفاظ الاكثر حضورا من غيرها في الغديريات، بحيث أصبحت ظاهرة لا يخلو منها النص الغديري، وقد وظفها الشعراء لإثبات وجود بيعة الغدير، وانها في الإمام علي (عليه السلام)، وانها في الإمام علي (عليه السلام)، وولايته للامة من بعده، ذلك لان هذه الألفاظ تمثل القاعدة التي يتكئ عليها المحور الدلالي للنص الذي يعبر عن تلك البيعة، وهذه الألفاظ اقتبسها الشعراء من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالشكل الذي يفصح عن قوة المعتقد لدى الشعراء، وسعيهم الى ان تحقق تلك الألفاظ الاثر المطلوب في المتلقي، وذلك ببيان ان بيعة الغدير قضية مصيرية ذات اتصال وثيق بحياة الفرد والأمة، وهذا الأمر يكشف عن الدور الاجتماعي للشعر، وقد أنمازت ألفاظ الغديريات ولغتها- بصورة عامة -بالسهولة والوضوح، وهو ما تحتاجه قضية الغديريات.

٨-سجّلت اساليب الاستفهام، والشرط، والنداء، والامر، والنهي، حضورا متميزا في الغديريات من خلال ادواتها المتعددة التي استخدمت- في الاعم الاغلب- في غير معانيها الأصلية، فخرجت الى معان مجازية قصدها الشعراء للتعبير عن قضية الغديريات، مدركين خصوصية كل اسلوب، وكل اداة، وموظفين اياها بما تنماز به من خصوصية، وما تشير

إليـه مـن دلالات عـلى نحـو يخـدم النـص، ويحقـق الاسـتجابة المطلوبـة عنـد المتلقـي. -))

المصادر والمراجع

خير ما نبتدأ به القرآن الكريم

١- اثـر القـرآن في الادب العـربي في القـرن الأول الهجـري، د. ابتسـام مرهون الصفـار، ط١، مطبعـة اليرموك، بغـداد، ١٩٧٥م.

٢- اسـلوبا النفـي والاسـتفهام في العربيـة- في منهـج وصفـي في التحليـل، د. خليـل أحمـد عمايـرة، جامعـة اليرمـوك، د. ت.

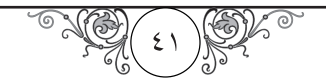
٣- الإيضـاح في علـوم البلاغـة: محمـد بـن عبـد الرحمـن بـن عمـر، أبـو المعـالي، جـلال الديـن القزوينـي الشـافعي، المعـروف بخطيـب دمشـق، المحقق: محمـد عبـد المنعـم خفاجـي النـاشر: دار الجيـل - بـيروت.

٤- البلاغـة والاسـلوبية، د. محمـد عبـد المطلـب، الهيـأة المصريـة العامـة، مـصر، ١٩٨٤م.

٥- البنيـات الدالـة في شـعرأمل دنـق، عبـد السـلام المسـاوي، ط١، منشـورات اتحـاد الكتـاب العـرب، دمشـق، ١٩٩٤م.

٦- بنيـة اللغـة الشـعرية، جـان كوهـين، ترجمـة محمـد الـولي، ط١، دار توبقـال، الـدار البيضـاء، المغـرب، ١٩٨٦م.

٧- البيـان والتبيـين: عمـرو بـن بحـر بـن محبـوب الكنـاني بالـولاء، الليثـي،



أبـو عثـمان، الشـهير بالجاحـظ، النـاشر: دار ومكتبـة الهـلال، بـيروت عـام النـشر: ١٤٢٣ هـ

٨- التطـور الـدلالي بـين لغـة الشـعر ولغـة القـرآن، عـودة خليـل أبـو عودة، ط١، مكتبـة المنار، الزرقـاء، الاردن، ١٩٨٥م.

٩- الحكمـة في الشـعر العبـاسي حتـى نهايـة القـرن الرابـع الهجـري، مظفـر عبـد السـتار غانـم، اطروحـة دكتـوراه، جامعـة بغـداد، ١٩٩٢م.

١٠- الـدرس الـدلالي فى خصائـص ابـن جنـي، . ياقـوت، أحمـد سـليمان. دار المعرفة الجامعيـة، ١٩٨٩م.

١١- دلائـل الإعجـاز في علـم المعـاني: أبـو بكـر عبـد القاهـر بـن عبـد الرحمـن بـن محمـد الفـارسي الأصـل، الجرجـاني الـدار، المحقـق: محمـود محمـد شـاكر أبـو فهـر النـاشر: مطبعـة المـدني بالقاهـرة - دار المـدني بجـدة الطبعـة: الثالثـة ١٤١٣هــ - ١٩٩٢م.

١٢- دور الكلمـة في اللغـة، سـتيفن اولمـان، دار الغريـب للطباعـة والنـشر والتوزيـع، ١٩٩٧م.

١٣- ديـوان ابي تمـام، حبيـب بـن اوس الطائـي، تقديـم وشرح: محـي الديـن صبحـي، ط١، دار صـادر، بـيروت، ١٩٩٧م.

١٤- ديـوان السـيد الحمـيري، اسـمعيل بـن محمـد، شرحـه وضبطـه وقـدم له:ضيـاء حسـين الاعلمـي، ط١، مؤسسـة الاعلمـي، بـيروت -لبنـان، ١٤٢٠هــ-١٩٩٩م.

١٥- ديـوان الشريـف المرتـضى، عـلي بـن الحسـين، حققـه ورتـب قوافيـه، رشـيد الصفـار، ترجـم:د. مصطفـى جـواد، ط١، دار البلاغـة للطباعـة والنـشر والتوزيع، بـيروت، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

١٦- ديـوان الصاحـب بـن عبـاد شرحـه: إبراهيـم شـمس الديـن النـاشر: مؤسسـة الأعلمـى للمطبوعـات - بـيروت الطبعـة: الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٧- ديـوان الصـوري، عبـد المحسـن بـن محمـد بـن احمـد، تحقيق:مكـي السـيد جاسـم، ط١، دار الرشـيد للنـشر، بغـداد، ١٩٨٠م.

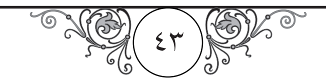
١٨- ديـوان مهيـار الديلمـي، ابـو الحسـن مهيـار بـن مرزويـه، شرحـه وضبطـه، احمـد نسـيم، ط١، مؤسسـة الاعلمـي، بـيروت -لبنـان، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

١٩- سر الفصاحـة: أبـو محمـد عبـد الله بـن محمـد بـن سـعيد بـن سـنان الخفاجـي الحلبـي، النـاشر: دار الكتـب العلميـة الطبعـة: الطبعـة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٢٠- شرح ديـوان زهـير بـن ابي سـلمى، نسـخة مصـورة عـن طبعـة دار الكتـب، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م.

٢١- الشـعر في اطـار العـصر الثـوري، د. عـز الديـن اسـماعيل، ط١، دار توبقـال، الـدار البيضـاء، المغـرب، ١٩٨٩م.

٢٢- الشـعر في كتـاب وقعـة صفـين دراسـة فنيـة: عبـد الالـه عبـد الوهـاب





منشـور: ٢٠٠٥م.

٢٣- الشعر والتجربـة، ارشبالد مكليش، ترجمة سلمى خضر الجيوشي، دار اليقضـة العربيـة، بـيروت، ١٩٦٣م.

٢٤- الشـعر والفكـر والمعـاصر، د. عنـاد غـزوان اسـماعيل، دار الحريـة للطباعـة، بغـداد، ١٩٧٤م. -))

٢٥ ((الشـعراء الكتـاب في العـراق، حسـين صبيـح العـلاق، منشـورات مؤسسـة الاعلمـي، بـيروت، دار التربيـة، بغـداد، ١٩٧٤-١٩٧٥.

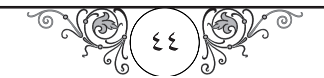
٢٦- الصناعتـين: أبـو هـلال الحسـن بـن عبد الله بـن سـهل بـن سـعيد بـن يحيـى بـن مهـران العسـكري، المحقـق: عـلي محمـد البجـاوي ومحمـد أبـو الفضـل إبراهيـم النـاشر: المكتبـة العنصريـة - بـيروت عـام النـشر: ١٤١٩ هــ.

٢٧- الصـورة الفنيـة معيـارا نقديـا - منحـى تطبيقـي عـلى شـعر الاعشـى الكبـير،

٢٨- الطـراز لأسرار البلاغـة وعلـوم حقائـق الإعجـاز: يحيـى بـن حمـزة بـن عـلي بـن إبراهيـم، الحسـيني العلـويّ الطالبـي الملقـب بالمؤيـد بـالله، النـاشر: المكتبـة العنصريـة - بـيروت الطبعـة: الأولى، ١٤٢٣ هــ.

٢٩- العمـدة في محاسـن الشـعر وآدابـه: أبـو عـلى الحسـن بـن رشـيق القـيرواني الأزدي، المحقـق: محمـد محيـي الديـن عبـد الحميـد النـاشر: دار الجيـل الطبعـة: الخامسـة، ١٤٠١ هــ - ١٩٨١ م.

٣٠- عيـار الشعر: محمـد بـن أحمـد بـن محمد بـن أحمـد بـن إبراهيـم طباطبا،



الحسني العلوي، أبو الحسن، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.

٣١- الغدير والمعارضون، السيد جعفر مرتضى العاملي، ط٤، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت -لبنان، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٣٢- فصول في الشعر، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٩م.

٣٣- قصيدة المديح في الشعر العراقي الحديث-مرحلة الأحياء، دراسة موضوعية فنية، ساجد حمزة غنيم، رسالة ماجيستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٢م.

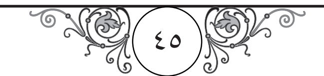
٣٤- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيأة المصرية العامة، ١٩٧٣م.

٣٥- لغة شعر ديوان الهذليين، علي كاظم محمد علي المصلاوي اشراف: د حاكم حبيب الكريطي. جامعة الكوفة - كلية الآداب ١٩٩٩م.

٣٦- المصطلح النقدي في نقد الشعر دراسة لغوية، تاريخية، نقدية، ادريس ناقوري، ط٢، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٤م.

٣٧- مفهوم الشعر -دراسة في التراث النقدي، د جابر احمد عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢م.

٣٨- مقالات في تاريخ النقد العربي، داوود سلوم، دار الطليعة للنشر، بيروت، دار الرشيد للنشر، -بغداد، ١٩٩٨١م.



٣٩- مقدمة في النقد الادبي، علي جواد الطاهر، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٣م.

٤٠- من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، الناشر: نهضه مصر - القاهرة عام النشر:٢٠٠٥م.

٤١- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٤م.

٤٢- منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

٤٣- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة، العلامة الأميني، تحقيق مركز الغدير للدراسات الإسلامية. -))

٤٤- نظرية البنائية في النقد الادبي، د. صلاح فضل، ط٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.

٤٥- نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، د. الفت كمال الروبي، دار التنوير للطباعة والنشر والتنويع، بيروت، ٢٠٠٧م.

٤٦- نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، الناشر: مطبعة الجوائب - قسطنطينية الطبعة: الأولى، ١٣٠٢هـ.

الغدير في الأدب النّسوي: قديماً وحديثاً

م. م. هند كامل خضير

الملخص

يندرج ضمن الافتراض المنهجي أنَّ الدائرة الأدبيّة للنصوص (بشتى أنواعها المنظومة والمنثورة وأنماطها الخطابية) ترسم حدود الوجود والتفاعل في حيزها النوعي الواسع فالأدب - عامّة- يُشكّل أرضية حقيقية ومرآة تعكس واقع الحياة الثقافية السائدة آنذاك، فهو يكشف عن صورة صادقة لعادات العرب وتقاليدهم ومثلهم ومعتقداتهم، ولا سيّما الجانب الشعري، فهو يمثّل قطب الرحى في الحياة العربية، ومن ثمَّ فهو سجلٌ لحاضر الأُمَّة وماضيها، ومن هنا مثّل الجانب الأدبي- في الغدير- ولا سيّما الركن الشعري منه شاهداً مستمراً على مدى التاريخ الإسلامي من لدن يوم الغدير، الذي بدأ بالأدب الغديري الشاعر حسان بن ثابت بإذن من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وليومنا هذا، فالشعر يمثّل شاهداً من الشهود على استمرارية (حديث الغدير) وتناقَله الخلف يداً عن يد من التغنّي بالأبيات الشعرية التي شهدها يوم الغدير.

وينتهي بنا الافتراض إلى أنَّ المرأة جزءٌ من ذلك التفاعل، إذ مارست نشاطها الأدبي منذ أنْ كان للعرب وجود أدبي، فقد نظمت في الرثاء

والغـزل والحكمـة والمديـح والهجـاء في كلِّ الفنـون الشـعريّة فضـلاً عـن الجانـب النثـري وأجناسـه، وهنـا يتوجّـه البحـث الموسـوم بـ(الغديـر في الأدب النُّسـويّ) إلى أدب المـرأة في حادثـة الغديـر؛ لاسـتكناه مسـتوياته واكتشـاف صـوره عـلى الرغـم مـن ضيـاع الكثـير مـن أدبهـا لأسـباب لا يسـع المجـال هنـا لذكرهـا، وفضـلاً عـن ذلـك عندمـا نريـد اسـتطلاع موسـوعة الشـيخ الأمينـي (الغديـر في الكتـاب والسـنّة والأدب) عـلى جلّـة مجلداتهـا العـشرة فـلا نجـد ذكـراً لشـعر المـرأة في الغديـر، عـلى الرغـم مـن أنَّ الشـيخ ذكـر مـا يقـارب مئـة شـاعر أنشـد في الغديـر عـلى امتـداد عـشرة قـرون وليـس هـذا فحسـب، بـل صاحبـا موسـوعة شـعراء الغديـر في مجلداتهـا السـبع قـد ذكـرا (٣٨٥) شـاعراً أنشـد في الغديريـات عـلى مـدى خمسـة عـشر قرنـاً ولم يذكـرا سـوى ثـلاث شـاعرات انتمـت الأُولى منهـنَّ للقـرن السـادس تحـت اسـم (شـاعرة مجهولـة)، وانتمـت الأُخريـان للقـرن الخامـس عـشر، فـأدب النسـاء المواليـات للمـولى أمـير المؤمنـين في الخلافـة نجـده متناثـراً في طيـات المصـادر القديمـة وبطونهـا وفي الكتـب التـي وضعـت خصيصـاً لأدبهـنَّ.

ومـع هـذا النـزر القليـل فهـي حـضرت الغديـر وقدَّمـت البيعـة للإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام، وكان لهـا أثـر فعّـال في إبـراز الحـدث الغديـري ونصرتـه، إذ تفاعـل الكثـير مـن النسـاء الشـواعر وغيرهـن في أدب الخطـب بـردٍّ فعـلٍ أكثـر واقعيـة عندمـا أجبـنَ بالـولاء والمبايعـة والنـصرة للمـولى أمـير المؤمنـين وسـط الأجـواء المخنقـة التـي عاشـتها الشـيعة والتشـيّع مـن الضغـط الأمنـي والإرهـاب، فقـد وقفـت بشـعرها وخطبهـا بوجـه الذيـن غصبـوا حـقَّ الخلافـة

وسلبوها من أصحابها الشرعيين، ومن هؤلاء الأديبات من العصرين الإسلامي والأُموي: (عكرشة بنت الأطرش وجروة بنت غالب وأُمّ البراء بنت صفوان وأُمّ الخير بنت الحريش أروى بنت عبد المطلب والزرقاء بنت عدي الهمدانية)، وطرح الأُنموذج النسّوي نتاجه الأدبي في الولاء للإمام والبيعة له، وقد نقل هذا الأُنموذج حديث الغدير بروح الأدب لا بروح المؤرخ وبروح المرأة لا بروح الرجل وقدم مفهوم الولاية والخلافة بما هو مفهوم يحمل معنى شرعياً وسياسياً وتاريخياً لا بمفهوم أتباع أهل البيت الذي يحمل مفهوماً طقوسياً لا يخرج عن الالتزام بالعقيدة، بل بما هو أشمل وأوسع.

ونسأل الله التوفيق والسداد والحمد لله ربِّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الكلمات المفتاحية (الغدير، الولاية، الخلافة، الشعر النسوي، النثر النسوي).

المقدّمة

تكمن أهمية اختيار الموضوع (الغدير في الأدب النسويّ: قديماً وحديثاً) في جمع ما تفرّق من أدب المرأة العربية المسلمة (الشعر والنثر)ـ ولاسيّما في أدبيات الغدير والبيعة للإمام عليٍّ عليه السَّلام، وأخصّ بذلك الحقبة الزمنية القديمة من العصرين الجاهلي والإسلامي وما تلاها من الأزمنة، حيث كانت للمرأة صولات واسعة في قول المنظوم والمنثور والحوار

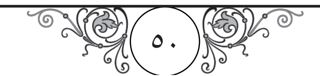


والخطاب مع الرجل - ولا سيّما من الذين أظهروا العداء لآل الرسول صلَّى الله عليه وآله- لكنّها مدفونة في بطون كتب الأدب العربي، إذ لا نكاد نعثر عليها إلَّا عن طريق البحث المضني.

ولم تجد الباحثة سوى مقطوعات شعريّة وبعض الخطب النثرية - الكاملة أحياناً - للمرأة الأديبة؛ بسبب ضياع الكثير من أدبهن، ولعلّ ذلك يُعزى إلى تغلّب الثقافة الذكوريّة في المجتمع، إذ كانت أقلام التدوين قد نشطت في العصر العبّاسي وحجبت كلَّ ما صدر عن المرأة من أدب وخاصّة الشعري منه، وعاش أصحابها بعقلية مجتمع وأد المرأة معنوياً وعزلها عن الحياة العامة... ومن ثمَّ لم يكن لها في تصورهم أنْ تتحدث عن عواطفها(١) فكانوا الحكم والخصم في الوقت نفسه.

ولا ننسى أيضاً فعل الرواة في تغافل الأثر الأدبي للمرأة، ولمَّا كانت الرواية كائناً ثقافياً يتحرك أو يسير حسب الأيديولوجيات الثقافية السائدة آنذاك التي تُصنف وتُقاس وفق الهوية الجنسية (الجندر)، وهذا يعني أنَّ شعر المرأة كان تحت تصرّف الرواة فيما يروون وفيما يحجبون، فقد أصرّوا على وضع المرأة وآثارها في منطقة الظّل(٢).

ويأتي السبب الثالث وهو الدور القبلي والمنظومة القبلية التي حدّت من قول المرأة للشعر والتغنّي به؛ ولهذا لم نجد للمرأة في العصر الجاهلّي والإسلامي والأُموي ديواناً شعرياً سوى ديوان الخنساء والخورنق وليلى الأخيلية، وما وصلنا من أدب المرأة مقطوعات متناثرة هنا وهناك، وكان هذا نتيجة الأسباب التي ذُكرت سابقاً، ولكنَّ القول يستدرك هنا بأنَّ



المـرأة العربيـة (الأديبـة) بتلـك المقطوعـات قـد وصـل صوتهـا وجسّـت مـن خلالـه حـال القـوم والقبيلـة وذاتهـا عـن طريـق الرثـاء والمديـح والغـزل والحماسـة والفخـر ومـن ثـمَّ الـولاء والبيعـة لدينهـا ولمذهبهـا.

أمَّـا اصطـلاح تسـمية (الأدب النُّسـويّ) فهـو مصطلـح قديـم حديـث نـال اهتـمام الدارسـين، ومـن الذيـن اهتمـوا بالكتابـة النُّسـويّة منـذ مـا يقـارب الخمسـين عامـاً(٣) فقديـماً كان يقـال: شـعر المـرأة وقـول المـرأة وقصيـدة المـرأة وارتبـط الشـعر بالرجـل؛ لأنّـه يتّصـف بالقـوة والفحولـة فـكلُّ مـا يصـدر عـن المـرأة مـن القـول الأدبي يُعـدُّ خـارج المؤسّسـة الأدبيـة لخيمـة الفحـول وهنـا علَّـق بشـار بـن بـرد تهمتـه الأبديّـة عـلى الخطـاب الأُنثـوي بوصايـة نقديّـة صارمـة فبرأيـه (لم تقـل امـرأة شـعراً إلَّا وظهـر فيـه الضعـف)(٤)، مـن هـذا المنطلـق صـارت المـرأة تابعـة في موروثهـا الأدبي للرجـل وملحقـة بـه.

ومـن خـلال مـا اسـتقرأناه مـن الأقـوال النقديّـة حـول بعـض تسـميات كـ(الأدب النُّسـوي والأدب النسـائي أو الأدب المؤنـث)(*) يتضـح أنّهـا تسـميات أطلقهـا حـرّاس الثقافـة، فـلا يوجـد أدب رجـالي يتميّـز بصفـات فحوليـة، ولا يوجـد أدب نسـائي يحمـل مواصفـات ومميّـزات الأُنثـى.

فالانشـطار الجنسـي (أدب المـرأة... وغـيره) الـذي تجلّى في مظاهـر الحيـاة الأدبيّـة كان إنتاجـاً لغويّاً إذ تشـكّلت - الانشـطار- إرهاصاتـه الأُولى من جانب اللغـة ثـمَّ ظهـر في مختلـف الجوانـب الفكريّـة والدينيّـة والعقليّـة للعـرب(٥).

فالعمليـة الإبداعيّـة - لـلأدب- مغامـرة شـعورية يخـوض فيهـا كلُّ مـن

يمتلـك الحـسَّ المرهـف وبلاغـة التأثـير.

مـن هنـا أعطـت المـرأة العربيـة وجهـاً مـن وجـوه الانتـماء الثقـافي لعمليـة الإبـداع، والمشـهد العـربي القديـم شـهد حضـوراً جيـداً لشـعر المـرأة واسـتطاعت تحقيـق وجودهـا الأدبي وكينونتهـا الأدبيـة باقتـدار، فقـد قـال أحـد المهتمـين بالحقـل الأدبي: (ليـس أحـد مـن العـرب إلَّا وهـو يقـدر عـلى قـول الشـعر، طبعٌ رُكّـب فيهـم، قـلَّ قولـه أو كثـر، فـإنْ صـدق هـذا عـلى رجالهـم صـدق عـلى نسـائهم، إذ الطبـع واحـد واللغـة متفقـة والغريـزة لا تختلـف)(٦).

وعـلى مسـتوى الشـعرية أقـرّ الشـاعر أبـو نـواس معترفـاً بشـاعرية كـمٍّ كبـيرٍ مـن الشـواعر مـن العصـور الجاهليـة والإسـلامية قائـلاً: (مـا قلـت الشـعر حتـى رويـت لسـتين امـرأة منهـن الخنسـاء وليـلى الأخيليـة)(٧).

التمهيد

ثقافـة الغدير في الفكر النُّسويّ

يـتردّد في أذهاننـا القـول المأثـور أنَّ الشـاعر أو الأديـب عامّـة يمثـل حـال القبيلـة ولسـان القـوم ومـن ثـمَّ فهـو ابـن بيئتـه، والأدب النُّسـويّ تجـلّى عندهـا -أي المـرأة- هـذا الـدور والتكليـف ولا شـكّ في أنَّ النسـاء الأديبـات صـورةٌ واضحـةُ المعـالم للبيئـة العربيـة ومعيـار لقيمتهـا الاجتماعيـة والثقافيّـة والسياسـيّة، وبغـض النظـر عـن اقـتران الجانـب العاطفـي بالمـرأة في السـياقات الاجتماعيـة والأدبيـة، فقـد شـكّلت بأدبهـا الإسـلامي مفهومـاً محوريـاً في فهـم الـذات الأُنثويـة، إذْ إنّ أدبهـا توجّـه نحـو إنتـاج معيّـن يختـزل رسـالة للمسـتقبِل

بقدر ما هو تطلّع إلى فهم المجتمع والسُّلطة والمحيط الخارجي بأكمله والزمان عن طريق السعي إلى تمثل الولاء والبيعة، ومن ثمَّ مولدات الصراع مع الكيان الآخر.

فالأدب الشيعي عامّة يصدحُ بالعاطفة الصادقة، والأدب النُّسويّ جسّد تلك العاطفة، وقد انفردت للمرأة مساحات من الحوارات الخطابيّة والشعريّة في الثقافة الإسلامية ولا سيّما في الولاء الشيعي، وتحديداً في خلافة الإمام عليٍّ عليه السَّلام وتجديد البيعة له من خلال مواقفها وكلماتها ودفاعها وجهادها وحماسها في نصرة الإمام سلام الله عليه، إذْ وجدنا للمرأة أثراً فعالاً بدءاً من البيعة ومن ثمَّ المناشدة والاحتجاج بحديث الغدير في عدّة مواضع من أدبها في المنظوم والمنثور.

فلقد كان لعقيدة الخلافة والوصاية أثرها الواقعي في الحكم، ومن ثمَّ ظهر ذلك الأثر في التراث الأدبي، فالمنظومة الأدبية والشعر خاصّة تعدُّ الطريق أو السَّند المعتمد في مجال التوثيق لحادثٍ ما، بوصف الشعر كان يمثّل قطب الرحى في الحياة العربية، من هنا عدَّ الشيخ الأميني في موسوعته (الغدير في الكتاب والسنّة والأدب) الأدب من المجالات الثريّة المعتمدة في توثيق بيعة الغدير إلى جانب المصدر الإلهي (القرآن الكريم) ومن ثم السنّة النبويّة، وعليه عدّه العلامة الأميني مجالاً رحباً للإعلام ومن ثمَّ الدعاية وأضافه إلى موسوعة، بوصفه رسالة تبليغيّة وإعلاميّة ثالثة من بعد الكتاب والحديث، كما أنَّ الجانب الشعريَّ يُمثّل الغاية الإعلاميّة والإعلام يُمثّل السلطة الرابعة، وهذا إنْ دلَّ على شيء إنّما يدلُّ

على أهمية الجانب الأدبي الذي (يقتنص شوارد التاريخ لأنَّ ما يتحرّاه من تنسيق لفظه وفخامة معناه وما يجب أن يكون في شعره ونثره من محسنات الأُسلوب ومقربات المغزى بإشارة أو استعارة منوط بالإطلاع على أحوال الأمم والوقوف على ما قصدوه من دقائق ورقائق)(٨)، فللأديب مهمّة مثلما يعطي الجانب الديني ومن ثمَّ المؤرخ والسياسي من مهام وأدوار، بل إنّ الشعر - عند العلامّة الأميني- حافل بنواحٍ منها: (بغية العالم ومقصد الحكيم ومأرب الأخلاقي وأمنية المؤرخ، وقل: مرمى المجتمع البشري أجمع)(٩)، من هنا اعتمد الأميني (طريقة التّحليل النّقدي في دراسة الشعر المقول في الغدير لإيضاح وتبيان دلالته على الحديث أو الحادثة، أو ما يرتبط بهما أو يُلابسهما ولو من بعيد ولإثبات ما يذكر الشعر ممّا يرتبط بالموضوع أو يُلابسه...)(١٠).

والحق أنَّ (الاحتجاج) يكاد يُشكّل - من حيث هو ظاهرة لغوية نجدها في كلِّ قول وفي كلِّ خطاب - المفهوم الأكثر استغراقاً في النظر الأدبي الشيعي، فقد شكّل مبحثاً مركزياً في المشهد الأدبي قديماً وحديثاً، وأنتج الأدب الشيعي بصدده أدبيات بالغة الثراء أَسّست في مناحيها لأُنموذج فكريٍّ في الانتصار للإمام عليٍّ عليه السَّلام.

إذْ إنّ عماد الأدب الشيعيّ هو الاحتجاج لعليٍّ عليه السَّلام وبسط نظريته في الخلافة وتبيان أنَّه - ثمَّ ذريته من بعده - أَولى الناس بخلافة الرسول صلَّى الله عليه وآله، وأخذ هذا المفهوم يتوارث في منظومة الأديبات الشيعيّة من حيث الحفاظ والدفاع عنه، لنرى بعد ذلك أنَّ الأدب ساير

هـذه الفكـرة وصوّرهـا(١١).

وهكـذا درج الأدبـاء عـلى إظهـار هـذه العقيـدة في أدبهـم حتـى تعـدّت عامّة النّـاس إلى الخلفـاء أنفسـهم -، الأمويـون منهـم والعباسـيون(١٢) والحـال أيضـاً تبـادر ودرج في الأدب النُّسـويّ، وتبـدو خصوصيّـة أدب المـرأة كامنـة في الانتبـاه للاختلافـات بـين شـعرها وشـعر الرجـل، وهـذا مـا ألفينـاه عنـد الكثـير مـن النسـاء الخطيبـات عنـد وفودهـن عـلى الحـكام في عـصر الإسـلام، ومـن ثـمَّ الأُمويـين والعباسـيين، والنسـاء الشـاعرات نظـير (أُمّ ذريـح العبديّـة وأُمّ الـبراء) اللتـين اشـتهرتا بمنـاصرة الإمـام عليـه السَّـلام ومناهضـة معاويـة بـن أبي سـفيان في حـضرة هـذا الأخـير(١٣)، وفي هـذا الصـدد سـجّل ابـن عبـد ربّـه الأندلسي في كتابـه (العقـد الفريـد) فصـلاً ذكـر فيـه أدب الوافـدات عـلى معاويـة مـن نسـاء الشـيعة(١٤).

اشـتركت المـرأة الشـاعرة والخطيبـة في منـاحٍ متعـددة في تلبيّـة النـداء والولاء وبيعـة الإمـام عليـه السَّـلام، فكان لها صـوت مسـموع ورأي في الخلافـة وعقيدة تنافـح عنهـا فـترددت في الجـو الشـيعي أصـوات نسـائيّة منهـا (عكرشـة بنـت الأطـرش والزرقـاء بنـت عـدي وأُمِّ الخـير بنـت الحريـش وسـودة بنـت عـمارة وأُم سـنان بنـت خيثمـة ودارميـة الحجونيـة(١٥).

والمـرأة عامّـة سـجلت حضـوراً بشـخصها وبفنهـا الأدبي في واقعـة الغديـر، فعـلى المسـتوى الأُوَّل اتخـذت المـرأة علاقـة التفاعـل والمبايعـة بوصفهـا عرفـاً دينيّـاً اطـرد فيـه الانتـماء والعقيـدة في تلبيّـة دعـوة رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه في غديـر خـم لتنصيـب الإمـام عليـه السَّـلام خليفـة للأُمَّـة الإسـلامية،

فكان للمرأة حضورها كحال الرجل آنذاك، حيث ذكرت المدونات التاريخيّة في الحديث عن الغدير أنَّ هناك بيعةً للنساء وعلى المستوى الثاني، إذْ أمر النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله النساء بالبيعة لعليٍّ عليه السَّلام بإمرة المؤمنين وتهنئته، حيث أمر الرسول صلَّى الله عليه وآله (بإحضار إناء كبير فيه ماء وأنْ يُضرب عليه بستار، بحيث إنَّ النساء كنَّ يضعن أيديهن في الإناء خلف الستار وأمير المؤمنين عليه السَّلام يضع يده في الإناء من الجانب الآخر، وبهذه الصورة تمت بيعة النساء... فبايعته فاطمة الزهراء عليها السَّلام وأُمُّ هاني أُخت أمير المؤمنين وفاطمة بنت حمزة وأسماء بنت عميس، كما بايعه سائر النساء الحاضرات)(١٦).

المبحث الأُوَّل: الغدير في المدارات الشعريّة النُّسويّة

يمكن عدُّ مقولة (الحسّ السياسي) من أكثر الدوال في المعجم النُّسويّ اقتراناً بحديث الغدير وروايته وتداولاً في خطاب الشعر النسويّ؛ ولا سيّما بعد تفاقم الظواهر الاجتماعية المؤسّسة له من حروب ونزاعات دينية ومذهبية، ثمَّ مع تفشي سياسة الحكام المغتصبين للحقِّ الشرعي لآل الرسول صلوات الله عليهم بمظهرهم المظلم والمتسلّط على ربوع العالم الإسلامي.

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّنا لم نعثر على شعر نسويٍّ قيل في وقعة الغدير يوم حدوثها كما هو الحال في شعر حسان بن ثابت الذي عُدّت أبياته وثيقةً تاريخيةً، فما وجدناه من أشعار النساء أعطى تصوّراً عن واقعة الغدير، فقد ورد في مقطوعات متناثرة في متفرقات الأشعار الشيعية

وفي متضمنات الشعر السياسيِّ للمرأة مصبوغاً بصبغة الرثاء، فضلاً عن أُنموذج مديح آل البيت العلويِّ وهجاء أعدائهم لعصورٍ تلت حدث الغدير بقرون لاحقة، كما أنَّ جلَّ المصادر التي تبنّت جمع شعراء الغدير والأشعار التي قيل فيها نظير(موسوعة الغدير للأميني وموسوعة شعراء الغدير وأيضاً كتاب (مجالس الشعراء في الغدير) للعلامّة الأميني أيضاً)، فقد أشار الأميني عرضاً إلى شاعرة الغدير الوحيدة التي عثر لها على أبيات تحت عنوان (أبيات مجهولة) إذ يصرح: (وقد وقفنا على عدّة قصائد غديرية لغير واحد من شعراء القرن الرابع غير أنّا لم نعرف شيئاً عن أحوالهم وتاريخ حياتهم، فضربنا عنها صفحاً)(١٧).

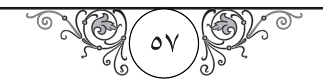
وهنا يطالعنا نصٌّ لشاعرة مجهولة الاسم أدرجها صاحبا موسوعة شعراء الغدير ضمن مستدرك شعراء القرن الخامس(١٨):

وفي خمٍّ إذ شال النبيُّ بضبعه   بحضرة أصحاب له ذات كثرة

فمن كنتُ مولاه فهذا وليُّه   فهل بعد هذا من بيان وشهرة

إذ نستشعر في تمثيل الشاعرة في غديريتها تركيزاً خاصّاً على تفاصيل الفضاء الزمكاني المحليين وعلى رمزية الحدث بأكمله (إذ شال النبيُّ بضبعه) والأصحاب والناس الحاضرين لوجوب البيعة وتنصيب أمير المؤمنين عليه السَّلام خليفة على نحو يفلح في نقل الانطباع بأنَّ الأمر في -هذه المرّة عند الغدير- عين البيان والوضوح، إذ يعكس أمر السّماء وليس بمقدور أحد تغافله أو نكرانه (فهل بعد هذا من بيان وشهرة).

وبالتأكيد لن تختفي نبرة الحجاج التي تمثّل بها الشعر الشيعي عامّة



وتمثلتهـا الرؤيـة النسـويّة بالحـسِّ السِّـياسي، وإنّ موضـوع الحجـاج في كلا البيتـين ينفتـح ثقافيـاً عـلى موضوعـات وإشـكاليات وثيقـة الصلـة بالـصراع الـذي افتعلتـه الخفائـر القرشـية بعـد وفـاة الرسـول الأعظـم، فالـصراع القائـم في البيتـين هـو صراع دينـيٌّ سـياسيٌّ بالدرجـة الأُولى واختزلـت النـبرة الحجاجيّة بوسـاطة سـلّم حجاجـيٍّ منـاطٍ بالمديـح والفخـر.

والحقيقـة أنَّـه عـلى الرغـم مـن شـحّ نـماذج شـعر المـرأة في الغديـر عـن طريـق الروايـات التـي سـتطالعنا – باسـتثناء النـزر القليـل جـداً – لكنّـه يمكـن أنْ يقـدّم نسـقاً ذا دلالـة ولائيـة للإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام والبيعـة لـه، فالمـرأة تضطلـع في الأبيـات الشـعرية المرويـة بـدور تكميـلي للتوثيـق التاريخـي في قبـال شـعر الرجـل.

وتتـوزّع دوائـر الشـعر النُّسـويّ الغديـري بـين ثلاثـة أنـماط رمزيـة تشـكّل برغـم مقطوعاتهـا وحـدة نصيّـة متجانسـة وبنـاءً أُسـلوبياً بليغـاً في التقاطهـا لسـير ديناميـة الحـدث الغديـري وهـي (شـعر السّياسـة والحـروب والحماسـة)، واتّضحـت معـالم المسـحة السّياسـية في شـعر المـرأة بشـكل أكثـر وضوحـاً عنـد دخولهـا ميادين الأغـراض الشـعرية نظـير أُنمـوذج المديـح والتجربـة الهجائيّـة وكأنَّ (المـرأة الشـاعرة وجـدت مـن ضرورات حياتهـا أنْ تشـارك في تلـك المواقـف التـي غلبـت عليهـا المسـحة السّياسـية فخاضـت المعـارك بشـعرها إلى جانـب مـا نهضـت بـه شـاعرات المغـازي مـن أدوار لسـانية بـارزة على طريقـة (عمـرة بنـت دريـد بـن الصمـة)، وكـما كان مـن شـعر صفيـة بنـت عبـد المطلب وشـعر نعـم بنـت سـعيد وأمامـة المزيريـة...)(١٩).

ومـن المشـاهد الشـعريّة مـا مثّلتـه أبيـات (أُمّ سـنان المذحجيّـة)(*) مـن الـولاء للأمـير والبيعـة لـه، بيـد أنَّ هـذا الاعتقـاد بـأنَّ البيعـة للإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام لا تنطبـق عـلى ذات بيعـة الغديـر وحدهـا بمكانهـا وزمانهـا، بـل عـلى مجمـل حيـاة الإمـام وبعـد استشـهاده وإلى يـوم النـاس هـذا، يـأتي الحس الولائـي بـما هـو انتـماء مذهبـيّ ومجـال عاطفـيّ وأحـد المثيرات الأساسـية للمنظومـة الجمعيّـة الشـيعيّة، ومـن هنـا كانـت البيعـة للإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام لم تتوقـف عنـد حـدود أشـعار الغديـر، بـل تمثّلهـا أبيـات الوقائـع والحـروب والغـزوات التـي شـهدها الإمـام عـليٌّ عليـه السَّـلام والتـي شـكّلت أثـيراً للحـبِّ والانتـماء والمبايعـة لـه عليـه السَّـلام وعليـه نقـف عنـد قـول الشـاعرة (أُمّ سـنان المذحجيّـة)(٢٠):

أمّـا هلكتَ أبـا الحسينِ فلم تـزلْ	بـالحـقِّ تُـعـرف هـاديـاً مـهديـا
فاذهب عليك صلاةُ ربِّكَ ما دعتْ	فـوق الـغـصـونِ حمـامـة قـمـريّـا
إذ كـنـتَ بـعـدَ محـمـدٍ خـلـفـاً كـما	أوصى إلـيـكَ بـنـا فـكـنـتَ وفـيـا
فـالـيـومَ لا خـلـفٌ يـؤمّـل بعده	هـيـهـاتَ نـأمـلُ بـعـده إنسيـا

إذ إنّ قولهـا: (إذ كنـتَ بعـدَ محمـدٍ خلفـاً كـما *** أوصى إليـكَ بنـا فكنـتَ وفيـا) مـا كان ليُمثّـل سـبيلاً إلى المبايعـة والـولاء، لـولا صـدوره عـن وعـي فطـريّ لـذاتٍ تسـعى إلى كشـف مـا اعتُمـل في فكرهـا ووجدانهـا عـن أُمـور دينهـا مـن أنَّ النبـيَّ محمّـداً صـلَّى الله عليـه وآلـه قـد أوصى بخلافـة الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام للأُمَّـة الإسـلاميّة مـن بعـده وبالطبـع سـيجلب هـذا القـول المرسَـل إلى المتلقـي كلَّ مهـارات الإقنـاع والبيـان والبرهـان بشـأن أحقيّـة

الإمام عليٍّ عليه السَّلام قائداً رسالياً للمسلمين بعد قائدهم الأعظم.

وعلى الطريق نفسه تسير الشاعرة الشيعية (سودة بنت عمارة الهمدانية) (*) التي وقفت هي الأُخرى بجانب الإمام عليٍّ عليه السَّلام في واقعة صفين وتحرّض أخاها على نصرة الإمام قائلة(٢١):

شمِّرْ كفعلِ أبيكَ يا بن عمارة	يومَ الطّعانِ وملتقى الأقرانِ
وانصُر عليَّاً والحسينَ ورهْطَهُ	وأقصدْ لهندٍ وابنها بهوانِ
إنّ الإمَامَ أخو النَّبيِّ مُحمدٍ	عَلمُ الهدى ومنارةُ الإيمانِ
فقُدْ الجيوشَ وسرْ أمام لوائِهِ	قُدُماً بأبيَضَ صارمٍ وسِنانِ

إنّ ألفاظاً لهذهِ نحو (شمِّرْ وانصُر عليَّاً وأقصدْ لهندٍ...) لا يعفي الشاعرة من ضرورة التمييز بين (السّمة السّياسيّة) التي باتت مكوّناً رئيساً في أيِّ نصٍّ أدبيٍّ نسويٍّ وبين (الولاء والمبايعة) بما هي خطاب مركزيّ يتأسّس على موضوعات هي بذاتها نظير (النصر، البيعة، الدفاع، الحبّ...)، وغيرها من الموضوعات التي يتقاطع بها في بنيتها الشعريّة المبنى الحكائي الذاتي بالسياق الخارجي بالسعي إلى التأريخ والاستعانة بواقع التجربة الدينية من قبيل السنّة وحديثها، إذ نجد قولها: (إنّ الإمَامَ أخو النَّبيِّ مُحمدٍ *** عَلمُ الهدى ومنارةُ الإيمانِ) يتساوّق تماماً مع حديث الرسول صلَّى الله عليه وآله في رواية بسند عن أبي المفضّل... (عن جابر بن عبد الله الأنصاري... قال: فقمت أنا وأبو أيوب ومعنا أنس بن مالك فقلنا: يا رسول الله من الشمس؟ قال: «أنا...»، فقال: «إنّ الله تعالى خلقنا وجعلنا بمنزلة نجوم السماء كلّما غاب نجم طلع نجم، فأنا الشمس فإذا ذهب

بي فتمسكوا بالقمر»، قلنا: فمن القمر؟ قال: «أخي ووصيي ووزيري وقاضي ديني وأبو ولدي وخليفتي في أهلي عليٌّ بن أبي طالب...»(٢٢)، ففي سياق نصّ الشاعرة إيحاء صوريٌّ متصل بالواقع ونمط التأثير الديني، فما زالت أحاديث الرسول صلَّى الله عليه وآله في فضل الإمام عليٍّ عليه السَّلام عالقة في الذهنية، فالقول المنجز كان في واقعة صفين؛ لذا كانت المفردات المنتقاة وازعاً على أحقية الخلافة والوصاية الرسالية للإمام عليٍّ عليه السَّلام لا غيره خليفة من بعد الرسول.

ومراسيم إعلان التولية للإمام عليٍّ عليه السَّلام في الخطاب النُّسويّ أنجز لحظته النوعية في واقعة الجمل وصفين وغيرهن من المشاهد، ولاسيّما مع تواتر تولي معاوية بن أبي سفيان للحكم عنوة، وقد تضمنت تلك الحقبة تبلور فنٍّ من فنون الأدب النُّسويّ ألا وهو (أدب الوفادات النَّسويّة)(٢٣)، إذ يُعدّ من سمات الأدب النُّسويّ الجديد في الأدب الإسلامي آنذاك، وفي حكم معاوية كانت هذه الظاهرة قد انتشرت وتبلورت، فوفدت الكثير من النساء على معاوية بن أبي سفيان، وتمثّل هذا الفن كلا الجنسين من الشعر والنثر، ومن الوافدات النساء بالخطاب الشعري (بَكَّارَة الهلاليَّة)(*) وهي القائلة(٢٤):

أتُرى ابنُ هِنْدٍ للخلافةِ مالِكاً ... هَيهات ذاك - وإنْ أراد- بَعيدُ
مَنَّتْك نفْسُك في الخَلاءِ ضَلالةً ... أغواكْ عَمْرو للشقا وسَعيْدُ
فارجعْ بأنْكَدَ طائِرٍ مَنْحُوسَةٍ ... لاقَتْ عَليّاً أسْعُدٌ وسُعُودُ

قولها: (أتُرى ابنُ هِنْدٍ للخلافةِ مالِكاً) الخلافة بهذا البيت تنازع

حـول معـاني الـولاء والبيعـة بـين ذواتـين، الحـقُّ (الإمـام عـليٌّ عليـه السَّـلام، والباطل (ابـن هنـد)، فتكثـر لسـياق بُعـد تـولي معاويـة لزمـام القيـادة نظـير (هَيهـات ذاك وإنْ أراد- بَعيـدُ فارجـعْ بأنْكَـدَ طائِـرٍ مَنْحُوسَـةٍ)، والجديـر هنـا أنَّ الكثافـة الخطابيـة للخلافـة تمثّـل عنـصراً في لحظـة الكشـف الفطـريّ للمتلقـي التـي تترجـم بواقعيـة المـآل الديني الـذي انتهـت إليـه الرسـالة المحمّديـة مـن أنَّ الإمـام عليّـاً عليـه السَّـلام هـو خليفـة مـن بعـد رسـول الأُمَّـة الأعظـم؛ لـذا تكتسـب الصـورة الشـعريّة هنـا اتجاهـين مباشريـن الأَوّل تاريخي-ثقـافي- يكثّـف علامـات التجـلّي المفـارق في الخلافـة في إطارهـا الزمنـي ويعيـد إنتـاج مرجعياتهـا الدينيـة وماهيتهـا الحسـيّة والمعنويّـة في ارتباطهـا بتـأزم الخطـوب السياسـية، والثـاني هـو ذات بُعـد اسـتشرافيٍّ يصـل صـورة -تسـلّم معاويـة وغـيره ممّـن تنصلـوا لمـكان السـلطة - وهـم عاجـزون عـن احتـواء صفـة الخلافـة وامتلاكهـا فحكمهـم مجـرد محطـة عبـور، فالمـكان والزمـان والشرعيـة لأصحـاب الحـقِّ وهـو أمـير المؤمنـين عـليّ بـن أبي طالـب عليـه السَّـلام.

وأيضاً هي القائلة:

قد كنتُ أطْمعُ أنْ أموتَ ولا أرى   فـوقَ المَنـابِـرِ مِـنْ أُمـيّـةَ خاطِبا

الشـاعرة بـكلا الخطابـين تصـدّر تجربتهـا عـن وعـي فطـري بالـولاء، والأُنمـوذج الثـاني يشـخص (الألم والـولاء) معـاً ويمتلـك مقوّمـات الخطـاب الواعـي الناضـج -للتجربـة الدينيـة - ومـا يسـتتبعها مـن اشـتغالٍ عـلى الخطـاب والشـخصيات والمحيـط:

قد كنتُ أطْمعُ أنْ أموتَ ولا أرى   فـوقَ المَنـابِـرِ مِـنْ أُمـيّـةَ خاطِبا

بيد أنَّ اشتغال الوجع في قولها استمد له ألماً هو نتاج لعمليات ينجزها آخر عدو (بنو أميّة قاطبة) من(اضطهاد وظلم وتسلّط ومصادرة...) بصرف النظر عن مضمون الألم للصورة ومدى اختزانه لموجبات الوجع واستثارته لعواطف الحبِّ والولاء وإشاعة الحق الذي رسمته السماء لآل البيت العلويّ بوصفهم قادة رساليين للأُمّة الإسلامية.

كما نستوحي صورة بيعة الغدير ونستجليها بطريق مباشر من خلال غديريات وضعت خاصّة في شأنية غدير الإمام عليٍّ عليه السَّلام في أدبيات الشعر النُّسويّ الحديث بما هي مجاز كبير لصور الولاء والبيعة، وقد اختصرت كلَّ الألق الفنيِّ والدينيّ والفكريّ والسياسيّ في تمثّلها للحظات الحبِّ والمبايعة للمولى عليٍّ عليه السَّلام، ومن أولئك الشاعرات الحديثات الملقّبة بـ(سعاد شرع الإسلام)(*)، وقد أدرجها صاحبا موسوعة شعراء الغدير في مستدرك شعراء الغدير في القرن الخامس عشر إذ تقول في غديريتها(٢٥):

أبت القوافي أن يطعن المنشدا ... عرف القريض متى يكون مزندا

عيّ اليراع واعترته لجاجة ... جف المداد فلن يعود مفرّدا

لمهابة اليوم العظيم وشأنه ... فيه الإله دعا الحبيب محمّدا

تبليغ جمع المسلمين بأمره ... يوم الغدير اختار فيهم سيدا

فأطاع أمر الله لبى قائلاً ... أدعو عليّاً للولاية عاقدا

لم يبقَ فرد مسلم إلّا وقد ... نادى عليّاً أبيضاً أو أسودا

نسب شريف هاشمي شامخ ... فاق الورى نسباً علاهم سؤددا

لبس البطولة طيلساناً أمردا فأحال شمس الشرك ليلاً سرمدا

وتجلبب الإقدام درع نزاله يمناه صاغت ذا الفقار مهندا

يا سيدي ناصرت دين محمّد فأقمت صرح الدين طوداً شاهدا

وتكوّنت غديريتها من ثمانية عشر بيتاً نسجت فيها صورة الغدير بطريقة التوليف التاريخي الذي يحقّق الحوارية المفترضة بين الذات المتكلّمة ومستقبِلها، من خلال تركيب وضعين سياقيين متنائيين في آن، إذ تمَّ رصف التاريخ الإسلامي بطريقة التأصيل التي تجعل منطق التوالي ينطوي على سمة التوثيق بين الألفاظ الدالة والواصفة لوضع المتلقي أمام واقعة الغدير وحالها عبر تكوّنها والتحضير ليومها من الأمر الإلهي والتبليغ الرسالي للأمر الإلهي نحو قولها:

لمهابة اليوم العظيم وشأنه فيه الإله دعا الحبيب محمدا

تبليغ جمع المسلمين بأمره يوم الغدير اختار فيهم سيدا

فأطاع أمر الله لبى قائلاً أدعو عليّاً للولاية عاقدا

لم يبقَ فرد مسلم إلّا وقد نادى عليّا أبيضاً أو أسودا

وحالها عن طريق تكوّنها في الزمن والذاكرة؛ لتلتقي بعد ذلك عند نقطة محور تلملم كلَّ التداعي الديني والثقافي والشخصي الراصدة في تشكيل هوية الغدير لصاحبها بوصفه منتخباً جديراً يليق بهذا التكليف والدور المناط به، وفي غضون ذلك تُؤثث الشاعرة نصّها بالصور المثبتة (كما ذُكرت آنفاً) للحظات التاريخية، وتنظر إليها من أُفق المدى الزمني البعيد حيث الإحساس الشعري يطلُّ على تحولات في رحلة العبور من

الوضـع الآني إلى مسـتوطن الوعـي (واقعـة الغديـر)، ثـم تـؤوّل أطوارهـا بـما يضفـي عليهـا بعـد المقدّمـات السـليمة والمبرهنـة لراهـن يـوم الغديـر ومـن ثـمَّ أهليـة الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام وأحقّيتـه خليفـة للأُمّـة الإسـلامية (لبس البطولـة طيلسـاناً أمـردا وتجلبب الإقـدام درع نزالـه يـا سـيدي نـاصرت ديـن محمّـد...) وغيرهـا مـن الصـور التـي توالـت في نصّهـا الغديـري.

كـما تتجـلّى صـورة الغديـر الشـعرية في أدبيـات الشـاعرة (نهلـة الكعبـي) (*) شـاعرة مـن شـعراء الغديـر في القـرن الخامـس عشر وشـيّدت نصوصهـا -الشـعرية عامّـة - تجربـة مثاليـة لتجـاذب القـوّة والحضـور الدينـي، إذ (تُوصـف مـن الشـاعرات التـي لهـا هوايـة في كتابـة الشـعر الحسـيني...)(٢٦)، إذ تقـول في إحـدى غديرياتهـا نُسـجت في سـبعة عـشر بيتـاً(٢٧):

عيدان ما تركا بهجة ... وكلُّ سروري لعيد الغدير
لكيما نوالي عليّاً به ... ومن لم يوالِ بئس المصير
أشار إليه نبيُّ الهدى ... لكي يعرفوا لمن ذا يشير
فهارون عون لموسى ومن؟ ... لنا كعليٍّ لطه وزير؟
ومن ذا لعمرو بن ودّ علا ... فأرداه ميتاً بكفّ صغير
ومن ذا لطه سواك افتدى ... فهموا لقتلك فوق السرير
آيا من له عمّ والذاريات ... وفي جنّة الخُلدِ ثوب حرير
ومن ردت الشمس طوعاً له ... فأدّى الصلاة بأمر القدير
سلوا النهروان عن المرتضى ... سلوا خيبر بابها يستجير
ومن ذا تصدّق عند الركوع ... وجاء بخاتمه للفقير

إلى أن تقول:

فلولاك ما قام دين لنا   وليس لمثلك شبه نظير
فسمّى لنا المصطفى أحمد   وحيدرة الطهر بدر منير
بأمر الإله عليٌّ أمير   وتشهد خمٌّ له في الغدير

تنتشر في هذا المقطع الشعري الصور التمثيليّة لبيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام وتاريخه المبارك وتغلب عليها صور البطولة المبجّلة والقدسيّة المنشودة من خلال تواترٍ لأسماء السور القرآنية وآياتها الواردة في شأن الإمام عليٍّ عليه السَّلام ثبت بمجملها لحظات تاريخية لم يستطع الزمن أن يصادرها، ودور هذه المصاحبة الصورية فيما نسجته الشاعرة من أبيات الولاء الغديرية هو التكثيف البياني والبرهاني، ومن ثمَّ لترفدها -الغدير- بمعين مرجعيٍّ يفاقم من إعطاء البيعة والنصرة للإمام.، كما أنَّ القوّة التاريخية التي استحضرتها الشاعرة من خلال الرموز الوقائعية للحروب التي خاضها الإمام تمنح الدهشة المخصومة للطرف المتعصب حين يمثل للعيان كياناً مرئياً قابلاً للمسِّ والحقيقة.

فضلاً عن ذلك لا يتوقف فضاء عن منح الشعور بالانتماء بما حواه البيت الأخير من النصّ الشعريِّ (بأمر الإله عليٌّ أمير *** وتشهد خمٌّ له في الغدير) من الحوار الضمني إلى الحوار الصريح المباشر ينبض بديناميـة الفعل الأمري الإلهي يؤطره الأُفق المكاني الحدثي وتخفق بين جوانحه أنفاس الحبِّ والولاء والبيعة.

ولها قصيدة غديرية أُخرى أُنشدت بمناسبة الغدير في حسينية الشيرازي

تقول فيهـا(٢٨):

يـزهـو الـغـديـر بـخـمٍّ يـوم بيعته	**كـما زهـا البيت في مـيـلاده الخضل**
خــمٌّ تـبـايـعـه جـبريـل بـايـعـه	**وبـايـع المصطفى داعٍ ويبتهل**
مـن كـنـت مـولى لـه مـولاه حيدرة	**هـذا الـذي باسمه الأقـمار تكتمل**

في هـذا النـصّ تعيـد الشـاعرة التذكـير بـما سـبق ذكـره، إذ يأخـذ خطابهـا خطـوة توضيحيـة أُخـرى فهـو يأخـذ اتّجاهـاً قدسـياً وتتمثّـل قدسـيته بالأمـر التكوينـي بـدءاً مـن اختيـار المـكان ومـن ثـمَّ بيعـة السـماء لـه تقـول: (خـم تبايعـه جبريـل بايعـه)، ولعـلَّ مـا اسـتحضرته الشـاعرة هنـا في صـورة الغديـر كان في سـياق مرجعيـات دينيـة بحتـة عـلى غـير مـا هـي عليـه مـن تمثـلات الغديـر في نصّهـا الأَوَّل الـذي هـو أقـرب إلى سـياق المرجعيـات التاريخيـة.

ونستشـف ممّـا سـبق أَنَّ كلَّ الفضـاءات الدينيّـة والثقافيّـة والسياسـيّة قدّمـت بمنطـق واقعـيٍّ مـع سـياقات الـذات المبدعـة في أُطـر عقديّـة ولائيّـة، فمـن أُطـر اللغـة التاريخيّـة إلى اللغـة الثقافيـة (الدينيـة) وكأنَّـما سردت هـذه سـياقات في الوعـي الفـردي في تقاطبهـا؛ لتسـجّل دراما واقعـة الغديـر في هـذه المسـيرة الجدليـة التـي صنعهـا التاريخـي المعـارض والمتصـدّي للقيـادة الرسـالية لآل الرسـول صلَّى الله عليـه وآلـه؛ ولتذكـي روح الانتـماء برؤيـة الـولاء بفطرتهـا وبتوهـج الذاكـرة والمرجعيّـة الدينيّـة التاريخيّـة في ذاتهـا.

المبحث الثاني: الغدير في المدارات النثرية النسويّة

غنـيٌّ عـن البيـان وكـما ألمحنـا إليـه في الجانـب الشـعري للمـرأة، أنّ احتجـاج

الشيعة بخلافة الإمام عليٍّ عليه السَّلام وأحقيته له هي الخيط الناسج للنصِّ الأدبي الإبداعي، فالأحاسيس والمواقف التي حفلت بها الأعمال الأدبية من أُمَّهات دواوين الشعراء تبقى متعلّقة في عمقها بهذه الجدلية بين الحقِّ ومغتصبيه، من هنا المرأة الأديبة لم تعتذر عن ذلك الجدال، وبقي ذلك الاحتجاج هو الأفكار الأساسية التي نهضت عليها أدبيات النساء ولا سيّما في الركن النثري، وعليه ومنذ ذلك الزمن نشأت الخطب والمناظرات والحوارات وكان للنساء دور لا يمكن للجانب الأدبي إغفاله، وعليه ظهر في هذا الصدد ما يُسمى بأدب الوافدات، ذلك الفن ظهرت بوادره في العصر الإسلامي والأُموي وتميّز بظهوره عند الأديبات النساء، بل مثّل ظاهرة مبرّزة من مظاهر النثر النُّسويّ(٢٩)، وقد نما هذا الفن وانبرى عند تسلّم معاوية وغيره من الحكام لزمام خلافة الأُمَّة؛ لذا قيل: كانت جلّ الوافدات من أنصار عليٍّ عليه السَّلام حين وفدن على معاوية(٣٠)، وقد وصفت مثل (هذه الخطب داخلة في الخطابة الدينيّة والسياسيّة معاً لأنَّها تعتمد على أُصولٍ دينية وتتفرع عن مسائل مذهبية وتفرعت منها الخلافات حول المسائل السياسية)(٣١)، وقال القلقشندي في وصف حوار الوافدات وخطبهن: (والشاهد في هذه الحكايات كلامُ هؤلاء النسوة مع ما فيها من المراجعات والمخطابات والمقاولات والمحاورات الصالحة للاستشهاد...)(٣٢).

وقد قيل إنَّ للحركة الشيعية فضلاً في إظهار بعض الشخصيات النُّسويّة الموالية للإمام عليٍّ عليه السَّلام ولأهل بيته، وقد امتازت هؤلاء النساء

الأديبات ببلائهن في سبيل العقيدة بمقدرة خطابية اعتمدت على قدرة البيان في جلّ جوانبها(٣٣)، ونظير ذلك ما تبنته (أروى بنت الحارث بنت عبد الطلب) عندما وفدت على معاوية وكانت من أغلظ الوافدات عليه خطاباً(٣٤).

لنرتقي بطبيعة تمثّلنا لأُنموذج الأدب النُّسويّ بإطاره النثري -الخطابة- ما قالته السيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام واحتجت به على القوم في خطبتها التي تُعدُّ في ضمن أقوى ما قدّمه الأدب النُّسويّ، ولاسيما في مجال الخطابة وتحديداً في بيان واقعة الغدير، فكانت الخطبة هي الشاهد والمشهود والحجيّة في الآن نفسه، لطالما هي لم تعبر من الزمن القدر البعيد ممّا يؤكد جوهريتها التوصيلية؛ لما ميّزها من لحظة استثنائية في الخطاب، فهي عاصرت الرسول والإمام عليّاً، وحضرت الغدير وقدَّمت البيعة للإمام، وعليه شكّلت الخطبة مرجعاً أثيراً للرواية والخبر والسند فضلاً عن الاستبطان الأدبي في العصر الإسلامي، فتقول السيدة الزهراء عليها السَّلام في خطبتها محتجّة بحديث الغدير: وألطف طريق وقع لهذا الحديث -يعني حديث الغدير- ما حدثنا به أبو بكر محمّد بن عبد الله بن المحبِّ المقدسي... حدثتنا فاطمة وزينب وأُمُّ كلثوم بنات موسى بن جعفر... عن أُمِّ كلثوم عن فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله قالت: «أنسيتم يوم قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله يوم غدير خم: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه وقوله صلَّى الله عليه وآله: أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى»، وقد أخرجه أبو موسى المديني في كتابه

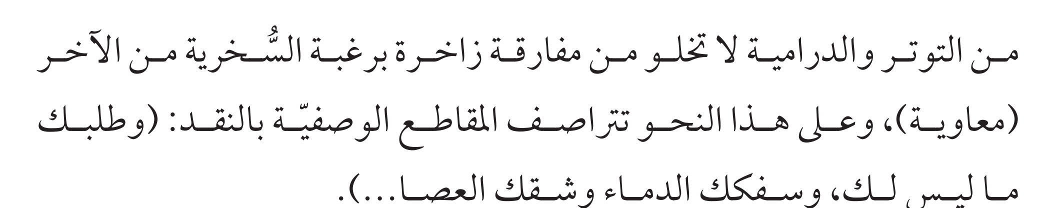
المسلسل بالأسماء، قال: فهو رواية خمس بنات أخٍ، كلُّ واحدة منهن عن عمّتها(٣٥).

تقدّم ثيمة الاستفهام مجموعة من الدلالات النسقيّة منها أنَّ مساءلة السيدة الزهراء للنموذج المضاد والمتصدّي لأمر الخلافة «أنسيتم يوم قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله يوم غدير خم: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، لم يكن سؤالاً اعتباطياً أوعبثياً، وإنّما جاء ليكرّس إشكالية أيديولوجية للموقف الديني إزاء قضية الخلافة والولاية، ومن ثمَّ جسّدت خطابها بأُنموذجين قدسيين أحدهما اليوم العظيم المشهود في التاريخ الإسلامي (واقعة غدير خم)، وتمثّل آخر بحديث النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، وقوله صلَّى الله عليه وآله: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى»، زد على ذلك فإنَّ تقنية الاستفهام تشير إلى مدى قبح هذا السلوك المخالف من قبل خفائر قريش للأمر الإلهي وأمر النبيِّ، فخطابها جسّد في حواره مع النموذج السُّلطوي صورة الرفض لرمزية فعله، وممارستها التي تمارسها بحقِّ آل النبيِّ لاستبعادهم وأقصائهم من حقِّهم الذي رسمته السماء إليهم.

ونعتقد أنَّ وعياً من هذا القبيل سيفضي إلى إدراك المضامين الفكريّة والعقديّة، فضلاً عن تمثّل صيغ تجلي تلك المضامين في الخطاب الغديري الولائي المولّد للتأثير الجمالي وذلك التجلي ظهر في كثير من الأعمال الأدبيّة الرائدة، ومن نحو ذلك ما أبدته الأديبة (دارمية الحجونية)(*) في خطبتها عند معاوية في التوثيق لحادثة الغدير، ومن ثمَّ المناشدة بها

والاحتجاج لولاية الإمام عليٍّ عليه السَّلام خليفة على المسلمين من بعد الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله، وما جاء في حوارها في ضمن خطبة عند معاوية نورد مختصراً منها (... قال: هل تعلمين لم دعوتكِ؟ قالت: يا سبحان الله وإنِّي لا أعلم الغيب، قال: لأسألكِ لم أحببتِ علياً وأبغضتني وواليته وعاديتني؟ قالت: أو تعفني؟ قال: لا، قالت: أما إذا أبيت فإنِّي أُحببت علياً على عدله في الرعية وقسمه بالسويّة، وأبغضكَ على قتال من هو أَولى بالأمر منكَ، وطلبكَ ما ليس لك، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله صلَّى الله عليه وآله من الولاية يوم خمٍّ بمشهدٍ منك وحبّه للمساكين وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا...)(٣٦).

وبخلاف ما كان عليه الأمر في خطبة السّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام من التقريرية المباشرة التي وظّفها أُسلوب الاستفهام، فمهام الخطاب كان على محمل الحجاجيّة والدور التبليغي، وهذا ما وظفته العبارة «أنسيتم؟»، بوصف السَّيدة الزهراء عليها السَّلام شاهداً على الواقعة والحديث، فضلاً عن أنّها من بيت الرسالة، فكانت المناشدة بحديث الغدير على وجه المطالبة بالحقِّ المرسوم لهم أمراً إلهياً، أمّا الخطيبة (دارميّة الحجونيّة) فتصوغ واقعة الغدير وحديثها بما هي مرتكز للأنا الشيعي الموالي وبما هي مرتكز للمفاضلة بين خليفة الله ووصيه الإمام عليٍّ عليه السَّلام وبين معاوية بما هو خليفة على أُسس غير شرعية، وفي مستوى التحليل هذا يجدر التنبيه على أنَّ سمة الحوارية وانفعاليتها بما تشترطه في السّياق



من التوتر والدرامية لا تخلو من مفارقة زاخرة برغبة السُّخرية من الآخر (معاوية)، وعلى هذا النحو تتراصف المقاطع الوصفيّة بالنقد: (وطلبك ما ليس لك، وسفكك الدماء وشقك العصا...).

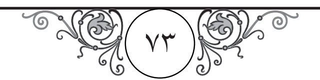
من هنا تدخل حوارية (داراميّة الحجونيّة) في السّيرة العطرة لخلافة عليٍّ عليه السَّلام في باب الإبداع الأدبي بثقل ذاكرتها وثراء ما تحتويه من تجربة، وعنف ما تقدمه من الرؤى والنقد الذي يؤرخ لوعي فئة الحاكم الذي يمدُّ يده لغير ما شرّع إليه.

ولو انتقلنا إلى خطيبة أُخرى سنجد أيضاً التقابل بين الإمام عليٍّ عليه السَّلام وبين معاوية - بوصفه حاكماً- هو مرتكز الخطابة النسّويّة ولاسيما في أدبيات الوفادة النُّسويّة، والتقابل هنا ليس في مسألة الاختلاف بين الفريقين فحسب، بل نجده اختلافاً في سلّم القيم والمبادئ والأُطر التي ينهض عليها، ومن النصوص التي تجلّت فيها الولاية بما هي مضمون فكري انصهر قوامها كلياً في وقعة الغدير وبيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام هو نصُّ الخطيبة (أروى بنت الحارث بن عبد المطلب)(*)، إذ تقول: (... لقد كفرتَ يدَ النعمة وأسأت لابن عمّك الصُّحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الإسلام، ولقد كفرتم بما جاء به محمّد صلَّى الله عليه وآله، فأتعس منكم الجدود وأضرع منكم الخدود وردّ الحقّ إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا صلَّى الله عليه وآله هو المنصور، فوليتم علينا من بعد - تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلَّى الله عليه وآله

أقـرب إليـه منكـم وأَولى بهـذا الأمـر- فكنّـا فيكـم بمنزلـة بنـي إسرائيـل في آل فرعـون، وكان عـليٌّ بـن أبي طالـب مـن بعـدُ بمنزلـة هـارون مـن موسـى، فغايتنـا الجنـة وغايتكـم النـار)(٣٧).

نقـرأ في النـصّ تاريخـاً مـن المرجعيات التاريخيّـة في شـأن - الإمـام عـليٍّ عليه السَّـلام- لمـن يتـولى زمـام الخلافـة بعـد رسـول الأُمَّـة، تاريخـاً ليـس بالمـدى البعيـد عـلى وفـاة الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه، تخللـه الكثـير مـن النزاعـات والصراعـات والخلافـات التـي أغنـت الأُمَّـة الإسـلاميّة منـذ السـقيفة وبنـي أُميّـة وبنـي العبـاس ومـا زالـت تغنيهـا فتقـول: (فوليتـم علينـا مـن بعـد - تحتجـون بقرابتكـم مـن رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه أقـرب إليه منكـم وأَولى بهـذا الأمـر)، وتلـك الجملـة المجازيـة تزّكـي مـا أشـارت إليـه أديبـات أُخـر في فقـرات خطبهـن مـن انطبـاق النّسـق الولائـي عـلى خطبهـن عـلى ثنائيـات أكثـر شـمولاً تنطلـق مـن الفـرد إلى الجماعـة كمسـتوى أول مـن التفاعـل، أمَّـا المسـتوى الثـاني: (فكنـا فيكـم بمنزلـة بنـي إسرائيـل في آل فرعـون، وكان عـليٌّ بـن أبي طالـب مـن بعـدُ بمنزلـة هـارون مـن موسـى)، كان التفاعـل النـصّيُّ مـع رصيـد النصـوص المتواتـرة نوعيـاً في بـاب بيـان أقـوال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه في يـوم الغديـر وذكـر مناقبـه وفضلـه، ومـن ثـمَّ إعـلان ولايتـه عـلى الأُمَّـة الإسـلاميّة خليفـة مـن بعـده، تفاعـلاً عـلى اعتبـار مـا يحدثـه الـولاء في بنيـة التمثيـل الخطـابي مـن التجـلّي في ماهيـة بيعـة الخطيبـة وإعلانهـا، بحيـث تتـشرب دلالـة التسـاوق والتجانـس النصّيـين.

وإذا وجدنـا هـذه الـدلالات مختزلـة في النـصّ الأدبي النُّسـويّ فـلا غرابـة في



ذلـك، لا لأنَّ الخطيبـة مثقّفـة عارفـة بالديـن والتاريـخ فحسـب، وإنَّـما أيضـاً لأنّ الخطـب النسـويّة نفسـها التـي كان يبـدع الحجـاج في سـياقها كانـت هـي الأُخـرى مثقلـة بـدلالات تلـك العلائـق، كـما نلحـظ أنَّ الحـوار بـين الخطيبـات المنـاصرات للإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام وبـين معاويـة كان مـن قبيـل المحـاورة، بوصفهـا مراجعـة في الـكلام، والغـرض منهـا الوصـول إلى الحـقِّ الـذي يعتقـده كلُّ طـرف(٣٨)، فضـلاً عـن ذلـك فـإنّ لخطـب النسـاء الوافـدات أسـباباً جوهريـة لهـا علاقـة بمبـادئ سياسـية كانـت تؤمـن بهـا كلٌّ منهـن، فلـم تكـن الخطيبـة تريـد جاهـاً أو مـالاً ولا منصبـاً، بـل كانـت تدافـع عـن موقـف معـيّن(٣٩).

وعـلاوة عـلى مـا تقـدّم يتضـح أنَّ معيـار الحجـاج مـن حيـث هـو حـدٌّ نقـديٌّ وآليـة تحليليـة يغـدو منهجـاً راجحـاً في إظهـار الـدوال النسـقيّة في الأدب النُّسـويِّ، فـإنَّ الخطبـة الاسـتدلاليّة الحجاجيّـة التـي تجلّـت بـأدب الخطيبـات الوافـدات كانـت تحمـل العنـاصر التـي وصفهـا الجرجـاني لوحـدة العمـل الأدبي(٤٠).

ومـن الجديـر بالذكـر أيضـاً ذكـره أنَّ نسـاء همـدان ومذحـج مـن المواليـات للإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام والمعتقـدات بإمامتـه، وقـد حـضرن في صفّـين وكـنّ يرتّجـزنَ بشـجاعة فائقـة، ومـن هـؤلاء النسـوّة (زرقـاء بنـت عـدي بـن قيـس الهمدانيـة)، مـن جملـة خطبهـا الحواريّـة مـع معاويـة: حـين قـال لهـا: (أولسـتِ تلـك المـرأة التـي كانـت عـلى الجمـل ذات الشـعر الأحمـر وكنـتِ تشـجعين قومـكِ للقيـام عـليَّ؟ قالـت: نعـم. فقـال معاويـة: فأنـتِ شريكـةٌ مـع عـليٍّ في

سفك هذه الدماء. فقالت زرقاء بشجاعة: لقد بشرتني خيراً...)(٤١).

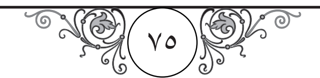
إذ يختصر هذا المقتطف أُطروحة الخطيبة عن جدليّة العلاقة بين أهل البيت عليهم السَّلام وبين مبغضهم (مغتصب حقِّ الخلافة) على النحو الذي يجعل الخطاب ينصرف إلى الكشف عن ملامح جديدة لأنساق الخطاب النُّسويّ لا تتصل بالضرورة بالمثيرات الدينية والعرقية فحسب، بل تفرز سمات مختلفة -الهوية، الأُلفة، الانصهار، التكافؤ، فضلاً عن الولاء والبيعة- أو موازية في الخطابات ذات المضامين القوميّة والهويّة المتجانسة مع الصوت الولائي.

الخاتمة

ظهر ممّا تقدّم عند الوقوف على عينات النصوص النسّويّة الشعريّة منها والنثرية بقديمها وحديثها الآتي:

- إنَّ الموجّه الخطابي للنصوص النُّسويّة هو التمثيل الواقعيُّ لحادثة مهمّة في تاريخ المسلمين ألا وهي بيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام التي تجلّت ما بين التقريريّة المباشرة والطريق الضمني التلميحي على المستويين الشعريّ والنثريّ، يتخللها الإطار السياسي مع الثيمة الحجاجيّة الاستدلاليّة التي اكتنفتها معظم النصوص الأدبيّة.

- كما أبدت المرأة موقفها الولائي من البيعة للإمام عليٍّ عليه السَّلام على أدوار متعددة، منها على سبيل الخبر والحديث ومن ثمَّ المناشدة بها، ومنها ما تضمنته الأغراض الشعريّة ولاسيّما غرض الرثاء الذي هو



الآخر أيضاً تضمّن السّمة السياسيّة والمضمون الحجاجي الذي ما خلا منه الأدب النُّسويّ عامّة والشّيعيّ خاصّة.

- انبرى صوت الأدب النُّسويّ الغديري على مدى صيرورته التاريخيّة ومدى دوره التاريخي في مجال -البيعة والولاء ومن التوثيق للحادثة- من جهتين: الأُولى منهما النصوص الخاصّة التي تضمنها الخطاب الشعري الذي كان حصيلة الواقعات الحربية التي حدثت بين الإمام عليٍّ عليه السَّلام ومعارضيه، وبعضها الآخر كان من قبيل الحوار الذي دار بين النساء الوافدات على خلفاء بني أُمية، والثاني منهما هو ما تضمنته النصوص النثريّة ولاسيّما الخطب لاحتواء البيعة للإمام تناغماً مع فلسفة الاحتجاج بحديث الغدير؛ لأنَّه جزء من النسيج الدينيّ والفكريّ.

- فقد صاغت خطابها الأدبي متكئةً على المرجعيات الدينيّة؛ بوصفها مصدراً أساسياً في أخذ الرواية والقول والحديث... ومن ثمَّ التاريخية؛ لتحاكي في أدبها عالماً وجودياً متنامياً ومتنوّع الظلال، يعكس في دلالاته حقيقة خلافة الإمام عليٍّ عليه السَّلام في المنظومة الإسلامية التي رسمها المصدر الإلهي والخط النبويُّ للمسلمين؛ بوصفه شخصاً مكلّفاً بمهمة النائب أو الخليفة، وقد تمثّل فيه المستوى العقدي درجة لم يبلغها أحد بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، د. عبد الحسين طه حميدة، مطبعة السعادة، مصر، ط٢ ١٩٦٨.

٣. أدبُ النّساء في الجاهليّة والإسلام، د. محمد بدر معبدي، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٨٣.

٤. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر كحالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (ب. ط) (ب. ت).

٥. أعلام النساء المؤمنات، محمد الحسون وأم علي مشكور، الناشر: دار الأسرة للطباعة والنشر، إيران - طهران ط٢ ١٢٢١هـ ق.

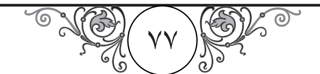
٦. الأمالي، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران- قم، ط١، ١٤١٤.

٧. بلاغات النساء، ابن طيفور، مكتبة بصيرتي، إيران - قم، ٢٠١٣، (ب. ط).

٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمّد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٣.

٩. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤.

١٠. تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر، مؤتمر النقد الدولي



الحادي عشر (٢٥ــ ٢٧/ ٧، ٢٠٠٦)، قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث الأردن- عمان ط١ ٢٠٠٨.

١١. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر - القاهرة، ٢٠١٥.

١٢. جمهرة النثر النُّسويّ في العصر الإسلامي والأُموي، د. ليلى محمّد ناظم الحيالي، مكتبة للبنان -ناشرون- بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

١٣. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب فواز، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر- القاهرة، ٢٠١٢، (ب. ط).

١٤. الدرّ المنثور من المأثور وغير المأثور، علي العاملي الجبعي، تحقيق: منصور الإبراهيمي، الناشر: المركز العالمي للعلوم والثقافة الإسلامية، إيران - طهران، ط١، ٢٠١٢.

١٥. دور القبائل اليمنية في الدفاع عن أهل البيت عليهم السَّلام في القرن الأوّل الهجري، أصغر منتظر القائم، ترجمة: نجاة العماد الناشر: المعاونيّة الثقافية، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السَّلام، أيران - قم، ط١، ٢٠١٢.

١٦. ديوان أشعار التشيُّع إلى القرن الثالث، التاسع، جمعه وحقّقه وقدّم له: الطَّيّب العشَّاشْ دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

١٧. شعر النساء في صدر الإسلام والعصر الأُموي، د. سعد بو فلاقة،

دار المناهل، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٧.

١٨. الشعر النِّسائي في أدبنا القديم، د. مي يوسف خليف، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٩١، (ب. ط).

١٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩١٣.

٢٠. الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، العلامة الأميني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٧٧.

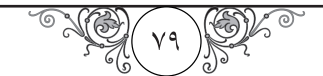
٢١. مشاهير شعراء الشيعة، عبد الحسين الشبستري، الناشر: المكتبة الأدبية المختصة، إيران - قم، ط١، ١٤٢١.

٢٢. المناشدة والاحتجاج بحديث الغدير، العلامة الأميني، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ٢٠١٤.

٢٣. موسوعة شعراء الغدير، رسول كاظم عبد السادة كريم جهاد الحساني، مطبعة التعارف، الناشر: العتبة العلوية المقدّسة، ط١، ٢٠١٠.

٢٤. النُّسويّة - قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، د. رياض القرشي، دار حضرموت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٠٧.

٢٥. نظرات في شعر صدر الإسلام، د. سامي مكيّ العانيّ، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢.



٢٦. هكـذا قرأتهـم، عبـد الهـادي الفضـلي، دار المرتـضى، بـيروت – لبنـان، ط١، ٢٠٠٣.

الدوريات

مـأزق المـرأة الشـاعرة قـراءة في الواقـع الثقـافي، د. نجمـة عبـد الله إدريـس، مجلـة عـالم الفكـر، المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب، الكويـت، المجلـد:٣٤، العـدد: ٢، ٢٠٠٥.

الهوامش

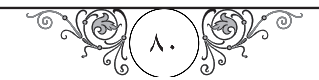
١- يُنظـر: شـعر المـرأة العربيـة المعـاصرة، نقـلاً عـن كتـاب شـعر المـرأة في عـصر الإسـلام، سـعد بـو فلاقـة: ٣٦.

٢- يُنظـر: مـأزق المـرأة الشـاعرة، د. نجمـة إدريـس، مجلـة عـالم الفكـر: ١٨٨.

٣- يُنظـر: مصطلـح (النُّسـوي في الدراسـات الأدبيّـة والنقديـة، مقاربـة في التسـمية، الأُصـول والـدلالات، د. باديـس فوغـالي: ١٠٢٦، ضمـن كتـاب تحـولات الخطـاب النقـدي العـربي المعـاصر، (مؤتمـر النقـد الـدولي الحـادي عـشر، ٢٥-٢٧/ ٧/ ٢٠٠٦).

٤- أعلام النِّساء في عالمي العرب والإسلام عمر كحاله: ١/ ٣٦.

(*) النسـوية: بشـكل عـام (هـي كلُّ جهـد نظـري أو عمـلي يهـدف إلى مراجعـة واسـتجواب أو نقـد أو تعديـل النظـام السـائد في البنيـات الاجتماعيـة،



الـذي يجعـل الرجـل هـو المركـز هـو الإنسـان والمـرأة جنسـاً ثانيـاً أو (آخـر) في منزلـة أدنـى)، يُنظـر: النُّسـويّة - قـراءة في الخلفيّـة المعرفيّـة لخطـاب المـرأة في الغـرب، د. ريـاض القـرشي: ٦٣.

٥- يُنظـر: مصطلـح (النسـويّ في الدراسـات الأدبيّـة والنقديّـة، مقاربـة في التسـمية، الأُصـول والـدلالات)، ١٠٢٧.

٦- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: ٣/ ٦٤.

٧- المصدر نفسه: ٣/ ٧٣.

٨- الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، العلامة الأميني: ١، ٢٥.

٩- المصدر نفسه: ٢، ١٠.

١٠- هكذا قرأتهم، عبد الهادي الفضلي: ٢، ٧٣.

١١- يُنظـر: أدب الشـيعة إلى نهايـة القـرن الثـاني الهجـري، د. عبـد الحسـين طـه حميـدة: ١٢٤.

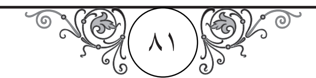
١٢- يُنظر: المصدر نفسه: ١٠٣.

١٣- يُنظـر: ديـوان أشـعار التشـيّع إلى القـرن الثالـث، التاسـع، الطَّيِّـب العشَّـاشْ: ٢٢.

١٤- يُنظر: أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري: ١٤٠.

١٥- يُنظر: المصدر نفسه: ١٣٩ و١٤٠.

١٦- بحار الأنوار العلامة المجلسي: ٢١، ٢٨٨.



١٧- الغدير في الكتاب والسنّة والأدب: ١، ١٧٦.

١٨- موسوعة شعراء الغدير رسول كاظم عبد السادة كريم جهاد الحساني: ١/ ١٢٣ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢/ ٢٣٦.

١٩- الشعر النسائي في أدبنا القديم، د. مي يوسف خليف: ٦٦.

(*) أُمُّ سنان المذحجيّة: أُمُّ سنان بنت خيثمة بن فرشة المذحجيّة، شاعرة عربية معروفة بفصاحة اللسان والشجاعة والجرأة، من المواليات للإمام عليٍّ عليه السَّلام، وحضرت معه واقعة صفين وأنشدت أبياتاً حماسيّة تحرِّض بها الرجال على قتال الأعداء والصبر في المعركة. يُنظر: أعلام النساء المؤمنات، محمد الحسون وأم علي مشكور: ١٦٩.

٢٠- بلاغات النساء، ابن طيفور: ٦٣، ومشاهير شعراء الشيعة، عبد الحسين الشبستري: ١، ٢٠٦.

(*)(سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية): شاعرة من شواعر العرب ذات فصاحة وبيان وهي من شيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام، جاهدت بلسانها وقالت كلمة الحقِّ أمام السلطان الجائر معاوية بن أبي سفيان. يُنظر: أعلام النساء المؤمنات: ٥٢٢ و٥٢٣. وقد ذكر ابن طيفور في رواية يرويها عن محمّد بن عبيد الله الخزامي قال: استأذنت سَوْدة بنت عمارة على معاوية فأذن لها، فلمّا دخلت عليه قال: هِيه بنت الأسك، ألست القائلة يوم صفين:

شمِّر كفعلِ أبيك يا بن عمارة يومَ الطعان وملتقى الأقران

وانـصر عـليـاً والحـسـينَ ورهـطَـه   واقـصـد لهـنـد وابـنـهـا بـهـــوان

بلاغـات النسـاء: ٣٠و٣١ وأعـلام النسـاء في عالمـي العـرب والإسـلام، عمـر كحالـة: ٢/ ٢٧٠.

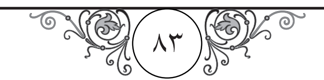
٢١- بلاغـات النسـاء: ٣٠و٣١ وأعـلام النسـاء في عالمـي العرب والإسـلام: ٢/ ٢٧٠.

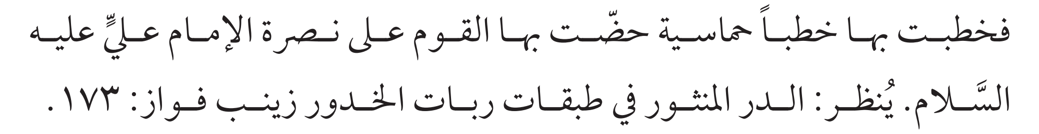
٢٢- الأمـالي الطـوسي: ٥١٧ (رقـم الروايـة: ١١٣١)، وفي مـورد آخـر «عليٌّ خليفـة رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه، إنّ أخـي ووصيّـي ووزيـري وخليفتـي في أهـلي عـليٌّ بـن أبي طالـب، يقـضي دينـي، وينجـز موعـدي، يـا بنـي هاشـم لا تبغضـوا عليّـاً ولا تخالفـوا أمـره فتضلّـوا...»، الأمـالي: ٦٠٢ (رقـم الروايـة: ١٢٤٤).

٢٣- يُنظـر: نظـرات في شـعر صـدر الإسـلام، د. سـامي مكـيّ العـانيّ: ١٣٦.

ومـن جانـب المـرأة الوافـدة يُوصـف خطابهـا بالفصاحـة وبلاغـة المعنـى والأُسـلوب المتـين فضـلاً عـن قـوّة التأثـير، ومـن الوافـدات النسـاء (بـكارة الهلاليـة أُمُّ سـنان الخثيمـة وليـلى الأخيليـة امـرأة أبي الأسـود الـدؤلي وأُمُّ الـبرّاء بنـت صفـوان عكرشـة بنـت رواحـة بـن الأطـرش).

(*) بَـكَّارَة الهلاليَّـة: مـن نسـاء العـرب الموصوفـات بالشـجاعة والإقـدام والفصاحـة والشـعر والنثر، كـما طرقـت أبـواب الخطابـة مـن أدبيـات العـصر الأُمـوي، نـاصرت الإمـام عليّـاً عليـه السَّـلام وكانـت بمعيتـه في وقعـة صفـين




فخطبت بها خطباً حماسية حضّت بها القوم على نصرة الإمام عليٍّ عليه السَّلام. يُنظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز: ١٧٣.

٢٤- الدرّ المنثور من المأثور وغير المأثور، علي العاملي الجبعي: ٢، ٥٣٧و٥٣٨.

٢٥- (*) سعاد عبد الأمير هادي شرع الإسلام: اشتهرت بلقب (سعاد شرع الإسلام)(١٣٥٧ ...)، شاعرة عربية عراقية النسب نجفية المولد والنشأة، قطنت أُسرتها محافظة البصرة أولاً ثمَّ نزحت إلى النّجف الأشرف أيّام هجوم الوهابيين على العتبات المقدّسة، عملت في الحقل التدريس الثانوي لسنوات، التحقت بالدراسة في الحوزة الدينية بالنجف الأشرف وتخصّصت في العلوم العربية واللغويّة والنحويّة والصرفيّة والقرآنيّة، ومن آثارها: ديوان شعر مخطوط اليتيم في المثل العربي طُبع سنة ٢٠٠٠، المجازات النبويّة للشريف الرضي قامت بإعرابها وتحليلها تحليلاً بلاغيّاً، وأيضاً تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي مخطوط قامت بإعرابه وتحليله، يُنظر: موسوعة شعراء الغدير: ٦، ١٨٣و١٨٤، موسوعة شعراء الغدير: ٦، ١٨٤و ١٨٥.

٢٦- (*) نهلة جواد كاظم عباس الكعبي (١٣٩٠ -...) من الشواعر العراقيّات، ولدت في النجف الأشرف ١٩٧٠، معلمة جامعة، توصف من الشاعرات التي لها هواية في كتابة الشعر الوطني وكلّ الأحداث التي مرّ بها العراق، وأوّل قصيدة نشرت في جريدة الفرات بعنوان (أسل دمعاً لفلسطين)، ومن آثارها: ديوان شعر مخطوط. يُنظر: موسوعة شعراء

الغديـر: ٦، ٥١٧.

٢٧- المصدر نفسه: ٦، ٥١٧ و٥١٨.

٢٨- المصدر نفسه: ٦، ٥١٨ و٥١٩.

٢٩- يُنظـر: جمهـرة النثـر النُّسـوي في العـصر الإسـلامي والأُمـوي، د. ليـلى محمـد ناظـم الحيـالي: ٣٤.

٣٠- يُنظر المصدر نفسه: ٣٢.

٣١- أدبُ النسّاء في الجاهلية والإسلام، د. محمد بدر معبدي: ١٢٠.

٣٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي: ١/ ٢٥٤.

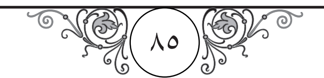
٣٣- يُنظر: أدبُ النسّاء في الجاهلية والإسلام: ١٢٠.

٣٤- يُنظر: جمهرة النثر النُّسوي في العصر الإسلامي والأُموي: ٨٥.

٣٥- الغديـر في الكتـاب والسّـنة والأدب: ١، ١٩٧و١٩٨ والمناشـدة والاحتجـاج بحديـث الغديـر العلامـة الأمينـي: ٧٢.

(*) دارميّـة الحجونيّـة: امـرأة مـن بنـي كنانـة درج اسـمها ضمـن لوحـة أدب الوافـدات ولا سـيّما الوافـدات عـلى معاويـة بـن أبي سـفيان مـن أديبـات في العـصر الأُمـوي. يُنظـر: بلاغـات النسـاء: ٧٢ والـدّر المنثـور مـن المأثـور وغـير المأثـور: ٢/ ٥٣٨ وجمهـرة خطـب العـرب في عصـور العربيـة الزاهـرة، أحمـد زكـي صفـوت: ٢/ ٣٦٧.

٣٦- المناشـدة والاحتجـاج بحديـث الغديـر: ٩٠و٩١ وبلاغـات النسـاء:





٧٠و٧١.

(*) أروى بنت الحارث بن عبد المطلب: في رواية هي أروى بنت الحارث بن عبد المطلب، من أديبات العصر الإسلامي الأَوّل وفدت على معاوية بن أبي سفيان مع من وفد من أنصار الإمام عليٍّ عليه السَّلام، واشتهرت بخطبها وحوارها وشعرها مع هند بنت عتبة في شعر النقائض. يُنظر: جمهرة النثر النسوي في العصرين الإسلامي والأُموي: ٨٥.

٣٧- بلاغات النساء:٢٧و٢٨ أدبُ النسّاء في الجاهلية والإسلام: ١٤٦و١٤٧ وأعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: ١، ٢٨ والدّر المنثور من المأثور وغير المأثور: ٢/ ٥٤٤.

٣٨- أدبُ النسّاء في الجاهلية والإسلام: ١٢٥.

٣٩- جمهرة النثر النُّسوي في العصرين الإسلامي والأُموي:٢١.

٤٠- المصدر نفسه:٢١.

٤١- دور القبائل اليمنية في الدفاع عن أهل البيت عليهم السَّلام في القرن الأَوّل الهجري، أصغر منتظر القائم، ترجمة: نجاة العماد: ٤٣٤.

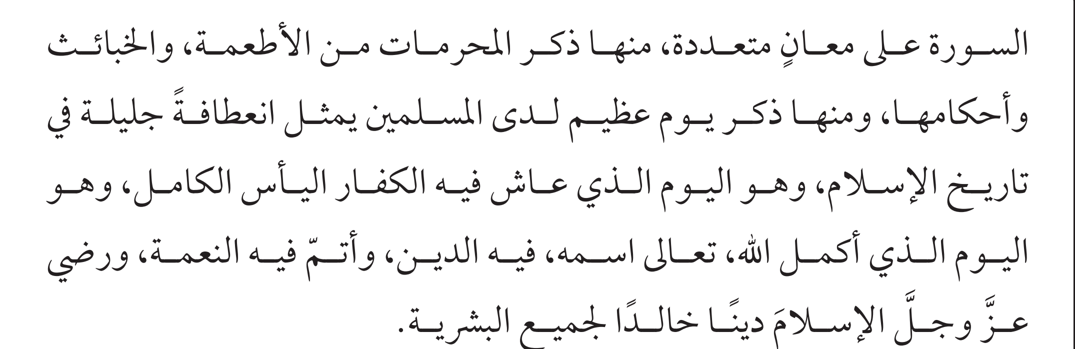


آية إكمال الدين مقاربة دلاليّة في حدود النّصّ وآفاق التّفسير

م. م. عدنان محمد شندي البنداويّ

توطئة..

غنيٌّ عن البيان أَنَّ القرآن الكريم أهمّ دوافع نشأة الدرس اللغويّ عند العرب، وأُسلوب نظمه من أهم الأنماط التي درسها علماء العربيّة بعلومها المختلفة، وبذلوا فيها جهودًا جليلةً أَسهمت في الحفاظ على اللغة العربيّة وآليات ضبطها وقواعد صيانتها، وهو ما أَدَّى- بشكل من الأشكال- إلى الحفاظ على معاني القرآن الكريم وما ترمي إليه، ذلك بأنّ قسمًا من الآيات القرآنية الشريفة تبقى مبهمةً وملبِسةً إذا لم تُفسر عن طريق علوم اللغة، فضلًا عن الأُمور الفقهيّة والعباديّة وغير ذلك، ومن المعلوم أنّ أهمّ مزيّة تميّز القرآن الكريم أنّه معجز، واللغة أقوى دعامة تؤكد إعجازه، ولذلك فإنّ تناولَ الآيات القرآنيّة والتعاملَ معها لا بُدَّ أنْ يكون دقيقاً وعلى مستوى عالٍ من الحذر والتثبّت؛ لأنّه تعاملٌ مع أقدس النّصوص وأعلى مظاهر اللّغة وأرقاها، وخير دليل ومثال على ذلك النظر في الآية الثالثة من سورة المائدة المباركة، فهذه السورة بعمومها تناولت مسائل متعددة، منها ما يخصّ جانب التشريعات، ومنها ما يخصّ جانب العقيدة، ومنها ما يخصّ قصص السابقين من أهل الكتاب، وغير ذلك، أَمَّا على الوجه الخاص فقد اشتملت الآية الثالثة من هذه


السورة على معانٍ متعددة، منها ذكر المحرمات من الأطعمة، والخبائث وأحكامها، ومنها ذكر يوم عظيم لدى المسلمين يمثل انعطافةً جليلة في تاريخ الإسلام، وهو اليوم الذي عاش فيه الكفار اليأس الكامل، وهو اليوم الذي أكمل الله، تعالى اسمه، فيه الدين، وأتمّ فيه النعمة، ورضي عزَّ وجلَّ الإسلامَ دينًا خالدًا لجميع البشرية.

ومن هذا المنطلق لا بُدَّ أن يكون التعامل مع هذه الآية بحذرٍ وتأمل وتثبّت حتى لا يقع الباحث فريسة للأهواء الشخصيّة والنظرة السطحيّة التي تقود البحثَ إلى التخبّط والضياع والتيه والخسران، ولتحقيق هذا الغرض سيكون البحث في هذه الآية على وفق مطلبين اثنين أحدهما (الوحدة الموضوعيّة للآية)، والآخر (دلالة كلمة اليوم) بعد أن ندرج نصَّ الآية الكريمة.

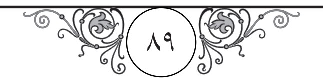
نصُّ الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة، الآية: ٣.

المطلب الأوّل: الوحدة الموضوعيّة للآية المباركة:

يشتمل نصّ الآية الكريمة على مضامين عدّة منها ذكر المحرمات من الأطعمة والخبائث وأحكامها، ويوم يأس الكفار من دين الإسلام، يوم إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربّ الإسلام ديناً، وأحكام الاضطرار والضرورات، وتبعًا لذلك التعدّد والتنوّع في المضامين تناول العلماء والمفسرون مسألة كون هذه الآية واحدةً أو أكثر من آية، وبعبارة أُخرى هل إنّ آية إكمال الدين آية مستقلة صريحة أو هي جزء من آية؟ والناظر المتفحّص والمتتبّع لما رواه المحدثّون والمفسّرون يلحظ أنّهم يذكرون (آية إكمال الدين) ويخصّونها بالحديث والنزول في حجّة الوداع ويوم الغدير على أنّها آية مستقلة وليست جزءاً من آية، في حين يكاد يكون هناك إجماع على أنّها هي وما ذكر من التّحريم قبلها آية واحدة بلا خلاف كما يصرّح بذلك الشيخ الطوسيّ[1]، وكأنّ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، قد أُقحم إقحامًا في هذا الموضع في آية تحريم اللحوم والخبائث وأحكامها بحيث إنّها لو رفعت لما نقص من معنى الآية شيء ويبقى السياق متسلسلًا من الحديث عن المحرمات وأحكامها إلى الحديث عن الاضطرار والضرورات ولا خلل في معنى الآية وسياقها[2]، واعتقادًا بالقول بثبوت النصّ القرآنيّ

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة الطوسّي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، ٣/ ٤٢٨.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السّيد العلامة محمّد حسين الطباطبائيّ، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٥/ ١٧١، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى



وقدسيّته وحفظه وعدم تحريفه لا بُدَّ من البحث عن الأسرار المكنونة في مجيء التعبير القرآنيّ على هذه الصورة واستجلاء المقاصد من وراء ذلك الأُسلوب البديع، فنجد هناك اتجاهًا من العلماء والمفسرين يذهب إلى أنّ هذا النصّ ورد في سياق الآية الطبيعيّ، إذ يرى الزمخشريّ أنّ معنى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ يدلّ على الاستمرار في السياق والرّبط مع ما قبله، فبعد أن ذكر تعالى ذكرُه، المحرماتِ من اللحوم وأقسامها وأحكامها أراد أن يُطمئن المسلمين بقوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، فيقول إنّهم (يئسوا من أن يبطلوه وأن ترجعوا محلّلين لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم)[(١)]، ويتابع هذا الرأي أيضًا فخر الدين الرازيّ في تفسيره الكبير، فيشير إلى أنّ معنى ذلك أنّهم (يئسوا من أن تحلّلوا هذه الخبائث بعد أنْ جعلها الله محرّمة)[(٢)]، وهو ما يراه الآلوسيّ أيضًا، إذ يقول في تفسير هذه الآية (والمراد انقطع رجاؤهم من إبطال دينكم ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها)[(٣)]، وفي الجانب الآخر يظهر هناك اتجاه من المفسرين

الموسويّ السبزواريّ، دار التفسير، قم، إيران، ط٥، ٢٠١٠: ١٠/ ٣٤١.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، ٢/ ١٩٦.

(٢) تفسير الفخر الرازيّ (المشهور بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨١، ١١/ ١٤٠.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسّي

يذهب إلى أنّ الآية في سياقها تشتمل على معنًى عجيبٍ للناظر المتأمّل فصدر الآية، أعني قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ وذيلها، أعني قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يكوّنان معنًى تامًّا غير متوقف في تمام معناه وإفادة المراد منه على شيء من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ باستمرار الآية، وهي بهذا الشكل تماثل آيات متقدمات عليها في النزول[1]، والآيات هي:

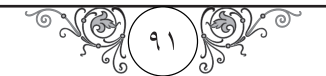
- قوله تعالى في الآية (١٤٥) من سورة الأنعام المباركة: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

- قوله تبارك اسمه في الآية (١١٥) من سورة النحل المباركة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

- قوله عزَّ من قائل في الآية (١٧٢) من سورة البقرة المباركة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ

البغداديّ، ت ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان، ٦/ ٦٠.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٧٠.





﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ومعنى ذلك أنَّ قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ وما بعده يشكّل كلامًا اعتراضيًّا موضوعًا في وسط هذه الآية من غير أنْ يتوقف عليه لفظ الآية في دلالتها وبيانها، ولا فرق في ذلك إنْ كان نزولها في وسط الآية فتخلّلت بينها حين نزولها أو أنّ النبيّ محمدًا- صلّى الله عليه وآله وسلَّم- هو الذي أمر كتّاب الوحي بوضعها في هذا الموضع مع انفصال الآيتين واختلافهما نزولًا[1]، وهذا ما يذهب إليه عدد من المفسرين كالشيخ الطبرسي والسيد عبد الأعلى السبزواري[2]، والسيد عبد الأعلى السبزواريّ في مواهب الرحمن[3]، والسيد عبد الحسين شرف الدين[4]، ومما يؤيد ذلك أنّ أكثر الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية - إنْ لم تكن كلّها- إنّما خصّت بالذكر قولَه تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من غير أن تتعرّض لأصل الآية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، وهو ما يتّخذه السَّيد الطباطبائيّ دليلًا للرأي القائل بنزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزولًا مستقلًّا منفصلًا

---

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٧٠.

(٢) تفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسّي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلاميّ، جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤٢٣هـ، ١/ ٤٧٥.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ١٠/ ٣٤١.

(٤) ينظر: فلسفة الميثاق والولاية، السيد عبد الحسين شرف الدين، ت ١٣٧٧هـ، تحقيق: علي جلال باقر، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠١١، ٣٣.

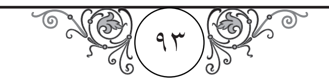
عن الصدر والذيل، وأنّ وقوعها في وسط الآية مستند إلى تأليف النبيّ صلَّى الله عليه وآله، ساندًا ذلك بما روي في الدرّ المنثور[1]، عن عبد بن حميد عن الشعبيّ قال: نزل على النبيِّ - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - وهو بعرفة قولُه تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وكان إذا أعجبته - عليه وعلى آله الصَّلاة والسَّلام - آياتٌ جعلهنّ صدر السُّورة، قال: وكان جبريل يعلمه كيف ينسك[2]، ولعلّ من نافلة القول الحديث عن قضية جمع القرآن الكريم وتدوينه، وترتيب السور والآيات، فمن المعلوم أنّ الآيات القرآنية - وكذلك السور الشريفة - لم تجمع كلّها مرتّبة بحسب النزول الزمنيّ، فهناك كثير من السور التي نزلت في المدينة وفيها آيات مكيّة والعكس وارد أيضًا[3].

وبناءً على هذا التأسيس واستجلاءً للسرِّ المكنون وراء هذا التعبير فيمكن القول: إنّ السبب في ورود قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ههنا في آية تشتمل على موضوع لا صلة له بها وهو موضوع بيان أحكام الحلال والحرام من اللحوم والخبائث من الأعمال، ربما جاء لصيانة الموضوع الأوَّل من أنْ تصل إليه يد التحريف والتلاعب

(١) ينظر: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطيّ، ت ٩١١هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ٥/ ١٨٢.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٧٠-١٧١.

(٣) ينظر: موجز علوم القرآن، الدكتور داود العطار، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٥م، ١٧٧-١٧٨.



والتغيير[1]، وهذا ممّا وعد به ربّ العزّة والجلالة بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر، الآية: ٩)، ولا نعدم لهذا الرأي ما يسنده في أُسلوب القرآن الكريم، فقد ورد في غير موضع من القرآن الكريم، فإذا ما أراد الله جلّ شأنه تبيان أمر جليل من الأُمور التي تشتمل على أهمية خاصة، أدرجه ضمن سياق آيات كريمة لِحِكم متعددة، وفي هذا الأُسلوب من النكت البلاغية المعهودة والمستحسنة عند أئمة علماء البلاغة والفصاحة، ومن أمثلة ورود هذا الأُسلوب في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٢-٣٤] فهذه الآيات الشريفة نزلت في بيان شأن نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومنزلتهنّ إلّا أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ جملة معترضة مختلفة الخطاب ذات دلالة واضحة الاستقلال عن سياق الآيات بناءً على ما تشتمل عليه من ضمائر المخاطبين، ودلالتها لا تتوقف على بقية الآية

---

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام، قم، إيران، ط١، ١٤٢٦هـ، ٣/ ٤٢٣- ٤٢٤.

الشريفة، إذ تبيّن قضية مهمة مختلفة تمامًا عمّا هي في سياقه وهي مسألة عصمة أهل بيت النبيِّ وإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم[1].

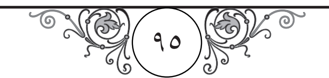
يتضح من ذلك، على وفق هذا الرأي، أنّ الآية مدار البحث تماثل شبيهاتها من آيات التحريم والاضطرار وأقحمت فيها آية اليأس وإكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الله الإسلام دينًا، ولا فرق في ذلك أنْ يكون ذلك من المُنزِل الحكيم أو من النبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو من كتّاب الوحي بأمر من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإنّه لا يضرّ بأصل هذا الرأي والمطلب في كون الكلام اعتراضيًّا إذا قيس إلى صدر الآية وذيلها[2].

المطلب الثاني: دلالة كلمة (اليوم):

اعتنى المفسرون من مختلف المذاهب الفقهيّة والمشارب الفكريّة ببيان دلالة كلمة (اليوم) الذي أشارت إليه الآية الكريمة، موضع بحثنا، وبذلوا جهودهم في معرفة المراد منها وذهبوا مذاهب متنوعة في تفسيرها، ويمكن إجمال تلك الآراء بطريقين، أحدهما ذهب إلى تفسير الكلمة مجردة من النظر إلى أسباب النزول ووقته ومناسبته، وإنَّما اكتفى بالنظر إلى مضمون الكلمة ومعناها، والطريق الآخر هو ما تعامل مع الكلمة في سياق النصّ القرآنيّ متمثلًا بالعودة إلى أسباب النزول والتاريخ والحديث

(١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ١٠/ ٣٤١.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٥/ ١٧٠-١٧١، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن، ١٠/ ٣٤٢.



والروايات المرويّة عن هذه الآية.

الطريق الأَوَّل: ذهب عدد من المفسرين إلى أنّ المراد من (اليوم) في هذه الآية الشريفة ليس ذلك اليوم الذي نزلت فيه بعينه حتى يقال إنّهم ما يئسوا قبله بيوم أو يومين، وإنّما المراد منه المرحلة أو البرهة من الزمن الحاضر وما يتّصل به من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابًّا وقد صرت اليوم شيخًا[١].

وتأسيسًا على هذا الفهم لا يقصد بـ (اليوم) هاهنا يوماً معيناً أو حادثة تاريخيّة خاصة لها دلالتها وأثرها الكبير، بل يشير إلى بداية مرحلة تحكي عن عظمة الإسلام ويأس الأعداء الكفار من السَّيطرة على هذه الدعوة الإلهيّة والرسالة السماويّة، بَيدَ أنّه لا توجد قرينة في النصّ تشير إلى ترجيح استعمال المعنى المجازيّ وصرف الاستعمال عن المعنى الحقيقيّ للكلمة.

الطريق الثاني: في هذا الجانب نجد عددًا من العلماء والمفسرين تناولوا دلالة كلمة (اليوم) في هذه الآية المباركة باعتبار دلالتها ومعناها الحقيقيّ من خلال الوقوف على دلالة الآية ومعرفة المراد من سياقها، وذلك يستدعي التعرف على مناسبة الآية وأسباب نزولها ومعرفة الوقائع والحوادث التاريخيّة إبّان وقت النزول، واستجماع كلّ تلك الظروف المحيطة بالنصّ للخروج بالمحصلة والمعنى المقصود من الكلمة، لأنّ التعامل مع النصّ القرآنيّ يتطلب التأمّل في مضامينه مقرونةً إليها القرائن الأُخرى التي تحيط بها، وفي ذلك أقوال نستعرضها في نقاط:

(١) ينظر: الكشاف، ٢/ ١٩٥، وجوامع الجامع، ١/ ٤٧٣، وتفسير الرازيّ، ١١/ ١٣٩.

- قيل إنّ المراد من اليوم هو (يوم عرفة) عصر الجمعة في حجّة الوداع، إذ يروى أنّه (قال أسباط عن السّدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله- صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم- فمات)[١]، وذكر السيوطيّ في الدر المنثور عن ابن جرير عن قتادة أنّه قال: إنّ هذه الآية (نزلت على رسول الله- صلّى الله عليه (وآله) وسلَّم- يوم عرفة، يوم جمعة حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام، وأخلص للمسلمين حجّهم)[٢]، وهذا الرأي لا يصمد أمام النّظر الدقيق والتحليل، ولا يحمل في مضمونه إقناعًا، إذ ما الموجب لأنْ يكون يوم عرفة هذا مختلفًا عن غيره من أيام عرفة الأُخر في السنوات السابقة؟ ولو كان يومًا كغيره ولم تحدث فيه حادثة خاصة لها أهميّتها العظيمة، فكيف يحمل هذا اليوم التعظيم والتبجيل الذي خصّته به هذه الآية؟

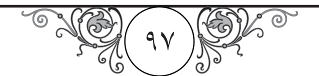
- من الآراء التي تداولها المفسّرون في بيان دلالة (اليوم) هو يوم (فتح مكة) ودخول المسلمين آمنين ظاهرين وهدم أركان الجاهليّة ومناسكهم ولا يحجّ معهم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[٣]، وهذا الرأي بعيد أيضًا عن القبول؛ إذ لا تسنده الأخبار والوقائع فعلى الرغم من أهمية يوم فتح مكة وهو يوم نصر عظيم للإسلام ولا اعتراض على ذلك، لكنَّ افتقار

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقيّ، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد السامي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، ٣/ ٢٦، وينظر: الكشاف، ٢/ ١٩٦.

(٢) الدرّ المنثور، ٥/ ١٨١.

(٣) ينظر: الكشاف، ٢/ ١٩٦، وروح المعاني، ٦/ ٦٠-٦١.



الـرأي إلى القرينـة والشـواهد التاريخيّـة هـو مـا يجعلـه معرّضًـا للتفنيـد، إذ نجـد أنّ قولـه تعـالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لا يعـيّن عـلى هـذا الفهـم، فالمـراد أنّـه لم يبـقَ شيء إلّا وتـمّ بيانـه في حـين أنّ كثـيراً مـن أحـكام الإسـلام وتعاليمـه نزلـت بعـد فتـح مكـة، وهـذا مـا لا يتّسـق وسـياق الآيـة[1].

- ومـن الآراء التـي قيلـت في هـذا المـورد أنّ المـراد بــ (اليـوم) هـو اليـوم الـذي بلغـت بـه (سـورة بـراءة)، وهـو يـوم تكليـف الإمـام أمـير المؤمنـين عـليّ بـن أبي طالـب عليـه السَّـلام بتبليـغ سـورة بـراءة في (منـى) السـنة التاسـعة للهجـرة بأمـر مـن السـماء، إذ يـروى أنّـه نـزل جبريـل عليـه السَّـلام عـلى النبـيِّ الكريـم محمَّـد صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم قائـلًا: «لا يبلّغهـا إلّا أنـت أو رجـل منـك»، وعـلى الرغـم مـن أهميـة هـذا اليـوم وهـو مـن الأيـام الجليلـة في الإسـلام، لكـنَّ الديـن لم يكمـل بـه وقـد نزلـت بعـده فرائـض وأحـكام ومنهـا مـا ورد في هـذه السـورة نفسـها التـي اتفـق المفسرون والمؤرخـون عـلى نزولهـا في آخـر عهـد النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم، وفيهـا شيء كثـير مـن أحـكام الحـلال والحـرام والحـدود والفرائـض[2].

- ومـن الآراء المهمَّـة التـي قيلـت في دلالـة (اليـوم) هـو أنّهـا تـدلُّ عـلى (يـوم الغديـر) وهـو اليـوم الـذي أعلـن فيـه النبـيُّ الكريـم محمَّـد صـلّى الله عليـه وآلـه وسـلّم ولايـة عـليٍّ بـن أبي طالـب عليـه السَّـلام وتنصيبـه خليفـة للمسـلمين

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٧٢، والإمامة، الشيخ مرتضى المطهّريّ، ترجمة جواد عليّ كسّار، دار الحوراء للطباعة، ١٤١.

(٢) ينظر: الدرّ المنثور، ٥/ ١٨١، والميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٧٢ – ١٧٣.

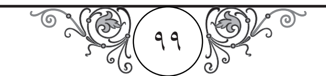
من بعده، إذ يروي عدد من المفسرين أنّ الآية إنَّما نزلت في يوم (غدير خم) يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة في السنة العاشرة من الهجرة في رجوع النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حجّة الوداع، عندما أمره الله عزَّ وجلَّ أنْ يُوقف المسلمين ويبلغهم ولاية عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام وتنصيبه خليفة للمسلمين من بعده، فقد روي في تفاسير المسلمين عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السَّلام (أنّه إنّما نزلت بعد أن نصب النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليًّا عليه السَّلام علمًا للأنام يوم غدير خم عند منصرفه من حجَّة الوداع، وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثمَّ لم ينزل بعدها فريضة)[1]، ويذكر العلامة الطباطبائيّ في الميزان (وهذا يؤيد ما ورد من الروايات أنّ الآية نزلت يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة عشر من الهجرة في أمر ولاية عليٍّ عليه السَّلام)[2].

ولعلّ هذا الرأي ممّا حظي بإجماع مفسّري الشيعة في تفاسيرهم[3]، إذ إنّه يتناسب مع محتوى الآية ومضمونها فيوم تنصيب النبيِّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السَّلام أميرَ المؤمنين بصورة علنيّة وبتكليف إلهيّ خليفةً له هو- بحقّ- ما أشعر الكفّار في هذا اليوم باليأس

(١) تفسير جوامع الجامع، ١/ ٤٧٤، وينظر: التبيان في تفسير القرآن، ٣/ ٤٣٥-٤٣٦.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٧٢-١٧٣.

(٣) ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، المحقّق العلاّمة الشيخ عبد المحسن الأمينيّ، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٢٩هـ، ١/ ٢٣٠.



الشديد والكامل، وقد كانوا يُمنّون أنفسهم ويوهمونها بأنّ دين الإسلام إنّما يقوم بوجود النبيِّ محمَّد صلّى الله عليه وآله وسلَّم وسينتهي بوفاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنّ الأوضاع ستعود حتمًا إلى ما كانت عليه في سابق عهدها أيّامَ الجاهليّة، لكنّهم حينما شاهدوا أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أوصى بالخلافة من بعده إلى رجلٍ كان فريدًا بين المسلمين في علمه وتقواه وشجاعته ومكانته، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام ورأوا النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يأخذ له البيعة، أحاط بهم اليأس وغلب عليهم، وفقدوا الأمل من إيقاع الشرّ بالإسلام ومستقبله، وأدركوا أنّ هذا الدين باقٍ محفوظ[1].

ومن الغريب مع كثرة الروايات الواردة من طريق مفسّري العامة فقد أحصى المحقّق الشيخ العلامة الأمينيّ في كتابه القيّم (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) ست عشرة رواية من طرق العامة تنصّ على نزول آية إكمال الدين يوم الغدير في أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام[2]، أقول من الغريب مع كلِّ تلك الروايات أنْ نجد عددًا من مفسّري العامة من ينكر هذه الأخبار أو يتجاهل هذه الروايات، فمثلًا نجد الفخر الرازيّ ينكر نزول هذه الآية في ولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام، ويذكر أنّ القائلين بهذا الرأي هم فقط من يسميهم (الرافضة)،

(١) ينظر: الأمثل، ٣/ ٤١٩.

(٢) ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٢٩هـ، ١/ ٢٣٠-٢٣٨.

وأنّ ادعاء هذا النصّ كذب[1]، وكذلك ما نجده عند الآلوسيّ في تفسير روح المعاني، إذ يصف هذه الروايات بأنّها موضوعة وغير صحيحة وهي من مفتريات الشيعة فيقول: (وأخرج الشيعة عن أبي سعيد الخدريّ أنّ هذه الآية نزلت بعد أن قال النبيُّ- صلَّى الله تعالى عليه (وآله) وسلّم- لعليّ- كرّم الله تعالى وجهه- في غدير خم: مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، فلمَّا نزلت قال (عليه الصلاة والسلام): «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الربّ برسالتي وولاية عليّ (كرّم الله تعالى وجهه) بعدي»، ولا يخفى أنّ هذا من مفترياتهم)[2]، في حين أنّه ورد ما يدحض زعمهما في كثير من الروايات من طرق العامة، ومن ذلك ما أورده السيوطيّ عن أبي سعيد الخدريّ يقول (إنّه لما نصب رسول الله- صلّى الله عليه (وآله) وسلَّم- عليًّا (عليه السَّلام) يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل عليه بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾)[3]، وفي السياق نفسه ينقل رواية أُخرى يقول: (أخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشرة من ذي الحجّة، قال النبيُّ- صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم-: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فأنزل الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

(١) ينظر: تفسير الرازيّ، ١١/ ١٤١-١٤٢.

(٢) روح المعاني، ٦/ ٦١.

(٣) الدرّ المنثور، ٥/ ١٨٦.

دِينَكُمْ﴾)(١).

ولأهمّيّة هذا اليوم في حياة الأُمَّة الإسلاميَّة ولغرض العناية به والتأكيد عليه جاء السياق بتقديم الظرف (اليوم) في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ للدلالة على أهمّيّة هذا اليوم وتفخيم أمره وتبجيله وتعظيم شأنه لما يحمل من معنى انتقال الدين من مرحلة القيام بالقيّم الشخصيّ إلى مرحلة القيام بالقيّم النوعيّ، ومن صفة الظهور والحدوث إلى صفة البقاء والدوام(٢).

ولا يقاس تقديم الظرف في هذا السياق على تقديمه في مواطن أُخرى من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ (المائدة/ ٥)، إذ إنّ المعنى بخلاف ما ورد في الآية موضع البحث ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أو ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ لأنّ سياق الآيتين مختلف فقوله ﴿اليوم يئس﴾ في سياق الاعتراض وقوله ﴿اليوم أحلّ﴾ في سياق الاستئناف، والحكمان مختلفان فحكم الأُولى تكوينيّ مشتمل على البشرى من وجهٍ، والتحذير من وجهٍ آخر، وحكم الثانية تشريعيّ منبئ عن الامتنان(٣).

وبهذا القدر يتمّ الحديث بما يسمح به المقام بشأن الآية الثالثة من

(١) المصدر نفسه، ٥/ ١٨٧.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٥/ ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

سورة المائدة المباركة وبيان الوحدة الموضوعيّة للآية ومعنى كلمة (اليوم) الواردة فيها مرتين، ولكنَّ الأسرار التي تكتنفها لا تنقضي والعجائب التي فيها لا تنتهي والحمد لله ربِّ العالمين.

الخاتمة:

بعد هذه السياحة المباركة في أجواء القرآن الكريم ورحاب الآية الثالثة من سورة المائدة المباركة يطيب لي أنْ أُسجّل أهمّ ما خرج به محصول البحث من نتائج:

- غنيٌّ عن البيان أنّ القرآن الكريم أهم دوافع نشأة اللغة وأُسلوب نظمه وبيانه من أهم الأنماط التي تناولها علماء العربيّة بالدرس على مرِّ العصور، ولا بُدَّ من التعامل مع النصِّ القرآنيّ ودراسته تعاملًا دقيقًا حذرًا وعلى مستوى عالٍ من التأمّل والتفكّر.

- بدا واضحًا خلال البحث أنّ القرآن الكريم إذا أراد بيان أمر جليل ينطوي على أهمية خاصة أدرجه ضمن سياق آيات ليست ذات صلة مباشرة به لصيانته من أن تصل إليه يد التحريف والتغيير، وهو سرّ من أسرار حفظ القرآن التي وعد بها الرحمن، ولا فرق في ذلك بين أن يكون ذلك من المنزل الحكيم أو من النبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

- إنّ التعرض لدراسة النصّ القرآنيّ تستدعي النظر إلى مضامينه بضميمة القرائن الأُخرى التي تحيط بالنصّ، مثل مناسبة الآية وأسباب نزولها ومعرفة الوقائع التاريخيّة واستجماع كلّ الظروف المحيطة بالنصّ للخروج

بالمحصلة والمعنى المراد.

ثبت المصادر:

القرآن الكريم.

- الإمامة، للشيخ مرتضى المطهّريّ، ترجمة: جواد علي كسار، دار الحوراء للطباعة.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزَل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام، قم، إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.

- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة الطوسيّ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، دار إحياء التراث العربيّ.

- تفسير جوامع الجامع، للشيخ الطبرسيّ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلاميّ، جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤٢٣هـ.

- تفسير الفخر الرازيّ المشهور بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٩٨١م.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقيّ، ت ٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمّد السامي، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطيّ، ت ٩١١هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسيّ البغداديّ، ت ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربيّ، لبنان.

- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، المحقق العلامة الشيخ عبد الحسين الأمينيّ، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٢٩هـ.

- فلسفة الميثاق والولاية، للسيد عبد الحسين شرف الدين، ت ١٣٧٧هـ، تحقيق: علي جلال باقر، مؤسسة أهل البيت عليهم السَّلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠١١م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ، ت ٥٣٨هـ، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السّيد عبد الأعلى الموسويّ السبزواريّ، دار التفسير، قم، إيران، ط٥، ٢٠١٠م.

- موجز علوم القرآن، الدكتور داود العطار، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٥م.

- الميزان في تفسير القرآن: السَّيد العلامة محمّد حسين الطباطبائيّ، مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.



عيد الغدير في الشعر الكاظمي (١٢٤٠ ـ ١٤٤٠هـ)

المهندس عبد الكريم عبد الرسول غانم الدباغ

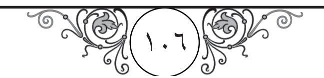
المقدّمة

بسمه تعالى

حفل تاريخنا الإسلامي بأحداث مختلفة، امتدت منذ بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وإلى يوم الناس هذا، وقد تفاوتت أهميتها بتفاوت الشخصيات المشاركة فيها، ومدى تأثيرها على الدين والعقيدة والمبادئ.

ومن أهم الأحداث التي تجسّدت فيها هذه العوامل، الحادث الذي وقع في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة الحرام، في السنة العاشرة للهجرة النبويّة، بعد إتمام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله حجّه في مكّة، وتوجهه إلى المدينة، حيث نزل - بأمر الله - في بقعة تسمّى (غدير خم)، وأمر جميع المسلمين بالتجمّع فيها، ونزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، فخطب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله، خطبته الشهيرة، ونصّب عليًّا خليفة للمسلمين بعده.

ومن المجالات التي وثّقت هذه الحادثة - بعد الكتاب والسنّة- الشعر، وقد ذكر العلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني، في موسوعته الخالدة (الغدير)، شعراء الغدير وشعرهم وترجمتهم، من القرن الأوّل



حتى القرن الثاني عشر.

وممّن نظم في (عيد الغدير) الشعراء الكاظميون، إذ أحيوا بقصائدهم هذه المناسبة العظيمة، وشاركوا في المهرجانات الخاصة بها، أو ضمّنوها في دواوينهم الشعريّة، أو نشروها على صفحات الصحف والمجلات.

سيغطي هذا البحث مدّة قرن من الزمان (١٣٤٠ - ١٤٤٠هـ)، وسيضم محورين:

الأوّل: ما قال الشعراء الكاظميون في الغدير، والمنشور في وسائل النشر المختلفة، مع الإشارة إليها في مواضعها، وسيكون الاستشهاد بالشعر مختصرًا جدًا، كونه منشورًا.

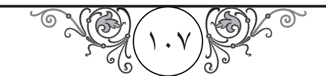
الثاني: ما قالوه في هذه المناسبة من شعر، ولم ينشر، وسيكون الاستشهاد بالشعر بصورة أوسع.

وسيسبق إيراد الشواهد الشعرية، تعريف موجز جدًا بكلّ شاعر، وسيكون الترتيب على وفق تواريخ وفيات الشعراء، وعلى تواريخ ولاداتهم إنْ كانوا من الأحياء.

وموضوع البحث هذا، يندرج تحت المحور السابع، من محاور المؤتمر (الغدير والغديريّات في الأدب العربي).

المحور الأوّل: الشعر المنشور

لا بُدَّ في البداية أنْ أُشير إلى أنّ هناك عدّة معايير اعتمدت، في كيفية نسبة



الأشـخاص إلى المـدن، أمّـا التـي اعتمدهـا الباحـث هنـا، في نسـبة الشـعراء المذكوريـن في هـذا البحـث إلى الكاظميّـة، فسـتكون هـي نفسـها التـي أثبتهـا في مقدمـة كتابـه موسـوعة الشـعراء الكاظميـين (ج١ ص١٢).

١- السيّد محمد بن السيّد خضير آل شديد الحسيني (١٣١٢-١٣٦٦هـ):

ولـد في الكاظميـة، ونشـأ بهـا ودرس العلـوم العربيـة عـلى أسـاتذة مبرزيـن فيهـا، امتهـن الخطابـة حتـى اشـتهر في مختلـف المـدن العراقيـة، نظـم الشـعر في المناسـبات الاجتماعيـة والدينيـة[1].

فيـا سـائلي عـن خـصـال الـوصي ... فـخـذ في قـصـيدي منـهـا الـغـررْ

فـمـن نـصَّـبـوه بـيـوم الـغـديـر ... وطـاعـتـه الله فـيـهـا أمـرْ

ومــن بـايـعـوه وقـالـوا بـخ ... فـأنـت الإمــام الــذي يـنـتـظرْ

٢- الشيخ جعفر بن الشيخ محمد النقدي (١٣٠٣-١٣٧٠هـ):

ولـد في العـمارة، ودرس في النجـف، وسـكن الكاظميّـة، تـولّى القضـاء الشرعـي في مـدن عـدّة، وعضويـة التمييـز الشرعـي الجعفـري، لـه مؤلّفـات بعضهـا مطبـوع، منهـا: تاريـخ الكاظمـين[2].

يــومٌ بــه جـبـريـل جــاء مخـبرًا ... عــن ربّــهِ وهــو الـسـمـيعُ المـبـصرُ

يـا أيّهـا المـختـار بـلّـغ في الفتـى الـ ... كـرّار مـا قـد كـنـت قـبـل تـسـترُ

فـرقـى وكــفّ المـرتـضى في كـفّـه ... وغـدا يـنـادي والـبريّـة حـضّرُوا

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٦/ ٢٥٣.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة شعراء الغدير: ٣/ ١٢٩. وله أخريات غيرها ص ١٢٠ و١٢٤ و١٢٥.

٣- الشيخ محمد رضا ابن الشيخ محمد علي الخالصي (شالچي موسى) (١٣٠٢-١٣٧٠هـ):

ولد في الكاظمية، ونشأ في حجر أُسرته العلمية الأدبية، كان مغرماً بالمطالعة، ومن المهتمين بالشعر والأدب، وكانت له مكتبة جيدة، له مؤلّفات ومجموعات أدبيّة وديوان شعر[١].

يوم الغدير لم يزل إلى المعاد عيدُهُ
في كلِّ عام واجب على الورى تجديدُهُ
قل للذي يجحده قد ظهرت شهودُهُ

٤- الشيخ عبد المحسن ابن الشيخ عباس الخالصي (١٣١٣-١٣٧٠هـ):

ولد في الكاظمية، ونشأ في حجر أُسرته، درس على أبيه وعلى عدد من أعلام بلدته، وتتلمذ عليه بعض الأفاضل، وشارك في ثورة العشرين، له بعض المؤلفات والآثار الفقهية، ومجموع شعري[٢].

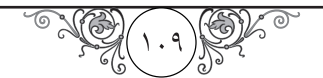
ونادى صادعًا فيما أتى من مُنزلِ الذكرِ
ألا من كنت مولاه فمولاه بلا نُكرِ
عليٌّ وارثي وهو الْـ ـلذي ولّيته أمري

٥- الشيخ راضي ابن الشيخ عبد الحسين آل ياسين (١٣١٤-١٣٧١هـ):

ولد في الكاظمية، ونشأ في بيت العلم والأدب، ودرس على فضلاء

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٦/ ٣٥٥. موسوعة شعراء الغدير: ٥/ ٢٧.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ١٥.





الكاظميّة، لـه مجموعـة مـن الإجـازات مـن أعـلام عـصره بالاجتهـاد والرواية، لـه مؤلّفـات عـدّة أشـهرها (صلـح الحسـن)[1].

إنَّ يـوم الـغـديـر تـاريـخ ديـن	- عـزّ ديـنًـا- ولـلـخلاف سجلُّ
سمع الـوحـي فيـه كـلّ وبعض	فـوعـاه بـعـضٌ وأنـكـر كـلُّ
كـان فيـه معسكران - فللحقْ	قِّ رفـاق- ولـلـضلالـة أهـلُ

٦- الحاج عبد الحسين ابن الحاج يوسف الأزري (١٢٩٧-١٣٧٤هـ):

ولـد في الكاظميـة، ودرس فيهـا العلـوم العربيـة والدينيـة، متتلمـذاً عـلى أعلامهـا، تعاطـى نظـم الشـعر، ولم يتفـرغ لـه بـل تعاطـى التجـارة، واشـتغل في السياسـة، وجـال جولـة في الصحافـة، لـه ديـوان مطبـوع[2].

إيـهٍ يـا مـوقـف الـغـديـر بخمٍّ	عـجـبًـا كـيف ضـاع ذاك الـنـداءُ
كـان ذكـرى يـومٍ تـرجّـاهُ عـيـدًا	كـلُّ مستضعفٍ فخـاب الـرجـاءُ
يـوم نـادت شريـعـة الله فـيـه	لـيـس إلّا لـلـعـادلـين الـولاءُ

٧- الشيخ كاظم ابن الشيخ سلمان آل نوح (١٣٠٢-١٣٧٩هـ):

ولـد في الكاظميـة، ودرس فيهـا العلـوم العربيـة والدينيـة، رقـى المنـبر الحسـيني وهـو فتـى، حتّـى أصبـح مـن مشـاهير خطبـاء عـصره، لـه مؤلّفـات مطبوعـة ومخطوطـة، وديوانـان مطبوعـان[3].

---

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٣/ ٣٨.

(٢) ديوان الحاج عبد الحسين الأزري: ٣١٩.

(٣) تنظر ترجمته في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ٣٧٤. القصيدة في الديوان في أهل البيت: ٣٥. وله أخريات.



أغـديـر خـمٍّ يـومـك المشـهـودُ شـهـدتـه مـنـهـم عــدّةٌ وعـديـدُ
كتبُ الحديث روت وإنّ صحاحهم روت الحـديـثَ وأنّـه مـوجـودُ
من كنت مـولاه صحيح عندهم فـعـليٌّ مــولاه أخـي وعـمـيـدُ

٨- المحامي عبد الغني بن كاظم الچلبي (١٣٢٨-١٣٨٢هـ):

ولـد في الكاظميـة، ودرس في المـدارس الحديثـة، وتخـرّج في كلّيـة الحقـوق، عمـل في مجـالي التعليـم والمحامـاة، لم يهتـم بجمـع شـعره، وكان ينظم باللسـانين الفصيـح والـدارج، وجلّـه في أهـل البيـت[1].

ولاؤك فـرض يـا عـليُّ عـلى المـلا بـه بـلـغ الهــادي بـخـم غـديـرِ
يـنـادي ألا مـن كنت مـولى لـه فذا عــليّ لــه مــولىً وخـيـر أمـيـرِ
بـه شـد أزري وهـو مني بموضع كهارون من موسى أخي ووزيري

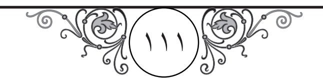
٩- السيّد هبة الدين الشهرستاني (١٣٠١-١٣٨٦هـ):

ولــد في ســامراء، ودرس في كربــلاء والنجــف، شــارك في حركــة الجهــاد ســنة ١٩١٤م وثــورة العشريــن، تقلّــد وزارة المعــارف، ورأس مجلــس التمييــز الجعفــري، أســس مكتبــة الجواديــن العامــة، ولــه مؤلّفــات كثــيرة[2].

ونـصّ الاسـتـخـلاف في يثرب بلْ وفي غـديـر بـتـواتـر وصـل
روى مـقـالـة الـعـدوّ والـولي (مـن كـنـت مـولاه فـمـولاه علي)

١٠- الشاعر جميل أحمد الكاظمي (١٣١٥-١٣٩٠هـ):

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٤/ ٤٢٤. وله أخرى ص ٤٣١.
(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة شعراء الغدير: ٥/ ٢٧٢. وله أخرى ص ٢٨٥.



ولد في الكاظمية، ودرس في المدارس التركية والإيرانيّة، واختلف إلى بعض علماء الكاظميّة، عمل موظفًا في وزارة المالية، وزاول الصحافة، له ديوان (آيات الحق والإخلاص) مطبوع[1].

هو صوت الحق في عيد به	رنّ صوت الحق فيما وجبا
ذاك يوم سمع الناس به	قولة زادت علياً رتبا
إنَّني من كنت مولاه فذا	هو مولاه ونعم المجتبى

١١- الأستاذ عبد الأمير بن عبد الحسين الشمّاع (١٣٢٥-١٣٩١هـ):

ولد في بغداد، وعاش مدّة في النجف، وسكن الكاظميّة، عمل مدرّسًا لمادة اللغة العربيّة، كان متولعاً بالشيخ محمّد جواد البلاغي، ولا ينفكُّ في كلِّ مناسبة عن مدحه، له ديوان شعر غير مطبوع[2].

إنَّ نيل المنى ونيل السرورِ	والأماني بيوم عيدِ الغديرِ
ذاكَ يومٌ تطيب فيه التهاني	ذاكَ يوم الهنا ويوم الحبورِ
ذاكَ يومٌ أجلُّ بالتعظيم	ذاكَ يوم التهليل والتكبيرِ

١٢- السيد عباس ابن السيد محمّد شبّر (١٣٢١-١٣٩١هـ):

ولد في البصرة، ودرس في النجف، وقام بواجباته الدينية في البصرة، ثمّ سكن الكاظميّة، تولّى منصب القضاء الشرعي في مدن عدّة، له دواوين

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ١/ ٣٤٤.موسوعة شعراء الغدير: ٣/ ١٣٨.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٤/ ١١٦.

مطبوعـة، وشـعر كثـير منشـور في المجـلات[١].

قـد تمـثّـلـت مـن وراء الـعـصـورِ	لـيـلـة أنـجـبـت نهـار الـغـديـرِ
لـيـلـة قـــدّرت لأمـــر خـطـير	فـهـي أخـــت لـيـلـة الـتـقـديـرِ

١٣- السيد هاشم ابن السيد عبد الحسين الحيدري (١٣٢٥-١٣٩١هـ):

ولـد في الكاظميـة، ونشـأ في بيـت ديـن وعلـم وأدب وجهـاد، تـدرّج في التحصيـل عـلى أيـدي فضـلاء الأسرة، وأعـلام البلـدة، تعاطـى العمـل التجـاري، وهـو إمـام الجماعـة في مسـجد يعـرف باسـمه[٢].

غـديـرُ خـمٍ عـيـدُنـا الأكـبرُ	فـيـه قـرابـينُ الهـوى تـنـحـرُ
خـلـيـفـةُ اللهِ عـلى خـلـقِـهِ	بـعـد الـنـبـيِّ المـصـطـفى حـيـدرُ
عـليٌّ المـولى بـه نـقـتـدي	وبـالمـوالاةِ لـه نـحـشرُ

١٤- السيّد محمّد هادي ابن السيّد عليّ الصدر (١٣٢٦-١٣٩٧هـ):

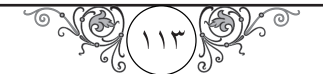
ولـد في الكاظميّـة، في بيـت علـم وديـن، ودرس فيهـا وفي النجـف، تـولّى منصـب القضـاء في مـدن عراقيّـة عـدّة، لـه ديـوان شـعريٌّ مطبـوع باسـم (خواطـر وسـوانح شـعريّة)[٣].

إذ قـامَ يـومَ غـديـرِ خُـمٍّ مُعلنًا	بـالـبـيـعـةِ الـكُـبرى لِخَـيرِ إمـامِ
مَـن كـنـتُ مـولاهُ فـهـذا المرتضى	مـولىً لـهُ بـالـنـصِّ والإلـزامِ
عـيـدٌ إذا قـيْـسـتْ بـهِ أعـيـادُنـا	شرَفًـا تـفـرَّدَ بـالمـقـامِ الـسـامي

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة شعراء الغدير: ٣/ ٣٨٨.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٨/ ١١٦.

(٣) تنظر ترجمته والقصيدة في خواطر وسوانح شعريّة: ١٠٢.



١٥- الشيخ حميد ابن الشيخ سعيد الجزائري (١٣٦٣-١٤٠٠هـ):

ولد في مدينة الرميثة، وأكمل دراسته الأوليّة هناك، ثم انتقل إلى بغداد لإكمال دراسته الجامعية، قام بإدارة مكتبة الجوادين العامة، له ديوان (رضاب الأحباب) مطبوع، حكمه النظام البائد بالإعدام[١].

أَلا بُورِكْتَ يا عيد الغديرِ ... ففِي الأعْيادِ مَالَكَ مِنْ نَظيرِ

وذِكْرُكَ خالدٌ بينَ البرايا ... يَشِعُّ سَنىً على مَرِّ العُصورِ

حَباكَ الله إجْلالًا وَقَدْرًا ... مَدَى الأزمانِ يا عيدَ السُّرورِ

١٦- السيّد علي نقي ابن السيّد أحمد الحيدري (١٣٢٥-١٤٠١هـ):

ولد في الكاظمية، ونشأ في بيت دين وعلم وأدب وجهاد، ودرس في الكاظميّة والنجف، وتتلمذ عليه جماعة من الأعلام، من مؤلفاته: أُصول الاستنباط، رأس جمعية منتدى النشر في الكاظمية[٢].

فيك قد قام دين طه البشيرِ ... ولقد تمَّ فيك يومُ الغديرِ

أكمل الله دينهُ بعليٍّ ... من عليه قد سلَّموا بالأميرِ

يوم آب النبيُّ بعد وداع الـ ... بيت إذ قامَ عند وقت الهجيرِ

١٧- الشاعر كاظم جواد الزهيري (١٣٦٦-١٤٠٢هـ):

ولد في الكاظمية، وأنهى دراسته الأوليّة فيها، ثمَّ تخرّج في كليّة أُصول الدين، كان يقيم المحافل الدينية، بما فيها ذكرى الغدير في داره، حكمه

---

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في ديوانه رضاب الأحباب: ٤٥. وله قصيدتان غير هذه، ص ٥٠ وص ٧٢.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ٢٧٢.

النظـام البائـد بالإعـدام[١].

في موكب ضمّ الألوف من الورى	بـ (غـديـر خـمّ) منبع الإرواءِ
قـد قـال فيـما قـال هـذا حيدر	مـولاكـمُ بـعـدي وربّ لـوائي
إنّ الخـليـفـة بـعـد أحمـد حيـدر	وبـه اكـتـمال الـديـن والآلاءِ

١٨- السـيّد نـور الديـن ابـن السـيّد عبـد المطّلـب الحيـدري (١٣٥٦-١٤٠٣هـ):

ولـد في بغـداد، ونشـأ عـلى أبيـه، دخـل المدرسـة الابتدائيـة، وبعـد تخرجـه منهـا، واصـل دراسـته الدينيـة عـلى أعـلام أُسرتـه، وفي النجـف الأشرف، حكمـه النظـام البائـد بالإعـدام[٢].

مـلـؤوهـا لا شـك في عـصر طه	حـيـنـما بـلّـغ بـيـوم الـغـديـرِ
في ولاء الـوصي إذ ذاك فـرضٌ	قـد أتـاه عـن الـعـلي الـكـبيرِ
بـايـعـوا المـرتـضى فـفـرض ولائـه	ذا وصـيـي ووارثـي ووزيـري

١٩- الدكتور السيّد داود ابن السيد سلمان العطار (١٣٤٩-١٤٠٣هـ):

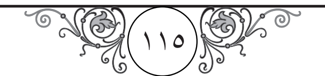
ولـد في الكاظميـة، وتـدرّج في تحصيلـه العلمـي، حتّـى حصـل عـلى شـهادة الدكتـوراه في القانـون، ناشـط في القضايـا الإسـلاميّة، واعتقـل مـرّات عـدّة، أسـهم في مشـاريع مختلفـة، ودرّس في محافـل جامعيّـة[٣].

---

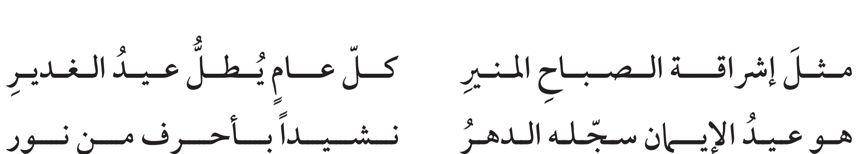
(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ٣٥٢.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٨/ ١٠٠. وموسوعة شعراء الغدير: ٧/ ٥٢١.

(٣) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٢/ ٤١٠.







مثلَ إشراقة الصباحِ المنيرِ ... كلَّ عامٍ يُطلُّ عيدُ الغديرِ

هو عيدُ الإيمان سجّله الدهرُ ... نشيداً بأحرف من نورِ

يوم قام النبيُّ يُعلنُ للناسِ ... قراراً من اللطيف الخبيرِ

٢٠- الشيخ علي نقي ابن الشيخ محمد تقي الخالصي (١٣١٣-١٤٠٨هـ):

ولد في الكاظمية، في بيت علم ودين وأدب وجهاد، وتتلمذ على أعلام أُسرته، أسهم في ثورة العشرين، له مؤلّفات مطبوعة، منها: الرياض الزاهرة في فضائل الرسول والعترة الطاهرة (شعر)(١).

يوم الغدير بك الإسلام قد نصرا ... ونال في حيدر العلياء والظفرا

يوم به راية الإسلام قد رفعت ... خفاقة واختفى الإلحاد واستترا

يوم به توج الكرار حيدرة ... بالعزِّ أحمد حيث الحق قد ظهرا

٢١- المحامي حسين الحاج غانم الدبّاغ (١٣٤٠-١٤٠٩هـ):

ولد في الكاظمية، وكان يعمل في النهار ويدرس في الليل، حتى تخرّج في كليّة الحقوق، لم يطبع ديوانه، ولكن له شعر منشور في المجلّات والجرائد، وألقى قصائده في أهل البيت في مناسباتها(٢).

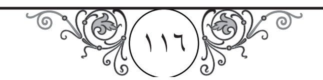
وحديث خمّ خلدته صحاحها ... وبذي الشواهد يكتفي العقلاءُ

يومٌ به وقف النبيُّ مخاطبًا ... تلك الجموع وكلُّها إصغاء

هذا أمير المؤمنين وليّكم ... هو للإمامة قدوة ومضاءُ

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ٢٨٤، وموسوعة شعراء الغدير: ٧/ ١٠٩.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٢/ ٢٨١.



٢٢- السيد حسن ابن السيد عدنان الغريفي (١٣٢٤-١٤١٠هـ):

ولد في المحمرة، ونشأ بها، وقرأ على أبيه وغيره، ودرس في النجف، ثمّ تنقّل بين المحمرة والبصرة، وأخيراً سكن الكاظميّة، يروي بالإجازة عن أعلام عصره، له مؤلّفات وديوان شعر غير مطبوع[1].

فدع النسيب لذي الهوى وأعد	ذكرى الغدير فإنّه المجدُ
يوم به وصّى الجليل إلى الـ	مختار قم بلّغ ولا تعدو
نادى وقد نزلت جموعهم	جرداء لم تثبت بها الأسدُ

٢٣- السيّد جواد ابن السيّد أمين الورد (١٣٣٧-١٤١٦هـ):

ولد في الكاظمية، ودرس في مدارسها، وتخرّج في دار المعلمين الابتدائيّة، ثمّ كلية الحقوق، ومارس التدريس، شارك في تأليف بعض الكتب المنهجيّة للمدارس، وله ديوان شعر لم يطبع[2].

عيدُ الغدير تحية وسلامُ	فبك استتم كماله الإسلامُ
ستدوم ما دام الزمان وإنّما	للحقِّ في هذا الدوام دوامُ
آي الكتاب أتت بذاك صريحة	لا يعتريها الشك والإبهامُ

٢٤- الشيخ حسن ابن الشيخ مرتضى الأسدي (١٣٣٠-١٤١٨هـ):

ولد في الكاظمية، ونشأ في بيت علم ودين وأدب، وتتلمذ على أعلام أُسرته وأساتذة بلدته، ترك آثاراً كثيرة أغلبها شعرية، لم يطبع منها إلّا

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٢/ ٥٤.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ١/ ٤٠١. وله قصيدة أخرى غير هذه ص ٣٨٩.



ديوان (المدامع الحمراء)، وهو في شهداء الطف[1].

يا عيد يومك أعظم الأيّامِ ... قامت عليه دعائم الإسلامِ

عهد النبيُّ بك العهود وبعده ... لم يُرع من عهدٍ له وذمامِ

ختم النبوة بالإمامة بعده ... وختامه بأخيه مسك ختامِ

٢٥- السيد طاهر ابن السيد سعيد الموسوي (١٣٤١-١٤٢٠هـ):

ولد في الكاظمية، ونشأ بها، ودرس فيها وفي النجف، أخذ الخطابة بنفسه لنفسه، حتّى أصبح خطيبًا مرموقًا، شارك بشعره في المناسبات الدينية، ولم يطبع له ديوان[2].

يا سائلًا عن براهين الإمامة إنْ ... تروم دليلًا لما قلنا ومستندا

سل الغديرَ الذي قد شاع حادثة ... مذ حلَّ فيه رسول الله ما شهدا

ما قال مذ رفعَ الكرّارُ بينهم ... حتّى رأوا إبطه الوضّاء والعضدا

٢٦- السيد محمد ابن السيد سلمان العطّار (١٣٤٤-١٤٢٤هـ):

ولد في الكاظمية، وتخرّج في كليّة الحقوق، وعمل موظفًا ومدرّسًا، له مؤلفات مطبوعة قانونية وأدبية واجتماعية، منها: مجموعة شعرية بعنوان (سبل النجاة من اليوم الثقيل) في النبيِّ وآله[3].

ربَّة الشعرِ للأنام أعيدي ... ذكريات الأمجاد في خيرِ عيدِ

---

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٢/ ١٥٧.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة شعراء الغدير: ٥/ ٧٣.

(٣) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٦/ ٤٢٢. وله قصيدة أخرى غيرها، ص ٤٤٠. وله أربع قصائد أخرى بهذه المناسبة في مجموعته (سبل النجاة).

انثري صفحةَ الغديرِ على الكو نِ وغنِّي بيومهِ المشهودِ
إنَّ يوم الغدير يوم عظيم هو فينا أحقّ بالتخليدِ

٢٧- الدكتور السيد عبد الصاحب ابن السيد حسين الموسوي الهندي (١٣٥٤-١٤٢٤هـ):

ولد في النجف، ودرس فيها، وسكن الكاظميّة، تدرّج في تحصيله حتّى حصل على شهادة الدكتوراه من الأزهر، عمل في حقل التعليم، له مؤلّفات بعضها مطبوع، ومنها دواوين شعريّة[1].

أأبا الميامين الهداة عزيزة ذكرى الغديرِ ونورها يتوقدُ
ما تمَّ دين محمد حين ارتقى ليبلِّغ النبأ العظيمَ محمدُ
«من كنت مولاه» وتلك لقولة صدعت بحقٍّ خالدٍ لا يُجْحَدُ

٢٨- الشيخ محمّد حسن ابن الشيخ محمّد رضا آل ياسين (١٣٥٠-١٤٢٧هـ):

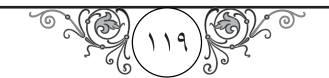
ولد في النجف، ودرس فيها على أبيه (المرجع) وعلمائها، وسكن الكاظميّة، وأثّر كثيراً في الحياة العلمية والثقافية والاجتماعيّة، ترك تراثًا علميًا ضخمًا تأليفًا وتحقيقًا، معظمه مطبوع[2].

وانقع القلبَ من غديرِ عليٍّ واستبق واردًا إليه وبادرْ
واشهد الحفل والنبيّ خطيب فيه ينهي أمرًا من الله صادرْ

---

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٤/ ٣٨٦.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٦/ ١٦٦، وموسوعة شعراء الغدير: ٧/ ٢١١.



شــارحًــا مــن جــلال حــيــدر متنًا	وقــف الــدهــر دونــه وهــو حــائــرْ

٢٩- الدكتـور السيد عبـد الأمـير بـن السـيّد محمّـد أمـين الـورد (١٣٥٢-١٤٢٧هـ):

ولـد في الكاظميـة، ودرس فيهـا، ثـمّ تـدرّج في دراسـته حتّـى حصـل عـلى شـهادة الدكتـوراه في اللغـة العربيّـة، وعمـل أسـتاذًا جامعيًّـا، أصـدر العديـد مـن الكتـب والدراسـات، ولـه ديـوان شـعر غـير مطبـوع[١].

إنَّــه الــعــيــد فــاعــبــقي يــا زهــورُ	تــوّج الــمــرتــضى وهــذا الــغــديــرُ
بهـجـة أشرقــت بــروض المــعــالي	فَــعَــمَّ الــدهــرَ مــن شــذاهــا العبيرُ
مــاجــت الأرضُ بــالــبــشــاشــةِ للعيــ	ــدِ وغــنّــت مــلء الجــنــان الحــورُ

٣٠- المحامي السيّد علي جليل الوردي (١٣٣٧-١٤٣٠هـ):

ولـد في (بشـت كـوة)، وعـاد إلى الكاظميّـة طفـلًا، ودرس حتّـى تخـرّج في كليّـة الحقـوق، عمـل في مهنـة آبائـه الصياغـة، ثـمّ موظفًـا، طبـع ديوانـه (طلائع الفجـر)، وطبـع ديوانـه (أنفـاس الـورد) بعـد وفاتـه[٢].

لـيـس في المـؤمـنـين أرفـع مجـدًا	مــن عــليّ بــعــد الــنــبــيّ الهــادي
حــيــدر جــوهــر الــفــضــيــلــة في الأر	ض ونــور الهــدى وسرّ الــرشــادِ
يــومــه في الــغــديــر لــلــحــقّ عيد	هــو تــالله أســعــد الأعــيــادِ

٣١- السـيّد فخـر الديـن ابـن السـيّد عـلي نقـي الحيـدري (١٣٥٤-

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٤/ ٢٠٣. وله قصيدة أخرى غيرها ص ١٩٥. وأبيات أُخر.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ٢١٢.

١٤٣٩هـ):

ولـد في الكاظميـة، في بيـت علـم وديـن وأدب، وترعـرع في ظلِّ أبيـه، ودرس عـلى يـد ثلـة مـن علـماء الكاظميّـة وبغـداد، تخـرّج في كليّـة أُصـول الديـن ببغـداد، شـارك في المناسـبات الدينيـة والأدبيّـة[١].

وبـيـوم الـغـديـر ذلـك سِـفْـر	خـلـدتـه الـعـصـور وقـعًـا جميلا
حـيـث نـصَّ الإلـهُ فـيـه بـأمـر	لـعـليّ فـأنـزل الـتـنـزيـلا
فـولائـي ولاؤه أبـد الـدهـر	لمـن قـد جـفـاه خـزيًـا طـويـلا

٣٢- السيّد طالب ابن السيّد هاشم الحيدري (١٣٤٦هـ):

ولـد في الكاظميـة، مـن أُسرة علـم وأدب وجهـاد واجتهـاد، وتتلمـذ عـلى أعلامهـا، ودرس في النجـف، مـن رُوّاد الشـعر العـربي في الأربعينـات والخمسـينات، بلغـت دواوينـه المطبوعـة أكثـر مـن عـشرة[٢].

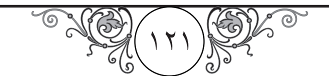
عـيـدُ يـومِ الـغـديـرِ أسـعـدُ عـيـدٍ	هـو لـلـحـقِّ صـارمٌ ويـراعُ
زورقٌ لـيـس فـيـهِ حـبُّ عـليٍّ	لـيـس يـنـجـيـه مـن ريـاحٍ شراعُ
مـا حيينا نـحـيـا الـغـديـرَ ونُحيـ	ـيـهِ ولـلأمـرِ في تـقـىً نـنـصـاعُ

٣٣- السيّد حسين ابن السيّد محمّد هادي الصدر (١٣٦٤هـ):

---

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ٣٢٤. وموسوعة شعراء الغدير: ٧/ ١٢٤.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٣/ ٣٦٠. وله غيرها ص ٣٤١ و٣٥٩. وله ديوان خاص في أمير المؤمنين باسم (الحيدريات)، فيه قصائد أخرى عن الغدير. وله غيرها غير منشورة، ستأتي.



ولد في الكاظمية، من أسرة علم ودين وأدب، ونشأ على والده، واصل دراسته حتى تخرّج في كليّة الحقوق، ودرس في النجف على علمائها، له مؤلّفات كثيرة مطبوعة[1].

عجنت طينتي بماء الغديرِ	وشعاري أنّ الوصيّ أميري
والينابيع من ولاء عليّ	قد سرت جوانحي وضميري
أرضعتني أُمّي هواه طهورًا	مرحًا بالهوى النديّ الطهورِ

٣٤- الدكتور محمّد حسين ابن الشيخ محمّد حسن آل ياسين (١٣٦٧هـ):

ولد في الكاظمية، من أُسرة علم ودين وأدب، ونشأ على والده، واصل دراسته حتى تخرّج في كليّة الآداب وحصل على الدكتوراه، وهو أُستاذ جامعي، له مؤلّفات ودواوين شعر مطبوعة[2].

إنَّ عيد الغدير أكبر عيد	فهو ما زال في الوجود مخلّدُ
أكمل الله دينه بعليّ	كلّما مرّ ذكره يتجدّدُ

٣٥- صبحي عيسى الشالچي (١٣٦٧هـ):

ولد في الكاظمية، ودرس في مدارسها، زاول الصياغة (مهنة جدّه وأخواله)، استهواه الشعر، فكان ينظم على السليقة، طبعت له مجموعة شعرية بعنوان (الشذرات الباقيات)[3].

يوم الغدير على البرية مشرقٌ	كالفجر ما بعد الدجنةِ إذ بدا

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة شعراء الغدير: ٦/ ١٢٦.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة شعراء الغدير: ٧/ ٢١٦.

(٣) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٣/ ٢٧٧.

قد فاح من زهرِ الولاء عبيره وبعزّه ثوب الكرامة يُرتدى

يا من ولاؤك في الصحيفة مطلبٌ جدّدتُ عهدي في ولائك مُنشدا

٣٦- الشاعر مهدي جناح الكاظمي (١٣٦٩هـ):

ولد في الكاظمية، ودرس في مدارسها، بدأ كتابة الشعر في سن الخامسة عشرة، وله قصائد في الشعر الحر لم ينشرها، وله مجموعة أبيات في الشعر الشعبي، وله شعر كثير (لم يطبع)[١].

أصبحت مجروحًا بطعنة قاتلي وأبيت ليلي في جوى وتأملِ

لا تجحدي عهدي كما جحد العدى عهد النبيِّ بيوم خمٍّ في علي

٣٧- الشيخ عبد الستار جليل الكاظمي (١٣٧٢هـ):

ولد في الكاظمية، ودرس في مدارسها، حتّى حاز على شهادة الماجستير في الأدب العربي. خدم المنبر الحسيني عبر الخطابة والشعر العقائدي، وله شعر كثير لم يطبع[٢].

يا منار الأصول يا وصيّ الرسول

في لسان الغدير أنت نعم الأمير

٣٨- الأستاذ رياض عبد الغني محمد الحسن (١٣٧٦هـ):

ولد في الكاظمية، ودرس في مدارسها، وتخرّج في كليّة الآداب، بدأت ميوله الأدبية في شبابه، ووجهه خاله الشاعر محمد سعيد الكاظمي، طبع

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٧/ ٤٢٧. وله أُخرى في موسوعة شعراء الغدير: ٧/ ٤٧١.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة شعراء الغدير: ٦/ ٤٦٣. وله أخرى ص ٤٦٠ و٤٦١.



لـه ديـوان (ديـم الشـباب)، ولـه شـعر لم يطبـع[1].

قفوا استنطقوا فلواتِ الغديـ ... ـرِ واستمعوا لحديث الربى

فقد شهدتْ في رباها رجالًا ... حضورًا بأرواحهم غُيّبا

وقد نكثوا بعدما بخبخوا ... وساقوا الورى بالهوى موكبا

٣٩- الأستاذ عادل جليل الكاظمي (١٣٧٩هـ):

ولـد في الكاظميـة، ودرس في مدارسـها، وتخـرّج في كليّـة العلـوم، هاجـر إلى السـويد وحـاز عـلى شـهادة الماجسـتير في الفيزيـاء النوويـة، لـه أبحـاث علميـة، ولـه شـعر كثـير، طبـع منـه القليـل[2].

فـرضُ الـولايـةِ في يـومِ الغديرِ ... خيرَ الفروضِ فيا بُشرى لمبتشِرِ

أتى خصَّ النبيُّ عليًّا في خلافتهِ ... نصُّ الغدير غدا نورًا لِذي بَصَرِ

من كنت مولاهُ فالمولى أبو حسنٍ ... بعدي عليكم أميرٌ غير مؤتمِرِ

٤٠- الشاعر مصطفى يحيى القرشي (١٣٩٨هـ):

ولـد في الكاظميـة، وهـو مـن أُسرة علميـة أدبيـة دينيـة، واصـل دراسـته حتّـى تخـرّج في كليّـة الآداب، بـدأ بكتابـة الشـعر الشـعبي، ثـمّ اقتـصر نظمـه عـلى الشـعر الفصيـح، لم يطبـع لـه ديـوان[3].

---

(١) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٣/ ٩٣.

(٢) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٤/ ١٤. وله قصيدة أُخرى غيرها ص ١٥.

(٣) تنظر ترجمته والقصيدة في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٧/ ٣٨٢. وله قصيدة أُخرى غيرها ص ٣٧٨.

وفي خـــمٍّ تـــلا المـخـتـارُ قــولاً ... وأسـمـعـهُ الـصـحـابـةَ والأنـامـا

بهـــذا قـــد أتــــمَّ الله ديـنًـــا ... وأوجـبَـكـمْ لـطـاعـتـهِ لـزامـا

فـمـنْ قـدْ كـنـتُ قـبـلَ الحـيـنِ مـولىً ... لـــهُ فـالمـرتـضى خـــيرٌ مُـقـامـا

المحور الثاني: الشعر غير المنشور

مـرّ في المحـور الأوّل مـا نـشر مـن الشـعر الكاظمـي في عيـد الغديـر، وفي هـذا المحـور سـيأتي مـن الشـعر غـير المنشـور، بعضـه لشـعراء مـرّ ذكرهـم، والباقـي لشـعراء آخريـن.

١. السيّد مهدي ابن السيّد عبد اللطيف الوردي (١٣٤١-١٤٢٢هـ):

ولـد في الكاظميـة، ونشـأ بهـا ودرس عـلى فضلائهـا، لازم والـده، فأخـذ عنـه الخطابـة حتـى أصبـح مـن الخطبـاء المشـهورين، وفضـلًا عـن ذلـك فهـو عـالم بالأنسـاب وشـاعر، ولـه كتـب ودواويـن لم تطبـع[1].

لـه قصيـدة في أمـير المؤمنـين والغديـر تبلـغ (٨٦) بيتًـا، تاريخهـا ٢٤ جمـادى الآخـرة سـنة ١٤١٢هـ، مطلعهـا:

لــولا عــليّ مـا الــوجـود وجـودُ ... كــلّا ولم يـنـبـت بــأرضٍ عــودُ

هـو علّـةُ الأكـوانِ وهـو مديرها ... مـا عـنـه مـنـهـا غـائـب مـفـقـودُ

ومنها:

والمـعـجـزات لـه شـهـدن بفضله ... قـد تـاه فـيـهـا حـاسـب وعــدودُ

جلّـت عـن الإحـصـاء وهـي كثيرة ... ولــذاك مـن كـلّ الــورى محـسـودُ

(١) تنظر ترجمته في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٨/ ٥. والقصيدة من ديوانه المخطوط.

إن يحسدوه على علاه فإنّما	من دونه فله بذاك حسودُ
فالمرتضى فرد المحاسن ما له	ثانٍ ونصّ بفضله المعبودُ
باهى به الرحمن أملاك السما	والمدحُ من ربّ العباد سعودُ

ومنها:

لولاه معدوم الوجود وجودنا	فبه تبيّن للوجود وجودُ
وهناك مفخرة أتت للمرتضى	هي في مكارمه علًا وسعودُ
أوحى الإله إلى النبيّ محمّدٍ	أنْ للمدينة بالرفاقِ يعودوا
من حجّة هي للوداع معرف	عنها وتحملهم عليها القودُ
ومذ انثنى نحو المدينة قاصدًا	لكنّما من ربّه مرصودُ
حتّى إذا وصلوا لخمٍّ ربّه	نادى وذا هو ها هنا موعودُ
معناه حطّ رحالكم في هذه	الجرداء لا ماء بها موروذُ
كلّا ولا فيها كلاءٌ يرتجى	فالأمر تحقيقًا بها المقصودُ
فانصب عليًّا للعباد خليفةً	فهو الإمامُ على الأنامِ يسودُ
فيه رقى الأحداج يعلن نصبه	بغدير خمٍّ والرجالُ شهودُ
رفع النبيُّ بضبعه وعليُّها	تاجُ الولايةِ للورى معقودُ
وهنا بياض إبطيهما قد بان	للجمع الغفيرِ وما هناك جحودُ
قد قال ما معناه هذا خيرتي	من أهلِ بيتي طاهرٌ محمودُ
هذا عليّ من أكن مولاه ذا	مولاه أمرٌ محكمٌ موكودُ
فاز الذين تمسّكوا بولائه	فلهم إلى روض الجنان صعودُ
في مقعدٍ صدقٍ جوار إلهه	ولهم بجنّات النعيمِ خلودُ
ودعا الإله لمن يواليه يكن	مولاه وهو بحبّه مسعودُ

ومـن الـذي عـاداه عـاداه وفي ... نـار الجحيم بنـارها مـوقـودُ
هـو مـن يعرّفكم بمنهاج الهدى ... كـثـرت لـديـن الله منـه جهـودُ
يـا أيّها الـنـاس اسلكوا بسبيله ... فيكم لجنّـاتِ النعيـمِ يقـودُ
فهو الـوصيّ خليفتي ما بينكم ... كهف لكم حكمًا إليـه عـودوا
فأجابـه المـلأ الغفير بطاعةٍ ... قـولًا ولـكـنَّ الضمائر سـودُ
قـد بايعوه وكلّهم لم يرتضوا ... قـول النبيِّ وكلّهم منكـودُ
حسدوه من نقص بهم يا ويلهم ... في ذاك والعالي هو المحسودُ
وبخ بخ قالوا لـه لك وانطووا ... بنفاقهم كـلٌّ عليـه حقـودُ
واسترسلوا في بيعهم علنًا له ... وبـدا لهم يـوم الغدير عهـودُ
ما بالهم قد خالفوه بعد ذا ... والـكـلّ منهم للضلالِ مقـودُ
ومتاعب المختار قد ذهبت سدى ... ومضى نسيًا عهده المعهـودُ
ضاعت متاعبُ أحمد في قومه ... والمرتضى عن حقّه مطرودُ
أفديه نفسي من إمام صابرٍ ... قد عاش وهو بدهره منكودُ
حتّى قضى قتلًا بسيف شقيّها ... سحرًا فناح له التقى والجـودُ
وثوى بتربته التي هي كعبة ... الـوفّـاد يجمعهم إليـه ورودُ
وضجيعه نـوح وآدم قبله ... وهنـاك صالح والمجاورُ هـودُ
في بقعةٍ قدسيّة نزّالها ... أمنوا العذاب ومن بها ملحودُ
دع ستّةٍ بجنّاتها تاريخها ... (يوم الجزاء بها الخلود خلودُ)

٢. الأستاذ محمّد سعيد عبد الحسين الكاظمي (١٣٦٤-١٤٣٨هـ):

ولـد في الكاظمية، ونشأ بها وتخرّج في مدارسها، وعمل موظفًا، بدأت اهتماماته الأدبيّة في سنّ مبكرة، له مؤلّفات مطبوعة، وقصائد منشورة، لم

تجمع بديوان، وله مشاركات في المناسبات[1].

لديّ من شعره في عيد الغدير قصيدتان، تبلغ الأُولى (٦١) بيتًا، تاريخها ١٦ ذي الحجّة سنة ١٣٩٦هـ. مطلعها:

دعْ شموخَ الصبا وعهدَ الشبابِ ... فلقدْ آنَ أنْ أبُثَّكَ ما بي

ومنها:

قلْ لمن مرّ بالغدير عبورًا ... أحديثٌ يُتلى كنقرِ الغرابِ
أم ترى أنَّ للحديثِ وجوهًا ... حولَها ألف شبهةٍ وارتيابِ
أوَ ليس النهى موازينَ حقٍّ ... والهدى من سلامةِ الألبابِ
كن بصيرًا تسلكْ طريقَك يبساً ... نحو أهل العلى وفصل الخطابِ
خفّفِ الوطء فالمواقفُ تترى ... عبرَ تلك القرونِ والأحقابِ
وسألقاكَ بينَ دوحات خُمٍّ ... شاخصَ الطرف منصتًا للخطابِ
وقد استوقفَ الحجيجُ لأمرٍ ... وهو يحدو رحاله للإيابِ
ويدُ المصطفى بضبعِ عليٍّ ... وهو راقٍ به على الأقتابِ
وينادي في الناس من كنتُ مولا ... ه فهذا مولاهُ دون ارتيابِ
وستعروك هزّةٌ حين تُصغي ... من قريبٍ لبخبخاتِ الصحابِ
عندها سوف نقرع الكفَّ بالك ... فِّ ونُنهي خلافَنا بالعتابِ

أمّا الثانية فتبلغ (٤٢) بيتًا، مطلعها:

أقمارك الزهرُ أم أطلالكِ الدُّثُرُ ... تهوي على الأرضِ إجلالًا لها العصُرُ
معالم شاءها الباري وشرّفها ... فلا ترى أثرًا إلّا لهُ أثرُ

(١) تنظر ترجمته في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٦/ ٣٧٧.

ومنها:

يا نفس طه ويا هارون أُمّته ... ويا أخاهُ ومَنْ للهولِ يُدّخَرُ

بم اعتذاريَ إن واليت غيركمُ ... وأيّهمْ بعد يوم الدوحِ يعتذرُ

يومٌ به بلّغ الهادي رسالتَهُ ... لولاهُ لاجتاحها من كيدهم خطرُ

يومٌ به أكمل الباري شريعتَهُ ... ولاذ يأسًا إلى الأركان مؤتمِرُ

رقى نبيّ الهدى الأقتابَ طلعتُهُ ... شمسٌ وطلعةُ حامي شرعِهِ قمرُ

وراح يُفرغُ في الأسماعِ خطبتَهُ ... والأرضُ يُقذفُ من رمضائها الشررُ

من كنتُ مولاهُ مولاهُ أبو حسنٍ ... يا قوم هذا وليّ الأمرِ فائتمروا

لكنْ إلى اليوم لم تسكن شقاقُهمْ ... وصرّحت بالغدير البدو والحضرُ

يا جيرةَ الضيغمِ الكرارِ حسبكمُ ... فخرًا ومن جاور الكرّار يفتخرُ

يا خير جار وفى حتى سما رُتبًا ... وربّ جارٍ يُرى من قربِهِ ضررُ

شهرتمُ العلم فاهتزت جبابرها ... رعبًا وزلزتْ التيجان والسررُ

صوتًا أذاق القذى والشجو ساستَها ... فما عدوا واعتدوا إلّا وقد عثروا

ومنها:

يا سيد الأوصياء الحقّ معذرةً ... وحيرة لست أدري كيفَ أعتذرُ

إليك أقبلتُ والأشواقُ حاملتي ... قلبًا جناحاه مني السمعُ والبصرُ

يا آية لمعاني الحبّ جامعةً ... وصورةً لم تُبنْ عن مثلِها الصورُ

يا أيها الأسدُ الوثّابُ لُذتُ بكمْ ... ضيفًا ينوء بيَ الإعياءُ والخورُ

فكن لشكوايَ إنّ الغور متسعٌ ... وما أرى مسبري إلّا به قصرُ

أدليتُ دلويَ في بحرٍ على حذرٍ ... فمن مجيري إذا لم ينفعِ الحذرُ

لكنّني بك آثرتُ السرى عجلًا ... وهل يخاف السرى مَنْ جارُهُ القمرُ

٣. السيّد طالب ابن السيّد هاشم الحيدري (١٣٤٦هـ)[١]:

مـرّت الإشـارة إلى أنّ للسـيد الحيـدري، قصائـد غـير منشـورة، فلـه هـذه القصيـدة التـي تبلـغ (٩٢) بيتًـا، تاريخهـا ٢٩ تمـوز سـنة ٢٠١٣م، منهـا:

غابوا عنِ (الرحمة المهداةِ) سيّدِهم ... ومـنْ تـعـلّـلَ خانـته الـتـعـاليـلُ

قـد استـجابـوا لأهـــواءٍ تـؤرّقُـهـم ... كـلٌّ بدنياه - لا أُخـراهُ- مشغولُ

تلاقـفـوهـا كـأنْ لا بيـعـةٌ سبقتْ ... ولم يـكـنْ ثـمَّ تحـريـمٌ وتحـلـيـلُ

بـكـلِّ قسوتِهـا الأحـداثُ جاريةٌ ... قـابـيـلُ في كـلِّ مـيـدانٍ وهـابـيـلُ

يــوم الـغـديـرِ تـنـاسَـوهُ بأجمعهم ... هل كالضمائرِ فكرُ القومِ مشلولِ

(بـخٍ بـخٍ) حـين قـالـوهـا لحـيـدرةٍ ... في صـدرِهِ مـن معانيها أكـالـيـلُ

معكوسة تـضـربُ الأقـدارُ ضربَتها ... مـا في المشيئاتِ معقولٌ ومنقولُ

يحيقُ بـالأرضِ إعـصـارٌ يُـدمّـرُهـا ... على الأفـاضـلِ إمّـا سـادَ مفضولُ

والـنـاسُ عصيانُها للوهمِ يترُكُها ... ولـلـتـمـزّقِ حـكّـامٌ تمـاثـيـلُ

مصيرُ أرضٍ بمن فيها - إذا عبثتْ ... بهـا حمـاقـاتُهـا- دامٍ ومجـهـولُ

ولـه هـذه القصيـدة بعنـوان (عيـدُ الله)، تبلـغ (٢١) بيتًـا، تاريخهـا ١٨ ذي الحجّـة سـنة ١٤٣٨هـ، وهـي:

سلِّمْ على أزكى جنابِ

وعلى المنائرِ والقبابِ

واخلعْ فذا وادي طوىً

والثمْ ترابَ أبي ترابِ

جدِّدْ مبايعة الإمامِ «عليّ الداعي المجابِ

(١) مرّ التعريف به، والقصائد من ديوانه المخطوط.

عيدُ الغديرِ اليومَ عيدُ اللهِ عهدٌ في الرقابِ
فيه اسألِ اللهَ المزيدَ من العنايةِ والثوابِ
والعنْ من انقلبوا على الأعقابِ في شرِّ انقلابِ
ساروا مع الشيطانِ وانحازوا عن الدربِ الصوابِ
خابوا وفاز الثابتونَ معَ الإمامِ المستطابِ
هو خيرُ رمزٍ للسموِّ وللهدايةِ خيرُ بابِ
للسالكين سبيلَهُ
صكُّ النجاةِ منَ العذابِ
ولمبغضيهِ وشنائيهِ جهنمٌ يومَ الحسابِ
مولى الأنامِ أبو الحسينِ هو المقيلُ لكلِّ كابِ
وأنا ابنُهُ طُلتُ السماءَ بفضلِ هذا الانتسابِ
ويظلُّ شعري فيه – في شيبتي – ربيعًا للشبابِ
أنا بلبلٌ إمَّا شدوتُ فما هنالك من غرابِ
أيّامُ حيدرة ارتفعنَ إلى ذرى عليائها بي
غدًا سأنشرُ حبَّهُ
وولاءَهُ فهما كتابي
الخوفُ من يومِ الحسابِ
ما دارَ يومًا في حسابي
أنا واثقٌ أنْ لا تمسَّ النارُ شيعيًّا ترابي
وأبي قسيمُ النارِ والجنَّاتِ هل يخبو شهابي؟
السيفُ سيفٌ حينَ يُشهرُ لا الـمُحفَّظُ في قِرابِ

٤. الشاعر كريم صاحب البحراني (١٣٦٨هـ):

ولد في النجف، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في الكاظمية، ثمّ تخرّج في كليّة أُصول الدين، وعمل في التعليم، فضلًا عن نشاطات أُخرى، شارك في عدد من المناسبات[1].

له قصيدة بعنوان (عند ضفاف الغدير)، قال:

إن كنتَ أحكمتَ البناءَ وجدتَ في بيتِ القصيدْ

وتسامقَ المعنى لديك ورقَّ لئلاءُ النشيدْ

وتفتَّحت كلُّ الورود وكنتَ أقربَ للوريدْ

فلتعلنْ الفرحَ العصيَّ فهذهِ الأيّامُ عيدْ

*** * * * ***

احملْ هداياك اللطاف ووافيي عند الغديرْ

وانفضْ غبارَ الحزنِ عنكَ وهاتِ معزفك الأثيرْ

واشربْ وعبّ (من المدامةِ بالصغيرِ وبالكبيرْ)

من غير تأثيمٍ فإنَّك واردٌ حوضَ البشيرْ

*** * * * ***

لـمّا أفاض الناسُ واختتُمت مراسيمُ الحجيجْ

وقفَ الرسولُ على الرؤوسِ وقد هدا وقعُ الضجيجْ

كفًّا بكفٍّ للوصيِّ تلاحمت مثلَ النسيجْ

وبخٍ بخٍ قيلت ووقد الجمرِ يغري بالوهيجْ

من كنتُ مولاهُ فهذا حيدرٌ نعمَ الوليْ

قد قالَها الهادي البشير بحقِّ مولانا عليْ

---

(١) تنظر ترجمته في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٥/ ٤١٦.

زوجِ البتولِ أبي الأئمَّةِ صاحب الأمرِ الجليْ
بمحمَّدٍ بدأت وتختم حينما المهدي يليْ

٥. الأستاذ رياض عبد الغني محمد الحسن (١٣٧٦هـ)[(١)]:

له قصيدة غير منشورة، بعنوان (عهد الغدير)، تاريخها ١٨ ذي الحجّة سنة ١٤٣٥هـ، قال فيها:

عدوُّك ما جدّ الجديدان زاهقُ وذكركَ في الآفاقِ ما ذرَّ شارقُ
وصوتُك ماضٍ لم يزل يخرقُ المدى مغاربُهُ تشدو بهِ والمشارقُ
يسافر فيك الوصفُ لا ينشدُ المدى فبعدُ معانيهِ عن الكنهِ خارقُ
تكلّف فيك الحرفُ ما لا يطيقُهُ وضلَّتْ عن التعبير فيكَ المناطقُ
وأتعبتَ أوزانَ الخليلِ فما لها سوى وصفك القدسيّ شغلٌ وشائقُ
وتنكفئُ العلياءُ عنكَ صغيرةً وتنحسرُ الأفهامُ فهي غوارقُ
يسابق نحو المجد كلُّ مجاهدٍ وأنتَ إليك المجدُ شوقًا يسابقُ
تشدّ إليك المكرماتُ رحالَها وقد علمتْ أن ماءها منكَ باثقُ
وما أزعجَ الباغي سواها ثوابتًا إذا ازدحمتْ عند الجدالِ الحقائقُ
فأنت صفيُّ المصطفى ووصيُّهُ ومَنْ عنْهُ في درء الشدائدِ سابقُ

* * * * *

أبا حسنٍ ما في ذرى الحقّ موطئٌ لغيرِكَ من بعد النبوةِ باسقُ
وما زلت للحق الصراح إمامَهُ فأنت دليل الحقِّ والحقُّ لاحقُ
وما زادك العهد الغديري رفعةً فأنت عليٌّ يا عليُّ وسامقُ

(١) مرّ التعريف به، والإشارة إلى شعره المنشور، وهذه القصيدة من ديوانه المخطوط.

ولــكــنَّــه في مــنــهــج الله حــجــةٌ | وبــين صريــح الحــق والــزيــفِ فــارقُ
وفــتــنــتُــهُ الــكــبرى لأُمَّـــة أحمــدٍ | يُـــمازُ بــه عــبــدٌ مــطــيــعٌ ومـــارقُ
فــإن يــكُ مــقــضــيّاً لــه دون غــيرِهِ | فــأحمــدُ مــأمــورٌ عــن الله نــاطــقُ
ولــو أنّهــم ثــابــوا إلــيــه وأذعــنــوا | للاحتْ لهم صوب الأمــانِ بــوارقُ
وأنجز ربّ الصدقِ بالصدقِ وعدَهُ | وبــان لهم فجرٌ من النصرِ صادقُ
ومــا طالهم بــأس السنين وضرّهــا | ولا طــرقَ الأجــيــالَ بالشرّ طــارقُ
ولا اقــتــتــلَ الإخـــوانُ بــعــد بــصــيرةٍ | ولا عــصــفَــتْ بــالمــؤمــنــينَ الــبــوائــقُ

* * * * *

بــنــي عــمّــنــا إنّــا وأنــتــمْ مــشــاربٌ | ويجــمــعُــنــا في الــثــابــتــاتِ سرادقُ
أُمــرنــا بــحــبــل الله مــعــتــصــمًا ومــا | أُمــرنــا بــأن تطغى علينا الــفــوارقُ
إلينا نكنْ في خندقِ الــديــنِ واحــدًا | نــلاقــي بــه أعـــداءنـــا ونــلاحــقُ
فلا نصرَ في حــرب العقيدة يُرتجى | إذا كــثُــرتْ في المسلمين الخــنــادقُ
ومــا نــحــنُ فــيــه الــيــوم إلّا طــلائــعٌ | لـــداهـــيـــةٍ تجــتــاحُــنــا ومـــزالـــقُ
فــإن لم نكن في ساعة البأس واحــدًا | فــفــي أيِ جــلاّهــا إذن نــتــعــانــقُ

٦. الشاعر عامر عزيز الأنباري (١٣٨٢هـ):

ولـد في الكاظميّـة، وأكمـل دراسـته الأوليّـة فيهـا، ثـمَّ تخرّج في كليّـة صدر العـراق الأهليـة، لـه نشـاطات شـعرية كثيرة في محافـل ومهرجانـات متنوعـة، لـه ديـوان شـعر مخطـوط ينتظـر طريقـه للطبـع[١].

قال بعنوان (فاض الغدير):

---

(١) تنظر ترجمته في موسوعة الشعراء الكاظميين: ٤/ ٢٤.

أنــطــق بهــا صــدقًــا وإيـمانــا ... بــعــد الــنــبــيّ عـــليٌّ مــولانــا
هــبــط الأمـــين عــلى محــمّــدنــا ... بــالــبــشرِ مــكــتــحــلًا ونــشــوانــا
هـــذي مـــن الـــرحمّـــنِ بــيــعــتــهُ ... أشــهــدْ عــلــيــهــا الأنـــسْ والجــانــا
مــنْ عــنــد ربِّ الــعــرشِ نــازلــةً ... مـــا كـــان فــيــهــا قـــطُّ بهــتــانــا
إنْ لمْ تــبــلّــغ مــا أُمـــرتَ بــهِ ... تـــرْجـــعْ فـما بــلــغــت إنــســانــا
أعـــلـــنْ لهـــمْ طــــرًّا ولايــتــه ... والآن نـــادِ بـــاســمــهِ الآنـــا
واربـــأ بهــا عـــمَّـــنْ يــبــادرهــا ... مـــنْ حُـــسَّـــدٍ ظــنــوّا بهــا شــانــا
صـــدّاحـــهـــا بـــالحـــقِّ أحمـــدُهـــا ... مـــن ذا نـــريـــدُ ســـواه بُـــرهـــانـــا؟

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فـــاضَ الــغــديــرُ بــحــبِّ حــيّــدرهِ ... يـــومَ الــغــديــرِ فــصــار غــدْرانــا
أكـــرمْ أبـــا الــســبــطــين مـــن شرفٍ ... ضــاهــى نــجــوم الــكــونِ أوزانـــا
أكـــرم فــلــولا أنْـــتَ مــا ســجــدتْ ... لله تـــلـــك الـــعـــرْبُ إذعـــانـــا
لـــولاك نـــارُ الــفــرسِ مــا انــطــفــأت ... أو هَـــــدَّ ديـــنُ الحـــقِّ أديـــانـــا
لـــولا يــمــيــنــك مــا ارتــقــى عــلــمٌ ... لــلــمــســلــمــينَ فــعــمّ أوْطـــانـــا
لـــولاك عـــينُ الــشــمــسِ مــا رجــعــتْ ... لّمـــــا أوان مـــغـــيـــبـــهـــا آنـــا
ردّتْ بــــــإذن اللهِ صـــاغـــرةً ... إذْ كــيــف تــنــأى عــنــك عــصــيــانــا
لـــو لمْ تطعْك الــشــمــسُ مــا طــلــعــتْ ... أو ظـــلّ مــنــهــا الّــنــور يــغــشــانــا

الخاتمة

يتبين لنا من خلال هذا البحث، أنّ شعراء الكاظميّة، خلال المئة سنة الماضية، أحيوا مناسبة (عيد الغدير) بشعرهم العقائدي، فكانوا امتدادًا

للشعراء الآخرين، الذين نظموا في هذه المناسبة.

وقد ضمَّ هذا البحث (٤٤) شاعرًا من الأحياء والأموات، والتعريف بهم، مع إيراد أبيات من شعرهم في (الغدير)، والإشارة إلى مصادرها، وهذا العدد من الشعراء، ما وصلت إليه يد الباحث، ولعلّ هناك المزيد منهم، ويقينًا أنّ كثيرًا من الشعر قد ضاع أو تلف أو أُتلف أو ضنّ به بعض من وصل إليهم.

ويمكن تطوير هذا البحث وتوسيعه، ليصبح مستدركًا على ما ورد في موسوعة شعراء الغدير، أو أحد المستدركات على الكتاب الخالد (الغدير)، للعلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني، لأنّه غطّى القرون التي سبقت هذا البحث.

المصادر

الحيدريات، السيّد طالب الحيدري، بغداد، ٢٠٠٨م.

خواطر وسوانح شعريّة، السيّد محمّد هادي الصدر، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

ديوان الحاج عبد الحسين الأزري، تحقيق: مكي السيّد جاسم وشاكر هادي شكر، د ت.

الديوان في أهل البيت، الشيخ كاظم آل نوح، بغداد، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

رضاب الأحباب، ديوان الشيخ حميد الجزائري، بغداد، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٩م.

موسوعة شعراء الغدير، رسول ناظم عبد السادة وكريم جهاد الحساني، النجف، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

موسوعة الشعراء الكاظميين، عبد الكريم الدبّاغ، بيروت، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٨- محور دراسات الأديان.

- السلطة والولاية في الأديان السماوية.
- واقعة الغدير في الأديان والكتب السماوية.

واقعة الغدير عهد الولاية من الأنبياء إلى الأوصياء دراسة تطبيقية في النصوص المقدسة لطائفة السامرة

أ. م. د. نهاد حسن حجي الشمري

ملخص البحث:

إنَّ التوافق والتشابه بين الوصيين يوشع بن نون والامام علي ابن طالب عليهما السلام في امور كثيرة، اجتمعت كلها في بلورة فكرة بحثي هذا في ان أقدم دراسة نصية مقارنة لنصوص من التوراة السامرية وترجماتها العربية وسفر يوشع السامري. التي تتحدث عن مسيرة عهد الولاية من الانبياء الى الأولياء والتي تختلف عن نظيرتها اليهودية في الكثير من المصطلحات والمفاهيم. الجدة في البحث انه لا توجد دراسة سابقة تناولت التشابه بين الوصيين اعتمدت نصوصاً تم اقتباسها من النصوص المقدسة لطائفة السامرة الاسرائيلية، ومنها تلك التي خاطب فيها نبي الله موسى ربه وطلب منه عهد الولاية الى رجل فيه نبوة:

«فخاطب موسى الله قولاً: يول الله اله الأرواح لكل البشر رجل على الجماعة، يخرج بين أيديهم ويدخل بين أيديهم، فقال الله لموسى: قدم لك يوشع بن نون الرجل الذي نبوة فيه.... ولتنصبه بحضرة العازر الإمام، (التوراة السامرية، سفر العدد، ٢٧: ١٥- ٢٣).

هـذه النصـوص اختلفـت عـن مـا جـاء في التـوراة اليهودية لان فيهـا اشـارة واضحـة لعهـد نبـي الله موسـى (ع) الولايـة الى يوشـع بـن نـون لان فيـه نبـوة أي بمعنـى امتـداد الولايـة الى مـن هـو اقـرب الى الانبيـاء. ان اسـتعراض هكـذا نصـوص ودراسـتها يوضـح المعـاني الحقيقية عـن يـوم الغديـر الاغـر وان مسـيرة الانبيـاء والأوليـاء والصالحـين متواتـرة في الكتـب المقدسـة وان اختلفـت الاديـان السـماوية ونصوصهـا المقدسـة لان منبعهـا الله الواحـد مـن خـلال انبيائـه ورسـله عـلى هـذه الارض باختـلاف جغرافيتهـا.

غايـة البحـث: عـرض دراسـة نقديـة لنصـوص مـن التـوراة السـامرية وترجماتهـا العربيـة وسـفر يوشـع السـامري اذ وردت فيهـا مفـردات (الولايـة-يـول، الامـام، نبـوة، خلافـة، اوحـى، النبـي عليـه افضـل السـلام) هـذه المفـردات صريحـة مطابقـة لمـا جـاء في عيـد الغديـر الاغـر، بخـلاف التـوراة اليهوديـة وترجماتهـا التـي اختلفـت نوعـاً مـا اذ جـاءت فيهـا مفـردات (يـوكل، الكاهـن، روح).

اهميـة البحـث: توضيـح مـدى مطابقـة المفاهيـم القدسـية في الديانـة الاسرائيليـة الواحـدة وان اختلفـت طوائفهـا اليهوديـة والسـامرية في التـوراة الا انهـا تطابقـت في مسـالة عهـد الولايـة الإلهيـة بـين الأمـام عـلي عليـه السـلام وفتـى نبـي الله موسـى يوشـع بـن نـون (ع). عـلى الرغـم مـن ان السـامريين لا يعترفـون الا بأسـفار موسـى الخمسـة وهـي: (التكويـن والخـروج واللاويـين والعـدد والتثنيـة)، ولا يعتقـدون الا بنبـوة نبـي الله موسـى (ع) إلاّ أنهـم اعترفـوا بتنصيـب يوشـع بـن نـون وليـا لموسـى (ع)، لأنـه مذكـور في التـوراة السـامرية

وهـذا مـا وجدنـاه في مخطوطـة كتـاب سـفر يوشـع السـامري المكتـوب في القـرون الوسـطى مـن قبـل احـد رجـال الديـن السـامرة والتـي تـم تحقيقهـا مـن قبـل احـد المستشرقين اذ جـاء في مقدمتهـا:

«هـذا كتـاب سـير أخبـار بنـى، إسرائيـل مـن وقـت أن قلـد سـيدنا، مـوسي ابـن عمـران النبـي عليـه السـلام، يوشـع ابن نـون خلافـة، عـلى قومـه المنقولين جميـع، ذلـك مـن اللغـة العبرانيـة، إلى اللغـة العربيـة[1] .

كلـمات مفتاحيـة: الولايـة، يوشـع بـن نـون، الإمـام عـلي، التـوراة، سـفر يوشـع السـامري.

المقدمة:

بعـد وفـاة نبـي الله موسـى (ع) في تيـه بنـي إسرائيـل في صحـرا سـيناء، اذ تـوفي قبلـه أخـوه هـارون (ع) فـأوصى موسـى بـكل وصايـاه إلى يوشـع بـن نـون (ع) وبعـد ذلـك قـام يوشـع بـن نـون بتجهيـزه ودفنـه عـلى الكثيـب الأحمـر، وكان قـد صعـد إلى جبـل نبـو، ونظـر إلى الأرض المقدسـة[2].

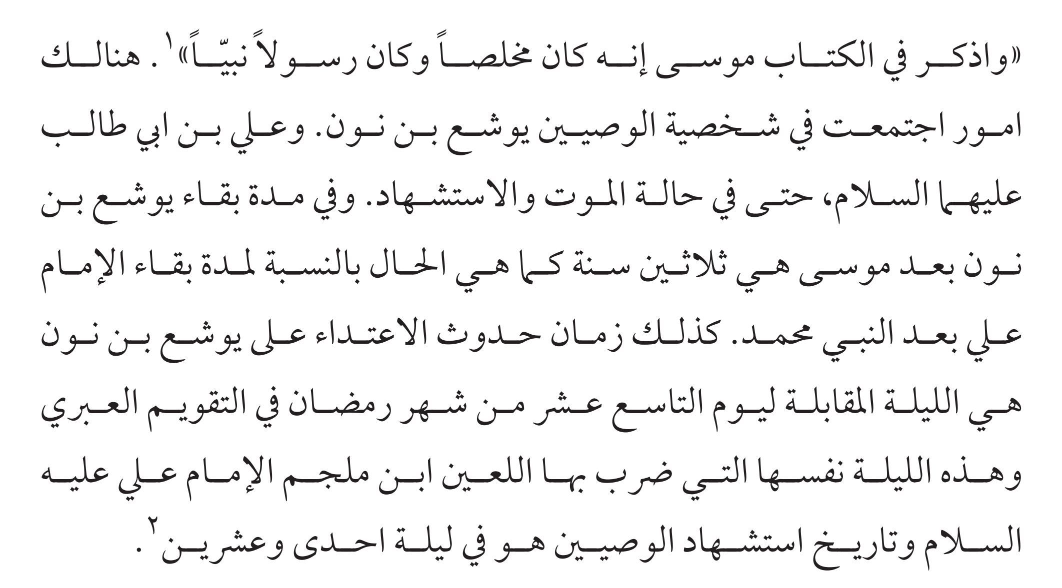
وعـرف الله سـبحانه وتعـالى كليمـه موسـى بـن عمـران (ع) بقولـه:

---

(١) Juynboll Theodor Willem Johann Chronicon Samaritanum arabice conscriptur cui titulus est Liber Josuae; by Joshua (Biblical figure); University of Toronto ١٨٤٨ P ١.

(٢) القمي، نزيه، قصص الانبياء سيرتهم وصاياهم مواعظهم الشيخ، بيروت ٢٠١٣، ص ٣١٠.





«واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبيّاً»[١] . هنالك امور اجتمعت في شخصية الوصيين يوشع بن نون. وعلي بن ابي طالب عليهما السلام، حتى في حالة الموت والاستشهاد. وفي مدة بقاء يوشع بن نون بعد موسى هي ثلاثين سنة كما هي الحال بالنسبة لمدة بقاء الإمام علي بعد النبي محمد. كذلك زمان حدوث الاعتداء على يوشع بن نون هي الليلة المقابلة ليوم التاسع عشر من شهر رمضان في التقويم العبري وهذه الليلة نفسها التي ضرب بها اللعين ابن ملجم الإمام علي عليه السلام وتاريخ استشهاد الوصيين هو في ليلة احدى وعشرين[٢] .

ففي يوم الثامن عشر من ذي الحجة، يوم الغدير، نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علي ابن ابي طالب، إماماً للأنام. وفي هذا اليوم نصب موسى وصيه يوشع بن نون خليفة له على قومه. وجاء في مصباح المتهجد في خطبة الغدير ان أمير المؤمنين (ع): قال

«إن هذا يوم عظيم الشأن هذا يوم النصوص على أهل الخصوص، هذا يوم شيث، هذا يوم إدريس، هذا يوم يوشع، هذا يوم شمعون[٣] .

روايات مسندة في اصل التشابه بين يوشع بن نون والامام علي بن ابي

---

(١) القران الكريم: سورة مريم / ٥١.

(٢) العاملي، السيد جعفر مرتضى، الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام التاريخ يعيد نفسه، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت لبنان، ٢٠٠٧، ص ٨٠.

(٣) مناقب آل ابي طالب لابن شهرآشوب تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٩٥٦ مج٢ ص ٢٤٣.

طالـب عليهما السـلام.

انطلاقـاً مـن القـول المبـارك ان فتـى النبـي موسـى، هـو يوشـع بـن نـون، وفتـى النبـي محمـد هـو الإمـام عـلي (عليهـما السـلام)[1] . جـاءت روايـات كثـيرة بهـذا السـياق منهـا روايـة سـلمان الفـارسي اذ قـال:

١ . »سـألت رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه: مـن وصيـك مـن أمتـك؟ فإنـه لم يبعـث نبـي إلا وكان لـه وصي مـن أمتـه؟ إلى أن تقـول الروايـة: فقـال صلى الله عليـه وآلـه: «يـا سـلمان سـألتني عـن وصيـي مـن أمتـي؟ فهـل تـدري مـن كان وصي موسـى مـن أمتـه؟ فقلـت: كان وصيـه يوشـع بـن نـون فتـاه. فقـال صـلى الله عليـه وآلـه: فهـل تـدري لم كان أوصى إليـه؟ قلـت: الله ورسـوله أعلـم». قـال اوصى إليـه لأنـه كان اعلـم امتـه بعـده، ووصيـي هـو اعلـم امتـي بعـدي عـلي بـن ابي طالـب» (ع)[2] . ان تنصيـب يوشـع بـن نـون وصيـاً لنبـي الله موسـى (ع) ونطـق بفضلـه كان في نفـس تاريـخ يـوم الغديـر في الثامـن عـشر مـن شـهر ذي الحجـة وهـو نفـس اليـوم الـذي نصـب فيـه الرسـول محمـد عليـا وليـا له[3] .

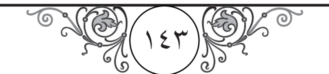
٢ . «عندمـا خـرج موسـى نبـي الله (ع) وعاهـد قومـه عـلى الوفـاء لوصيـه يوشـع بـن نـون فـما وفـت امتـه، وعنـد قـول الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه اني مفارقكـم عـن قريـب وخـارج مـن بـين اظهركـم وقـد عهـدت الى امتـي

---

(١) مناقب آل ابي طالب، مصدر سابق، ج٣ ص٤٥ .

(٢) رسائل الشريف المرتضى، تقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم قم، ١٤٠٥هـ، ج٤ ص ٩٣ .

(٣) العاملي، مصدر سابق، ص ١٨ .






في علي بن ابي طالب وانها الراكبة سنن من قبلها من الامم في مخالفة وصيي وعصيانه الخ»...[1].

٣. «الليث بن سعد، بإسناده عن أبي أمامة الباهلي، قال: كنا ذات يوم جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قام، فجاء علي بن أبي طالب عليه السلام، فوافق رسول الله صلى الله عليه وآله، قائماً فلما رآه جلس، ثم قال له: يا علي أتدري لم جلست؟ قال: اللهم لا. قال: (لأخبرك) أني ختمت النبيين، وإنك يا علي ختمت الوصيين، إن حقاً على الله عز وجل أن لا يقف موسى بن عمران موقفاً يوم القيامة إلا وقف معه وصيه يوشع بن النون، وإني واقف وتقف معي، ومسؤول وتسأل معي، فأعد للجواب»[2].

عن الإمام علي عليه الإسلام انه قال عن الليلة التي ضربه فيها ابن ملجم لعنه الله « اما والله انها الليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون ليلة سبع عشرة وقبض ليلة احدى وعشرين[3].

بحسب معطيات البحث لابد لنا من التعريف بطائفة السامرة وهل اختلفت عن اليهودية في مسألة عهد الولاية الى نبي الله يوشع بن نون؟

اورد ابن كثير في كتابه قصص الانبياء بان «طائفة السامرة لا يقرون

---

(١) معاني الاخبار للشيخ الصدوق، ت: علي أكبر الغفاري، ١٣٧٩ هـ، ص٣٧٢.

(٢) العاملي، مصدر سابق، ص ٢٠.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف، المسعودي (ت ٣٤٦هـ) نشر دار الاندلس بيروت سنة ١٩٦٥، ج٢ ص ٤١٤.

بنبـوة مرسـل بعـد نبـي الله موسـى (ع) إلا يوشـع بـن نـون، لأنـه مذكـور في التـوراة السـامرية»[1]، ولكـن بحسـب المصـادر السـامرية هـذا الأمـر غـير دقيـق فقـد اعتقـد فقهـاء السـامرة بنبـوة النبـي محمـد صلى الله عليـه وآلـه[2]. لا يعتقـدون بـما جـاء بعـده مـن اسـفار العهـد القديـم. بنـاء عـلى ذلـك فانـه مـن الخطـأ ان يعـد السـامرة يهـودا وذلـك لانهـم مـن بقايـا شـعب مملكـة إسرائيـل الشـمالية، عـلى الرغـم مـن الظـروف القاسـية التـي مـرّت عليهـم مـن ضغـط اليهـود الا انهـم[3]، لم يفقـدوا هويتهـم كجـزء مـن شـعب الله المختـار، بالإضافـة الى ذلـك تمتلـك طائفـة السـامرة تاريخـاً عريقـاً محفوظـاً، بالعربيـة والسـامرية في مدينـة نابلـس. هنالـك فـروق بـين مملكتـي السـامرة ويهـوذا في الحقيقـة، كانـت أهـم أسـس الانفصـال بـين الشـعب الواحـد، فالسـامريون عرقيـا ودينيـا يتبعـون بنـي إسرائيـل، وليـس كـما ادعـى اليهـود انهـم شـعب غريـب جـاءوا مـن بـلاد فـارس او مـن بابـل في كوثـا[4].

المعتقد السامري:

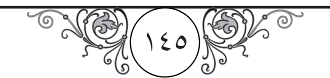
---

(١) قصص الانبياء لابن كثير، تحقيق عبد الحي الفرموي القاهرة ط٥ ١٩٩٧، ص٥٣٤.

(٢) عن ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله في الوثائق السامرية انظر:
Vilmar E. Abū al-Fatḥ ibn Abī al-Ḥasan al-Sāmirī Abulfathi Annales Samaritani Gothae ١٨٦٥ P ١٧٢.

(٣) اسطورة توراتية كيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي، تأليف جاري جرينبرج ترجمة دينا امام، دار العين الاسكندرية مصر، ٢٠١٣، ص ٢٥٦.

(٤) The New Encyclopedia Britannica V. ١٠: ٣٧٣-٣٧٤.



السامرية ديانة بني اسرائيل توحيدية مطلقة، وفكرة التوحيد فيها مماثلة لما في الإسلام، فالله واحد، لا شريك له، ولا مثيل، كما أنه لم يلد ولم يولد، أبدي سرمدي، كلي القدرة. ويؤمنون بالبعث في اليوم الآخر للحساب. ويعتقدون بموسى نبياً ليس بعده نبي، وبأسفاره الخمسة فقط، ويحجون إلى جبل جرزيم الذي كلم الله عليه موسى، وأنزل عليه الوصايا العشر، بخلاف جبل عيبال الذي يعده اليهود قبلة لهم. ويؤمن السامريون بأن المنقذ المخلص سوف يظهر، لكن: من على من جبل جرزيم، وانه سيولد من آل يوسف، بينما اليهود يقولون سيظهر على جبل صهيون في القدس، وإنه من آل داود[1]. حافظ السامريون حتى اليوم على اللغة العبرية القديمة التي تتألف من ٢٢ حرفا وتقرأ، ويكتبونها بالخط العبري القديم القريب جداً من الخط الكنعاني وتعد لغتهم من أقدم لغات العالم، وأقرب اللغات لها هي اللغة الكنعانية والآرامية والعربية. بخلاف اللغة اليهودية؛ فهي أقرب إلى اللغة الآشورية[2].

السامريون والمسلمون:

بحسب ابناء طائفة السامرة بأن ديانتهم هي الديانة الأقرب إلى

---

(١) الصاحب، إياد هاشم محمود، السامريون الأصل والتاريخ والعقيدة والشريعة وأثر البيئة الإسلامية فيهم، ط١، عمان الاردن ٢٠٠٠، ص٧٣-٧٤.

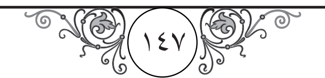
(٢) Nutt John W. Sketch of Samaritan History Dogma and Literature London-Oxford: The Bodleian Library ١٨٧٤ p ٩.

الإسلام، لوجود الكثير من الاسباب منها لما يعتقدون بوحدانية الله الفرد الصمد، ولقواعدها في الطهارة، وطريقة الصلاة فيها بالركوع والسجود والوضوء الذي يسبقها، وكل ذلك قريب جدا من الفروض الإسلامية[1]، ويعد السامريون أنهم المقصودون بقوله تعالى في القرآن الكريم: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون - الأعراف / ١٥٨».

تشير بعض المصادر السامرية أنه بعد الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام ذهب وفد من أهل الذمة من اليهود والنصارى وكان من بينهم احد كهنة طائفة السامرة، واسمه صرماصى إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، من أجل الحصول على كتاب أمان للسامريين، فوافق النبي، وطلب من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأن يكتب لهم عهداً، نزولا لرغبة السامرة جاء فيه:

«أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أمرت أن يُكتب للسامرة أماناً وذماماً على أنفسهم وعلى ديارهم وأموالهم وبيوت عبادتهم وأوقافهم في كل بلادهم، وأن يسري فيهم وفي ذمم أهل فلسطين بالسيرة الحسنة. إن السامريين - بعد الفتح الإسلامي - دخلوا ضمن سكان نابلس بعهدة المسلمين، واستخدموا في هذه المدة اللغة العربية لغة تخاطب بينهم وباقي السكان الآخرين لفلسطين، وفي عصر الحروب مع الفرنجة، يقال إن السامريين ساعدوا المسلمين، وخاصة في تحرير نابلس. اذ اشارة أبو الفتح السامري وهو ابرز مؤرخي طائفة السامرة صاحب «كتاب التاريخ مما

(١) الحايك، منذر، التوراة السامرية دراسة مقارنة، دمشق، ٢٠١٦، ص ١٥.



تقدم الاباء رضي عنهم». بعد حديثه عن العرب وظهور النبي محمد صلى الله عليه وآله: ما أساء إلى أحد من أصحاب الشرائع. وسمعت من لفظ الحكيم، وهو نقل عن كاتبه، «محمد صلى عليه وسلم مؤمن بالله، محسن لكل عبراني»[1]

سفر يوشع السامري:

من اهم اثار السامريين التاريخية كتاب سفر يوشع السامري هو كتاب عربي مكتوب بالأحرف السامرية واقدم نسخة تاريخها (١٣٦٢ م). وقد نشر هذا السفر المستشرق (Junyboll). وترجمه وعلق عليه سنة (١٨٤٦ م) والنسخة موجودة في مكتبة ليدن هولندا وفيها اخبار ايام موسى الاخيرة وقصة بلعام والحرب مع مديان واخبار سنبلط وزر بابل وباقي احداث بني اسرائيل رواها سفر يوشع السامري[2].

نصوص من سفر يوشع السامري تكلمت عن الوصاية[3] جاءت مطابقة مع عهد الولاية للإمام علي (ع):

النص الأول: خبر تقليد يوشع ابن نون خلافة النبي عليه السلام

---

(١) Vilmar E. Op cit P ١٧٢.

(٢) مرمورة، إلياس، السامريون، دار الأيتام السورية القدس، ١٩٣٤، ص٣١.

(٣) جميع النصوص تم اقتباسها من كتاب يوشع المكتوب في القرون الوسطى مع وجود بعض الاخطاء الاملائية في الترجمة العربية في النص الأصلي، حول الموضوع انظر: Juynboll Theodor Willem Johann Op. cit. P ٢. ٨-٩.

«عند تمام مائة وتسعة عشر سنة في أول يوم من الشهر الحادي عشر من عمر سيدنا موسى النبي عليه السلام (اوحى) الله إليه في بقاع ماب أن يسند يده إلى رأس يوشع أبن نون الروحاني يعني بذلك أن يقضي إليه من سر الاسرار ويكشف له (الحلم) من حلمه وعلم العلوم ما يستطيع حمله ما يقوي به قلبه ويكمل به روحه ويرفع به نفسه ويهون عليه امر (المخلوقين) ويعرفه بالاسم الذي يهزم به العساكر وتتشوش به الأمة التي لا يسعها بلد ولا يأتي عليها عدد ورسم له أن يوقفه بين يدي العزر الإمام عليه السلام ويجمع له أهل العلم والمعرفة والنباهة والرياسة ويعقد له العقد ويجدد له العهد ويقلده الملك ويجعل له الحكم على ساير بني اسرائيل ثم جعل النبي العزر الإمام عليه السلام الأمر عليه بالنظر في الكمال والزهر وأن لا يدخل في أمر ولا يخرج عن حال الا بعد ما يطالعه وعند فراغه من (تقليده) ضربت الكهنة بالأبواق (ونادت المنادين لعلمة) وانتشرت الأعلام والبنود لملكه رأى سيدنا النبي موسى عليه السلام أن يخرج في اول الملاحم في ايامه ليكون على تجربة من بيان مما عرفه ونظره فامر الوقت أن ينتخب من بني إسرائيل».

النص الثاني: خبر ما فسر سيدنا موسى النبي عم قبل وفاته

«لما عرف الله سيدنا موسى (النبي) بالوقت الذي لا يتأخر أمره أن يصعد إلى جبل يعرف نأبه واخذ (يوصي) يوشع بن نون وأولاد أخيه وجماعة (الأولياء) بجميع ما يحتاج فأقاموا معه مدة وجميع وجوه العسكر واهل الحكمة وعاهدهم أنهم (يسلكوا) ببني إسرائيل الطريقة التي اوصاهم

بها ولا يعدلوا عنها يمنا ولا يسرا وامر الكهنة بضرب الابواق واخراج (المناديـن ينـادون) في جماعة بني إسرائيل من أراد أن ينظر سيدنا موسى (النبي عليه أفضل السلام) فليحضر، حتى يسمع بركته وما ينسر به و يشاهده ويودعه قبل أن يسير الى الموضع الذي اختاره الله له ثم دخل الى قبة الزمان وقرب على مذبح الناس القرابين فرفع ستر الستر البيت المقدس وطرح على مذبح الذهب البخور وعبد ربه وودع الهيكل بما فيه من الجبروت والملكوت وخرج وقد اجتمع له ساير بني إسرائيل على طبقاتهم فجلس على رتبة كانت له يرتفع على القوم عليها واشراق نور وجهه مثل شعاع الشمس واخذ يقص على جماعة بني اسرائيل الخطبة التي جمع فيها غاية ما يقدر العبد عليه من مقال التسبيح الله تقدست أسماؤه وبين فيها معرفة ايام الرضا...... سار يريد الصعود الى الجبل الذي (وصآه الله) يصعد إليه معه يوشع بن نون والعزر الإمام وجماعة الأولية مودعين له باكين على قرب فراقه متشبثين به».

النص الثالث: خبر ما قاله يوشع تلميذه عند غيبة مولاه وسيده

«لما غاب السيد موسى (النبي عم)عنه وعن جميع بني إسرائيل وفرق بينهم وبينه الأمر الذي لا يدفع له عنه وفاتهم النظر إليه وايسوا منه جملة كافية بكاه يوشع بن نون ونادى بأعلى صوته وقال يا (سيد الأولين) والآخرين وكل احد من اولاد آدم شوهد موته وشوهد قبره وانت من شاهد قبرك اي نبي من الأنبياء يصل الى فخرك او يتطاول الى ذكرك اين من حيا اموات وامات احيا بأذن ربه سواك اي نبيّ تشهد الكفار له

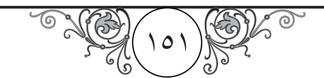
بنبوتـه غـيرك أي نبيا في الدهـور السـالفة والاتيـة اسـمع جماعتـه صـوت الباري مـن افـق السـماوات الا انـت ايـن مـن يقـف. فيصعـد كلامـه، إلى العلـو فيدفـع السـخط وينـزل الرحـم غـيرك اي نبيـا صـام أن يصـوم مائـة وعشريـن يومـا بلياليهـا بـين يـدي ربـه الا انـت اي نبيـا يفتخـر بانـه كليـم الله بغـير واسـطة الا انـت ايـن مـن وطـئ النـار وشـق الظـلام وخـرق السـحاب واتصـل الى حجـاب القـدرة سـواك أي كتـاب ينسـب إلى نبـي فيـه تعليـم عبـادة البـاري والتوصيـل إليـه غـير كتابـك يـا قاتـل النيـل بعصاتـه يـا كاشـف المبدعـات يـا مظهـر المعجـزات يـا مبـين الآيـات يـا منـير الظلـمات يـا مـن شـق البحـر بعصاتـه يـا مهـزم العسـاكر بيـده يـا دافـع السـخط بمسـلته يـا منـزل الرحمـة بشـفاعته يـا مـن غـذاءه عبـادة ربـه يـا مـن خـرج مـن حـدود الناسـوت والقـدرة الناسـوتية[1] الى القـدرة اللاهوتيـة يـا مـن عـرف مـا مـضى وعلـم مـا يـأتي يـا ملـك أعدائـه بدعائـه يـا سـيدي ومـولاي كيـف اكـون ويكـون قومـك بعـدك فعنـدك تزايـد البـكا منـه ومـن جماعـة الـذي كانـت معـه وتطـاول الحـزن والعويـل والتذلـل والتـضرع نـودى الى يوشـع بـن نـون ارجـع انـت ومـن معـك مـن العسـكر ولا تخالـف امـر الله عـز اسـمه».

التعليق على نصوص سفر يوشع السامري:

لم نجـد هـذه المقدمـة في الترجمـة العربيـة لسـفر يوشـع اليهـودي فقـط في

---

(١) النَّاسُوتُ: تعني الطبيعة البشرية او أي شيء يتعلق بالإنسان: انظر في قاموس معجم اللغة العربية المعاصرة المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، القاهرة، ٢٠٠٨.



الترجمة العربية لسفر يوشع السامري، ومن خلال النصوص يتضح تماما المقاربة بين طائفة السامرة والفقه الشيعي. من خلال قراءة النص السامري والعبري لسفر يوشع تبين لنا ان النص السامري اقرب الى واقعة الغدير وحتى الى خطبة الوداع لذلك نعتقد ان التأثير الإسلامي في القرون الوسطى ألقى بظلاله على المترجم الذي ترجم سفر يوشع من اللغة السامرية الى العربية واقتباسه الكثير من المصطلحات من الفقه الإسلامي منها خصوص مذهب أهل البيت الاطهار عليهم السلام ومنها (الرسول، خلافة النبي عليه السلام، اوحى الله اليه، يقضي، الإمام عليه السلام، يوصي الأولياء، اختاره، مولاه وسيده، سيدي ومولاي). وان افترضنا ان الكاتب لم يقتبس هذه المصطلحات وهي من اصل النص السامري القديم قبل فترة القرون الوسطى اذن هذا دليل اكيد على التشابه الوارد في النصوص المقدسة لطائفة السامرة الدالة على تنصيب يوشع بن نون وليا لنبي الله موسى والامام علي عليه السلام وليا لرسول الرحمة.

نتف متفرقة من خطبة يوشع بن نون (ع) الى قومه الخطبة منقولة من كتاب التاريخ مما تقد لأباء رضي الله عنهم لمصنفه أبي الفتح السامري الدنفي (١٣٥٥م) المكتوب باللغة العربية وشواهد وامثلة من التوراة السامرية[1].

«فضائل يوشع بن نون خليفة رسول الله عم وما من الله من العطايا والتوفيق والنصر على الاعداء والظفر بالملوك وقتلهم.... »

(١) Vilmar E. Op. cit. P ٨-٣٤.

«قال يوشع: اوصيكم بذكر الله ان لا يعطل من افواهكم فتنجحوا في جميع افعالكم فأجابوا القوم ليوشع وقالوا له نحن بين ايديك سامعين لأمرك وكما كنا طائعين لموسى عم كذلك نكون طائعين لك وكل من خالف امرك يقتل....... »

«قال القوم ليوشع امورنا مسلمة الى الله واليك. فقال لهم يوشع انا قد ولفت كتابا ونظمته جواب هذا الكتاب وانا اقراه بسماعكم فان كان صواباً انفاذه انفذته وان كان صوابا تركه تركته واخرج يوشع الكتاب وقرأه»......

«بسم الله العظيم الرحمن الرحيم قاتل الكافرين ومهلك المتجبرين ومبيد المارقين ومفرق المجتمعين وجامع المتفرقين اله الالهة ورب الارباب جبار الحروف اله ابراهيم واسحاق ويعقوب. اما انا فسلام الله تعالى على واما انتم يا أهل الفسق البهتان والكفر والخذلان المفسدين المارقين الآثمين الساجدين للأوثان العابدين الاصنام فلا سلام الله عليكم ولا سالمكم واتلف حالكم وشتت شملكم ولا رحم كبيركم ولا رثى لصغيركم اتلفتم حالكم اهلكتم أرواحكم رملتم نساءكم يتمتم صغاركم.... ثورتم الاسد الرابض انبهتم اللبوة النائمة..... »

«سخط اله السموات والارض عليكم الويل لكم ولأولادكم عزمتم لا بقى الله لكم عزم ان تجوا الى جملتكم اربعة وثلاثون ملكا.............. ان معي ملائكة الله وقدسه....... ان معي جبار الجبابرة ورب الصواعق ومسخر الرياح الخوافق وانا ما افتخر انني جبار ولا تلميذ جبار بل

افتخر انني تلميذ كليم الله ولد خليل الله الناسوتي الروحاني عليه وعلى ابائه السلام.......... وعندما توجهوا جمع يوشع السبطين والنصف قدام العزر الإمام وشكروا افعالهم وقالوا لهم قد وفيتم بعهد الله وعهد رسوله موسى عم وما بقى لنا عليكم حجة ولقد احسنتم وجملتم وصبرتم...... »

التعليق على النصوص:

نلاحظ من هذه الخطبة وضوح دلالة المصطلحات التي استخدمها مؤلف كتاب التاريخ وقد استوحى نصوص كتابه هذا من موروث اسلاف طائفة السامرة الموسوية والتي اختلفت عما جاء به اليهود من خلال الإشارة الى ان عبادة الله ستكون على جبل الجرزيم في نابلس وليس على جبل عيبال في القدس الذي استوطنه اليهود فيما يتعلق الأمر بموضوع بحثنا هذا تبين لنا من خلال تلك الخطبة المقاربة مع خطبة الإمام علي عليه السلام الى جمهور المسلمين وفيهم من اوفى بعهده الى الله ورسوله ووليه وفيهم من نقض العهد وهذه المطابقة هي مسيرة متواترة في خطاب اولياء الانبياء الى اقوامهم على اختلاف الاديان السماوية بعقائدها المختلفة وزمان ومكان حدوثها.

الدراسات السابقة التي تناولت التشابه بين عيد الغدير ونص الكتاب المقدس:

لم نجد دراسة سابقة تناولت البحث عن عيد الغدير في النصوص المقدسة لطائفة السامرة. فقد وجدنا دراسات اخرى اشارة الى النصوص

المقدسة لليهود تحت عنوانات.

١- الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام التاريخ يعيد نفسه، التي قدم لها السيد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت لبنان، ٢٠٠٧، وهو الكتاب الذي تناول قصة الشبه بين يوشع بن نون والامام علي بن ابي طالب.

النصوص التي تتعلق بيوم التنصيب الالهي دراسة مقارنة بين التوراة السامرية واليهودية: (سفر العدد، ٢٧: ١٥- ٢٣).

سفر العدد ٢٧	الترجمة العربية للتوراة السامرية	الترجمة العربية للتوراة اليهودية
اصحاح ١٥	«فخاطب موسى الله قولاً-:	«فَكَلَّمَ مُوسَى الرَّبَّ قَائِلاً:-
اصحاح ١٦	يول١ «الله اله الارواح لكل البشر رجل على الجماعة-،	«لِيُوَكِّلِ الرَّبُّ إِلهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلاً عَلَى الْجَمَاعَةِ-،
اصحاح ١٧	«يخرج بين أيديهم ويدخل بين أيديهم، يخرجهم ويدخلهم كي لا تكون جماعة الله كالغنم التي ليس لها راع-.	«يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ، لِكَيْلاَ تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْغَنَمِ الَّتِي لاَ رَاعِيَ لَهَا».
اصحاح ١٨	«فقال الله لموسى: قدم لك يوشع بن نون الرجل الذي نبوة٢ فيه وأسند يدك عليه»،	«فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونَ، رَجُلاً فِيهِ رُوحٌ، وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ-،
اصحاح ١٩	«ولتنصبه بحضرة العازر الإمام وبحضرة كل الجماعة وتوصه بمشاهدتهم»،	«وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ، وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ».
اصحاح ٢٠	«وتجعل من بهائك عليه حتى يطيعوا كل جماعة بني اسرائيل-.	«وَاجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ-،
اصحاح ٢١	«وبحضرة ألعازر الإمام يقف فيسأله عن حكم الأنوار بحضرة الله، عن أمره يخرج وعن أمره يدخل هو وكل بني إسرائيل معه وكل الجماعة-.	«فَيَقِفَ أَمَامَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ فَيَسْأَلُ لَهُ بِقَضَاءِ الأُورِيمِ أَمَامَ الرَّبِّ. حَسَبَ قَوْلِهِ يَخْرُجُونَ، وَحَسَبَ قَوْلِهِ يَدْخُلُونَ، هُوَ وَكُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، كُلُّ الْجَمَاعَةِ».

اصحاح ٢٢	«فصنع موسى كما وصاه الله وقدم يوشع ونصبه بحضرة ألعازر الإمام وبحضرة كل الجماعة-.	«فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. أَخَذَ يَشُوعَ وَأَوْقَفَهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ-.
اصحاح ٢٣	«وأسند يده عليه ووصاه كما أمر الله موسى. وقال له عيناك الناظرتان ما صنع الله بالملكين هذين، كذلك يصنع الله بكل الممالك التي أنت عابر إلى هناك، لا تخفهم إن الله إلهكم هو المحارب عنكم-.	«وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَأَوْصَاهُ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى».

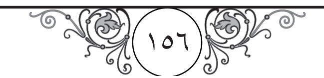
تحليل النصوص بحسب الترجمات العربية للتوراة السامرية في القرون الوسطى:

١. استخدام مفردة «خطاب» في النص السامري اما اليهودي «يكلم»

٢. نلاحظ في النص السامري استخدام مفردة «يول الله» وهي من الولاية في حين في النص اليهودي استخدام مفردة «ليوكل الرب». اذ تطابق النص السامري مع القول الكريم «من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

٣. هذا النص متطابق في التوراة السامرية واليهودية في مسالة عهد الولاية الى النبي يوشع بن نون.

٤. نلاحظ ان نبي الله موسى قدم يوشع بن نون ولياً له في خلافته على حكم بني اسرائيل. لأنه «الرجل الذي نبوة»، اما في النص اليهودي نلاحظ ان استخدام مفردة خذ يوشع، لأنه «رجلا فِيه روح». يتبين من النص السامري انه اشارة الى ان يوشع بن نون هو امتداد لسير الانبياء من اسرائيل لذا لابد من عهد الولاية له بخلاف النص اليهودي الذي



حـاول مترجـم النـص الى العربيـة جعلـه مبهـما اي فيـه روح الله.

٥. في النـص السـامري نلاحـظ استـخدام مفـردة «لتنصبـه» وكذلـك مفـردة «الامـام» بخـلاف النـص اليهـودي الي اسـتخدم مفـردة «واوقفـه» و مفـردة «كاهـن» بـدل مـن امـام.

٦. في النـص السـامري استـخدام المترجـم مفـردة «بهائـك» وكذلـك مفـردة «يطيعـوا» الأمـر اختلـف نـوع مـا في الترجمـة العربيـة للتـوراة اليهوديـة اذ نلاحـظ مفـردة «هيبتـك» ومفـردة «ليسـمع».

٧. اسـتخدم في النـص السـامري عبـارة «حكـم الأنـوار» وفي النـص اليهـودي اسـتخدم عبـارة بقضـاء الأُورِيـم»[1].

٨. النصان السامري واليهودي متطابقان.

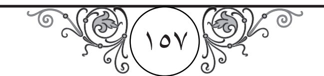
وقـال لـه عينـاك الناظرتـان مـا صنـع الله بالملكـين هذيـن، كذلـك يصنـع الله بـكل الممالـك التـي أنـت عابـر إلى هنـاك، لا تخفهـم إن الله إلهكـم هـو المحـارب عنكـم. وَوَضَـعَ يَدَيْـهِ عَلَيْـهِ وَأَوْصَـاهُ كَـمَا تَكَلَّـمَ الـرَّبُّ عَـنْ يَـدِ مُوسَـى.

٩. النصـان السـامري واليهـودي متطابقـان في مسـالة عهـد الولايـة الى نبـي الله يوشـع بـن نـون خليفـةً لنبـي الله موسـى عليـه السـلام.

مـن خـلال مقارنـة النصـوص تبـين لنـا ان النـص الاقـرب مـن خـلال

---

(١) «أوريم وتميم: كلمتان عبرانيتان معناهما « أنوار وكمالات « ويوجد هذا الاسمان معا عادة، ويرجح أنهما كانا شيئين صغيرين أو ربما حجرين، وكانا يحفظان في صدرة رئيس الكهنة». حول الموضوع انظر: قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، ص ١٣٦.



التفسير الى عيد الغدير هو النص السامري. اذا استخدم مصطلحات قريبة جدا من واقعة الغدير ولا نعرف هل هو بسبب تأثير الثقافة الإسلامية في طائفة السامرة مما دفع مترجم التوراة السامرية في القرون الوسطى الى الاقتباس من الوقائع التاريخية المهمة في التاريخ الإسلامي ولربما من الفقه الشيعي، ام هو من اصل النص المقدس للتوراة السامرية. وان واقعة التنصيب الالهي وعهد الولاية من الانبياء الى الأولياء هي مسيرة متواترة في الكتب السماوية من الله الى انبيائه ورسوله واهل بيته عليهم السلام.

نصوص من الكتاب المقدس التي اكدت يوشع بن نون وليا لنبي الله موسى:

سفر العدد (٢٧: ١٧) يقابله: «وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا. (متي ٩-٣٦)[1]».

سفر العدد (٢٧: ١٨) يقابله: «ويوشع بن نون كامل روحانية الحكمة، إذ اسند يده عليه فسمعوا منه بنو اسرائيل واطاعوا كما وصى الله موسى. (تثنية ٣٤: ٩)».

سفر العدد (٢٧: ١٩) يقابله: «واستدعى موسى بيوشع وقال له بمشاهدة كل اسرائيل: تشدد وتشجع انك تدخل الشعب هذا الى الارض التي اقسم الله لإبائهم للإعطاء لهم وانت تنحلها لهم (تثنية ٣١: ٧)»[2].

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، اخذ النص الكتابي من الكتاب المقدس كتاب الحياة الذي ترجم عن اللغات الأصلية بلغة عربية معاصرة، القاهرة ٢٠٠٢.

(٢) الحايك، مصدر سابق، ص ٣٤٩-٣٤٣.

سفر العدد (٢٧: ٢٠) يقابله: «حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَا لِمُوسَى نَسْمَعُ لَكَ. إِنَّمَا الرَّبُّ إِلهُكَ يَكُونُ مَعَكَ كَمَا كَانَ مَعَ مُوسَى. كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْصَى قَوْلَكَ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُهُ بِهِ يُقْتَلُ. إِنَّمَا كُنْ مُتَشَدِّدًا وَتَشَجَّعْ. (يشوع ١: ١٦-١٧)»[١].

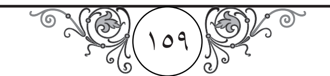
سفر العدد (٢٧: ٢١) يقابه: «ولتصنع الانور والكمل وتجعل على صدر الحكم الانوار والكمل وليكن على قلب هارون........ (خروج ٢٨: ٣٠)»[٢].

الصفات المشتركة بين الإمام علي ويوشع بن نون عليهما السلام: هي خصال وصفات اصطفاهم الله وانبيائه الى من يكون وليا لهم في الارض لا يمكن ان أعرضها كلها وقد اخذنا النزر البسيط منها.

النبي يوشع (ع)	الامام علي (ع)
احد اقرباء نبي الله موسى (ع) ابن أخته ووصيه وخليفته وولي عهده وأحد كتابه.	احد اقرباء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ابن عمه وخليفته وولي عهده وأحد كتابه.
كان عسكريا نابها في التخطيط الاستراتيجي	قائد عسكرياً محنكاً
كان امينا في طلب ارشاد الله ازاء التحديات التي واجهها.	العبودية لله تعالى والاخلاص له عز وجل

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق.

(٢) حول الموضوع انظر سفر الخروج في الترجمة العربية للتوراة السامرية لابي الحسن الصوري، تقديم عبد المعين صدقة لسامري، نابلس ١٩٧٨م.



يوشع بن نون الاعلم في قومه بعد نبي موسى (ع).	الامام علي هو الاعلم في امة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

ان القيادة الناجحة كثيرا ما تكون نتاج الاعداد الطيب والتشجيع الصادق ان الاشخاص الذين نتخذهم قدوة لنا لابد ان يكون لهم تأثير واضح علينا ان الشخص المكرس لله هو افضل قدوة لنا مهنة يوشع كان مساعد خاص لموسى ومحارب وقائد كما كان الإمام علي عليه السلام بالنسبة لرسول الرحمة[1].

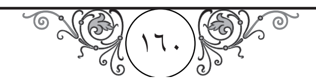
وفي نصوص اخرى جاءت مطابقة لصفات الوصيين:

التوراة السامرية	١	«ويخاطب الله موسى شفاها كما يخاطب الرجل صاحبه ويعود الى المعسكر وخادمه يوشع بن نون فتى لا يبرح من الخباء (الخروج ٣٣: ١١)».
	٢	«واستدعى موسى بيوشع وقال له بمشاهدة كل اسرائيل تشدد وتشجع انك تدخل الشعب هذه الارض....... وانت تنحلها لهم (تثنية ٣١: ٧)-.
	٣	-وجاء موسى وخاطب كل خطوب الشيرة بسماع القوم هو ويوشع بن نون - ولما انتهى موسى من الخطوب هذه على كل اسرائيل (تثنية ٣٢: ٤٤-٤٥)-.
	٤	-ويوشع بن نون كامل روحانية الحكمة اذ اسند يده عليه فسمعوا منه اسرائيل واطاعوا كما وصى الله موسى (التثنية ٣٤: ٩)-.
القران الكريم		يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) المائدة

سر نجاح اولياء الانبياء في الاديان السماوية.

ان اطاعة يوشع بن نون والامام علي عليهما السلام لله بحسب هي احد المقومات الاساسية في نجاحهما في قيادة المخلصين من اذ ان بحسب تفسيرات الكتاب المقدس بعد ان اثبت يوشع انه رجل الايمان والشجاعة

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص ٤٢٥.

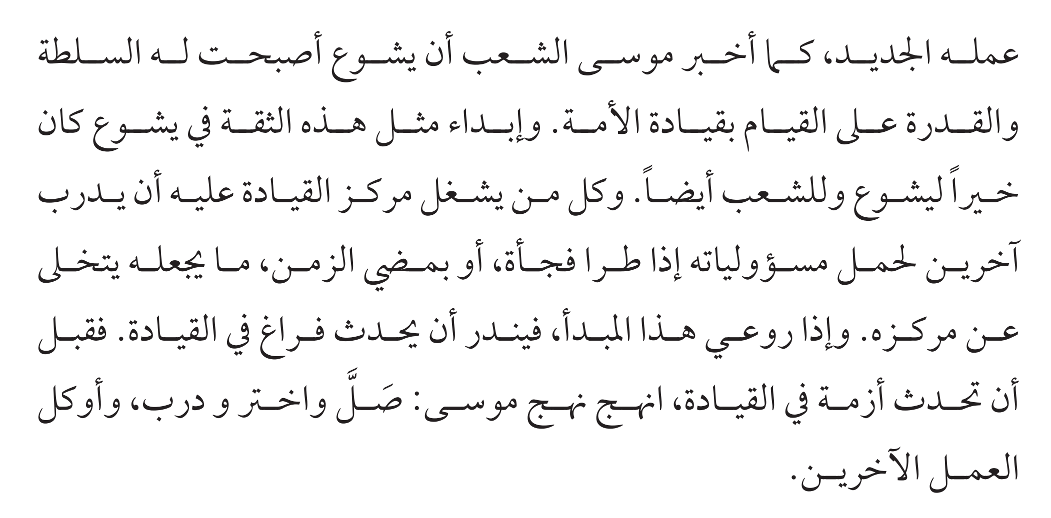


اختير يوشع خليفة لموسى ويسجل سفر يوشع استيلاء بني إسرائيل بقيادة يوشع عل ارض كنعان. وقد كان يوشع قائد عسكري فريدا كما كان له تأثير روحي قوي لكن نجاحه كان ارتكز ت عل خضوعه لله وعند كلام الله معه وجد عنده السمع والطاعة، اذ ان تلك الصفات هي نفسها التي كانت اساس في عهد الولاية الى الإمام علي ابن ابي طالب (ع) هذه الامور بعينها جعلت أهل الذمة في اثناء الفتوحات الإسلامية ان تطلب من الرسول ان يكون الإمام علي عليه السلام حاكماً للذمام وبحسبهم لعدل الإمام واطاعته لله وعلمه فهو وارث الانبياء والمرسلين بالأديان السماوية. وقال الله لموسى قد قربت أيامك للوفاة استدع يوشع وقفا في خباء المحضر لا وصيه فمضى موسى ويوشع ووقفا في خباء المحضر وتجلى الله في الخباء بعمود غمام.

تفسير قصة عهد الولاية الى يوشع بن نون خلافا لنبي الله موسى (ع):

يوشع بن نون من سبط إفرايم بن يوسف عليه السلام. بحسب المصادر اليهودية لا يمكن عده من الأنبياء الا ان السفر الذى يحمل اسمه وسيرته، وكيف ادخل بنى إسرائيل الى أرض كنعان، جاء بعد أسفار موسى الخمسة التوراتية مباشرة، وتؤمن به كل طوائف بني اسرائيل «السامريون، القراءون، الربانيون».

لم يشأ موسى أن يتخلى عن عمله دون أن يتأكد من وجود قائد جديد يحل محله. فطلب من الله أولاً أن يعينه على اكتشاف البديل. وعندما وقع الاختيار على يشوع، أحال إليه موسى عدة مسؤوليات لتدريبه على



عمله الجديد، كما أخبر موسى الشعب أن يشوع أصبحت له السلطة والقدرة على القيام بقيادة الأمة. وإبداء مثل هذه الثقة في يشوع كان خيراً ليشوع وللشعب أيضاً. وكل من يشغل مركز القيادة عليه أن يدرب آخرين لحمل مسؤولياته إذا طرا فجأة، أو بمضي الزمن، ما يجعله يتخلى عن مركزه. وإذا روعي هذا المبدأ، فيندر أن يحدث فراغ في القيادة. فقبل أن تحدث أزمة في القيادة، انهج نهج موسى: صَلِّ واختر و درب، وأوكل العمل الآخرين.

تفسير سفر عدد (٢٧: ١٦-١٧) طلب موسى من الله ان يعين قائدا يكون شجاعاً (قادراً على قيادة الشعب في المعارك) يعتني بالشعب. واستجاب الرب بتعيين يشوع. ويود الكثيرون أن يكونوا قادة. والبعض لديهم الكفاءة الكاملة للقيادة في المعارك وبلوغ أهدافهم، والبعض الآخر شديد العناية بالأفراد الذين تحت مسئوليتهم. ولكن القائد الصالح هو الذي يجمع بين العناية بالهدف والعناية بالأفراد[١].

التشابه في استخدام مكان عهد الولاية بين الرسول ونبي الله موسى:

تجلى الرب الى نبي الله موسى في التوراة السامرية في (الخباء) بعيد عن قومه من بنى إسرائيل، وسميت الخيمة المخصصة (**האהל**) وبحسب ترجمات العربية للكتاب المقدس تدعى بـ(خيمة الاجتماع) ويخاطب الله موسى شفاها كما يخاطب الرجل صاحبه ويعود الى المعسكر وخادمه يوشع

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس.

بن نون فتى لا يبرح من الخباء (الخروج ٣٣: ١١)»[١]. عند عقد المقاربة بين واقعة الغدير وهذا النص نلاحظ ان الرسول صلى الله عليه وآله كان قد خاطب قومه بناء على ما اوحى ربه شفاها والامر نفسه عند وجود الإمام علي قريب منه في واقعة الغدير ولم يبرح ان يترك الرسول. من جانب اخر نلاحظ المقاربة في انتقال حق ارث النساء من نسل الأولياء الى رجال من داخل اسباطهن اي من النسل المقدس الواحد وهذا الأمر هو كحق ارث السيدة فاطمة الزهراء (ع) في حق الارث من ابيها انتقل الى الإمام علي عليه السلام لان ابن عم الرسول من العترة الطاهرة نفسها. ونلاحظ مطابقة قريبة في النص التوراتي السامري «ولبني إسرائيل تخاطب قولا: رجل يموت وابن[٢] ليس له فلتعطوا نحلته لابنته. فإن ليس له بنت فلتعطوا نحلته لإخوته. فإن ليس له إخوة فلتعطوا نحلته لإخوة أبيه. فإن ليس إخوة لأبيه فلتعطوا نحلته (لنسيبه) القريب إليه من قبيلته فيرثه، فكانت لبني إسرائيل سنة حكم كما وصى الله موسى) العدد ٢٧: ٨-٩-١٠-١١)».

في نصوص التوراة السامرية وحتى اليهودية نجد ان عهد خلافة النبي موسى الى يوشع (ع) جاء بناء على المعطيات المذكورة اعلاه، هذا الحال

(١) لحايك، مصدر سابق، ص ١٧٢.

(٢) في احد المخطوطات العربية للتوراة السامرية في القرون الوسطى وردت مفردة (ولي) حول الموضوع انظر: لترجمة العربية لتوراة السامريين لأبي سعيد السامري، حققها وقدم لها حسيب شحاذه، المجلد الأول: سفر التكوين وسفر الخروج، القدس، ١٩٨٩. ص ٣٣٦.



نفسه نجده في حديث الغدير نصاً واضحاً بالخلافة دال بثبوت النص (من كنت مولاه فعلي مولاه).

حولة التشكيك بولاية الإمام علي عليه السلام الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله قد اشار «السيد المرتضى بـ (النص الخفي) هو ما يعرف عند الأصوليين بـ(المجمل) و عرفوه بانه المبهم دلالته، ويقابله «المبيّن» وقد ذكروا للأجمال والخفاء اسبابا كثيرة منها أن يكون مشترك اللفظ بدون قرينة عليه كلفظة (مولى) فأنها موضوعة الأولى، وللعبد المملوك، وابن العم، والحليف[1] . وهذا الأمر نجده مطابق تماما لما جاء في الترجمة العربية للتوراة السامرية مفردة (يول) يوشع خليفا لموسى وفيه نبوة اي من نسل النبوة وهو فتى موسى. لذلك هنا لابد من الاستدلال من خلال القرائن الموجودة من داخل النص المقدس نفسه أو من تفسيرات خارجه يقدمها علماء الاديان. فيما يتعلق بالفقه الشيعي جاءت الكثير من الروايات ومنها رواية الشريف المرتضى اذ قال: «الوجه المعتمد في الاستدلال بخبر الغدير على النص هو: أن النبي صلى الله عليه وآله استخرج من امته بذلك المقام الاقرار بفرض طاعته ووجوب التصرف بين أمره ونهيه بقوله صلى الله عليه وآله. «الست أولى بكم من أنفسكم؟» وهذا القول وان كان مستفهما عنه. الا ان الغاية منه هو التقرير وهو جار

---

(١) البدري، السيد سامي، كتاب شبهات وردود الرد على شبهات احمد الكاتب حول امامة أهل البيت ووجود المهدي المنتظر ط٤، ص، ص٢٧٩.

مجري قوله تعالى (الست بربكم)[1]، فلما أجابوه بالاعتراف والاقرار رفع بيد أمير المؤمنين وقال عاطفاً على تقدم (فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)[2]. نجد مطابقة قريبة في نص التوراة السامرية. من هذا الرد اذا قال موسى لقومه: قدم لك يوشع بن نون الرجل الذي نبوة فيه وأسند يدك عليه........ ». أي من نسل ولاية انبياء بني اسرائيل[3].

ولا يوجد خلاف بين المفسرين في أن معنى الموالي (مفرد مولى يول) من كان احق بالميراث واولى بحيازته.

عند مراجعة اسفار الكتاب المقدس التي أشارت الى عهد ولاية النبي موسى عليه السلام الى فتاه يوشع بن نون هي اوضح واقوى نص يكاد ان يكون موجوداً في النص المقدس لأنها اشارة بكل وضوح الى ان قيادة شعب الله المختار يجب ان تكون الى من اختاره الله ونبي الله موسى عليه السلام الأمر نفسه نجده عندما اعلن النبي صلى الله عليه وآله عهد الولاية الى الإمام علي عليه السلام. لذلك هنا لابد من طرح مجموعة اسئلة عند عقد المقارنة بين يوم تنصيب يوشع وليا لنبي الله موسى والامام علي وليا لنبي الله محمد. والاجابة عنها من خلال مناقشة مصادر البحث.

١- هل التاريخ مطابق بالنسبة للواقعتين؟ بحسب الروايات مطابق في

(١) القران الكريم: سورة الاعراف ١٧٢.

(٢) البدري، مصدر سابق، ص ٢٨٠.

(٣) حول الموضوع انظر: الحايك، مصدر سابق.

ان تاريخ يوم الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة من أشهر الأيام في حياة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله ولقد وثّقته كل الكتب التاريخية.

٢- هل روحانية المواقع جغرافية بين الواقعتين متطابقة؟ نعم.

٣- هل بلغ جبرائيل موسى كما بلغ لرسول صلى الله عليه وآله ؟ نعم.

٤- هل نادى نبي الله موسى في قومه كما فعلها رسول الله في الناس الصلاة جامعة؟ نعم

٥- هل نعى موسى نفسه الى امته كما فعلها الرسول وأشار إلى أمر خلافة من هو احق بعهد الولاية من بعده؟ نعم.

٧- هل اوحى الله الى موسى بولاية يوشع كما عهدها النبي الى الإمام علي عليه السلام «إنّ جبرئيل هبط عليّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن ربّي جلّ جلاله أن أقوم في هذا المشهد، فأُعلم كل أبيض وأسود، أنّ علي بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي على أُمّتي، والإمام من بعدي، وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة من الناس وهو الله الكافي الكريم».

٨- ذكر ابن كثير «أن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا كما قلنا. وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع عليه السلام، فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه: أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن أبي طالب صلاة العصر، بعدما فاتته بسبب نوم النبي صلى الله عليه وآله على ركبته، فسأل رسول الله أن يردها الله عليه حتى يصلي العصر فرجعت[١].

(١) ابن كثير، مصدر سابق، ص٥٤٠.

مهما كان القصد من الرواية المذكورة الا ان الشمس ردت ليوشع بن نون والامام علي عليهما السلام.

الاستنتاجات:

بعد عرض مناقشة البحث ومصادره، تبين لنا ان النبي يوشع بن نون وصي في التوراة اليهودية والسامرية، على الرغم من وجود الخلاف القائم بين التوراتين في الكثير من النصوص والمفاهيم، ولكن وجدنا النص السامري كان الاقرب الى واقعة الغدير لوجود الكثير من المفردات المستوحاة من الفقه الشيعي. ولربما ان مترجم التوراة السامرية في القرون الوسطى وسفر يوشع السامري قد اقتبس تلك المصطلحات والمفاهيم من مصادر ال البيت الاطهار عليهم السلام، لاسيما وان طائفة السامرة بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام طلبوا من الرسول ان يكون الإمام علي حاكم على الذمام لعدله اذ اشار بذلك كبار كهنة السامرة في حينها. وارجح والله اعلم من انه جاء من المقاربة بين شخصية الوصيين يوشع بن نون والامام علي عليهما السلام. في الفقه السامري. اذ تميز الاثنان بالحزم والشجاعة وتحقيق العدل الالهي. الذي اوكل به الانبياء والمرسلين، لان السامرة اتفقوا مع واقعة الغدير في عهد الولاية من الانبياء الى اوصيائهم القريبين منهم، لم يكن اختيار النبي يوشع بن نون خليفة لموسى في الفقه السامري وحتى اليهودي اعتباطاً وانما لأنه الاعلم في امة موسى من بعده، وهذا الأمر ذاته مع الإمام علي عليه السلام الاعلم في امة محمد



صلى الله عليه وآله. في مطابقة اخرى لاحظنا كيف نقض الكارهون لحق ولاية الوصيين ولم يوفوا بالعهد الذي قطعوه لله ولأنبيائه عليهم السلام.

المصادر والمراجع

- المصادر العربية:

- القران الكريم

- الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

- مخطوطة التوراة السامرية المحفوظة في متحف الطائفة بمدينة نابلس فلسطين.

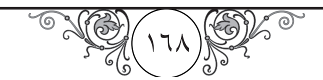
- ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، دار الاضواء المكتبة الحيدرية العراق، ١٩٥٦م.

- ابن كثير، قصص الانبياء، تحقيق عبد الحي الفرماوي، ط٥، القاهرة ١٩٩٧، ص٥٣٤.

- اسطورة توراتية كيف ابتدع الكتبة القدماء التاريخ التوراتي، تأليف جاري جرينبرج ترجمة دينا امام، دار العين الاسكندرية مصر، ٢٠١٣ م.

- البدري، السيد سامي، كتاب شبهات وردود الرد على شبهات احمد الكاتب حول امامة أهل البيت ووجود المهدي المنتظر ط٤. (ب- ت).

- الترجمة العربية لتوراة السامريين لأبي سعيد السامري، حققها وقدم لها حسيب شحاذه، المجلد الأول: سفر التكوين وسفر الخروج، القدس،



١٩٨٩ م.

- الترجمة العربية للتوراة السامرية لأبي الحسن الصوري، تقديم عبد المعين صدقة لسامري، نابلس ١٩٧٨ م.

- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، اخذ النص الكتابي من الكتاب المقدس كتاب الحياة الذي ترجم عن اللغات الأصلية بلغة عربية معاصرة، القاهرة ٢٠٠٢ م.

- الحايك، منذر، التوراة السامرية دراسة مقارنة، دمشق، ٢٠١٦ م.

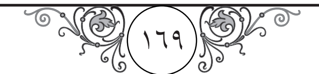
- الصاحب، إياد هاشم محمود، السامريون الأصل والتاريخ والعقيدة والشريعة وأثر البيئة الإسلامية فيهم، ط١، عمان- الاردن ٢٠٠٠ م.

- العاملي، السيد جعفر مرتضى، الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام التاريخ يعيد نفسه، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت لبنان، ٢٠٠٧ م.

- القمي، نزيه، قصص الانبياء سيرتهم وصاياهم مواعظهم الشيخ، بيروت ٢٠١٣ م.

- رسائل الشريف المرتضى، تقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم - قم، ١٤٠٥هـ.

- عمر، أحمد مختار، قاموس المعجم الوسيط اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، ٢٠٠٨ م.



- قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية.

- مرمورة، إلياس، السامريون، دار الأيتام السورية القدس، ١٩٣٤ م.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف، المسعودي (ت ٣٤٦هـ) نشر دار الاندلس بيروت سنة ١٩٦٥ م.

- معاني الاخبار للشيخ الصدوق، (ت): علي أكبر الغفاري، ١٣٧٩ هـ.

المصادر الاجنبية:

- Juynboll Theodor Willem Johann Chronicon Samaritanum arabice conscriptur cui titulus est Liber Josuae; by Joshua (Biblical figure); University of Toronto ١٨٤٨.

- Nutt John W. Sketch of Samaritan History Dogma and Literature London-Oxford: The Bodleian Library ١٨٧٤.

- Vilmar E. Abū al-Fatḥ ibn Abī al-Ḥasan al-Sāmirī Abulfathi Annales Samaritani Gothae ١٨٦٥.

- The New Encyclopedia Britannica V. ١٠: ٣٧٣-٣٧٤.



خلافة النبوّة في الأديان الثلاثة ضرورة ووحدة مسار قراءة في بيعة الوصي من زاوية جديدة

الشيخ عبد الرحمن العقيلي

مقدِّمة:

يقول تعالى في كتابه الكريم:

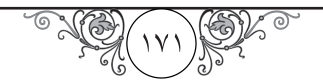
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ الانشقاق.

والقسم هنا بالشفق - وهو الحمرة بعد المغرب - وبالليل وما جمع تحت ظلمته من المتفرقات خلال النهار، وبالقمر إذا اجتمع نوره وجواب هذا القسم هو ليتبعن المسلمون من قبلهم في سننهم التي فعلوها بعد أنبيائهم.

وقد فسّر أهل البيت عليهم السَّلام الآية القرآنية فروي عن أمير المؤمنين وعن الصادق والباقر عليهم السلام «لَتَرْكَبُنَّ سُنن من قبلكم من الأوّلين وأحوالهم»[١]، وفي لفظ «أولم تركب هذه الأُمَّة طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان؟»[٢]، وهم يشيرون إلى مشابهة هذه الأُمَّة غيرها

(١) تفسير جوامع الجامع الطبرسي ج٣ ص٧٥٥.

(٢) تفسير القمّي ج٢ ص٤١٣.



من الأُمم بعد أنبيائها في أمر الاستخلاف وجعل الأمر لغير أهله.

فلمّا كان البشر متشابهين في طريقة تفكيرهم وإخلادهم إلى الدنيا كان ما يأتونه من طغيان وتكذيب في مواجهة الأنبياء ومن ثمَّ الركون إلى تعاليم الأنبياء بفعل الخوف من الطمع ومن ثمَّ محاولة اختراق التعاليم السّماوية عن طريق تأويلها وإلباسها ثوباً بشريّاً يتماهى مع تطلعات وطموحات الملأ من كبار أعيان المجتمع وأثريائه وقادته وهم بشكل عام المتأثرون من بعثة الأنبياء سلبيّاً، فالتعاليم السّماوية تنادي بمعاملة الناس بالسّويّة بينما تعودت المجتمعات البشرية على التفاضل بين الطبقات بحسب الثراء والجاه والمنصب؛ لذلك يكون الملأ هم رأس الحربة التي تواجه الأنبياء والرسل والأوصياء عادة.

وفي الإشارة القرآنية بالإطباق نكتة مهمة في التعبير عن المطابقة المذهلة لما يقوم به البشر من أتباع الأنبياء بعد رحيل أنبيائهم عن الدنيا.

يقول ابن فارس - اللغوي الشهير - في الأصل لكلمة (طبق): (الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد وهو يدلُّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطِّيه، من ذلك الطبق تقول أطبقت الشيء على الشيء فالأَوّل طبق للثاني وقد تطابقا)[1].

وقد روي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله «لَتَتَّبِعُنَّ سُننَ من قَبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتى لو سلكوا جُحر ضَبٍّ لسلكتموه»،

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس زكريا، ج٣ ص٤٣٩.

قلْنا: يا رسولَ الله، اليهودُ والنصارى؟ قال: «فمن؟!»[1].

فما يكشف عنه الكتاب والعترة أنَّ سنن البشر قد تختلف ولكنَّها لا تتخلّف، فطريقة التفكير عند البشر متشابهة وخضوعهم للطرق نفسها عند محاولة البروز اجتماعياً تجعل النتائج التي تتمخض عنها طموحاتهم متشابهة بل متطابقة.

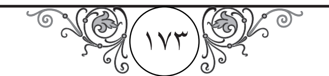
وهذا ما تكشف عنه أيُّ محاولة لتحليل اتجاهات الأوضاع بعد رحيل أيِّ نبيٍّ بعد مكوثه بين أُمَّته.

فمن طأطأ رأسه منتظراً مرور العاصفة من الطامحين للسُّلطة ولاسترجاع ما فقدوه من مزايا دنيويّة لن يفوّتوا اللحظة ليقدّموا مرشحهم لخلافة النبيِّ المتوفى، وليدعموا هذا المرشح بقوّة، وكنتيجة لدعمه يجب أنْ يكون وفيّاً للطبقة والشريحة التي أفرزته ودفعت به إلى الأمام، وحتى يضمنوا ذلك يلزم منه أنْ يكون من الرعيل الأَوّل الذي فقد ما كان يتمتع به في مجتمعه قبل أنْ تسلبه الدعوة النبويّة ذلك تمشياً مع تعاليم الدين السمحاء والتي تنادي بضرورة أنْ يكون التفاضل بالتقوى والقرب من الله سبحانه واقتفاء أثر النبيِّ وليس بشيء آخر.

من هنا فقد كان تتبع ما فعله اليهود والنصارى مع أوصياء أنبيائهم ضرورياً لإلقاء الضوء على ما سيفعله المسلمون مع الوصي الذي سيخلف نبيَّهم.

---

(١) صحيح البخاري، ج٤ ص١٤٤، وبلفظ قريب عن الإمام الباقر عليه السلام: بحار الأنوار، المجلسي ج٢٩ ص٤٥٠.



وهـذا التتبـع والاسـتدلال عليـه سـيكون مـن نتائجـه الوصـول ألى دليـل جديـد يدعـم مـا عليـه ظاهـر الأمـر مـن أنَّ مـا حـدث في يـوم غديـر خـم كان بيعـة سـماويّة لـوصي النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، وأنَّ أيَّ قـول بخـلاف ذلـك سيجرّ إلى تأويـلٍ غـير مقبـولٍ لظاهـر القـرآن وسـيقود إلى ردٍّ أو اعتسـاف التأويـل لحديـث مستفيض عنـد جميـع طوائـف المسـلمين، وهـو حديـث ركب سنن الذيـن مـن قبلنـا[1]، بـل إنَّـه سـيقود إلى محاولـة ليّ أعنـاق النصـوص التـي وردت في أوصيـاء الأديـان الذيـن سـبقوا الإسـلام في محاولـة لاسـتبعاد التطابـق فيـما حصـل.

الوصاية عند اليهودية:

تتَّفـق مصـادر الأديـان الثلاثـة عـلى أنَّ وصيَّ موسـى عليـه السَّـلام كان يوشـع بـن نـون وهـو مـن قبيلـة إفرايـم بـن يوسـف بـن يعقـوب، وهـو الـذي قـاد بنـي إسرائيـل بعـد وفـاة موسـى عليـه السَّـلام[2].

وهـو الـذي قـاد بنـي إسرائيـل وأخرجهـم مـن التيـه وعـبر بهـم نهـر الأردن ودخـل بهـم بيـت المقـدس بعـد حصـار وقتـال، وتذكـر المصـادر اليهوديّـة والإسـلاميّة أنَّـه خـاض معركـة مـع القـوم الذيـن كانـوا يسـكنون بـلاد كنعان،

---

(١) راجع كتاب (أُمّة على خطى الأُمم، المقدمة) للمؤلف لتجد أنَّ الحديث روي بخمسة وثلاثين لفظاً وفي جميع مصادر المسلمين بلا استثناء.

(٢) التوراة في سِفر العدد ٢٧: ١٦ والنصارى تؤمن بالتوراة كجزء من الكتاب المقدس، بصائر الدرجات الكبرى مُحمَّد بن الحسن الصفار ص١١٦، كفاية الأثر الخزاز القمّي، ص١٣٧، المستدرك الحاكم النيسابوري، ج٣، ص٥٨٠، تاريخ الطبري، ج١، ص٣٠٤.

وعندما صار النصر قاب قوسين أو أدنى كان وقت العصر قد أزف واليوم كان يوم الجمعة واليوم التالي هو يوم السبت (وهو اليوم الذي حرَّم الله فيه على اليهود الصيد من البحر و اعتدوا فيه على تحذير الله كما ورد في القرآن الكريم) وإنْ دخل عليهم المغيب لدخلت - بغياب الشمس - ليلة السبت فلا يتمكنون معه من القتال، فنظر إلى الشمس ودعا ربَّه بأنْ لا تغيب حتى يتم استثمار الهجوم والنصر وبإذن الله كان له ذلك[1]، وهو ما تكرر مع أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام من بعد.

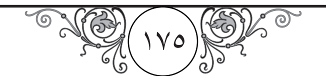
بعد وفاة موسى تسلَّم يوشع زمام قيادة الأُمَّة، وأصبح قائداً لبني إسرائيل طوال الحقبة التي تمَّ فيها الاستيلاء على معظم أراضي كنعان (فلسطين اليوم).

لقد استطاع يوشع وهو ما زال في سهل موآب (شرق نهر الأردن) أَن يجنِّد قواته ويجهِّزها وينظمّها لخوض المعارك التي اشتدّت بعد أن اجتاز نهر الأُردن، لقد نشبت ثلاث معارك: واحدة في المنطقة الشمالية، وأُخرى في المنطقة الوسطى، وثالثة في المنطقة الجنوبية، أسفرت كلُّها عن انتصار بني إسرائيل، وقد ورد وصف هذه المعارك بصورة إجمالية في التوراة[2]، وما لبث يوشع بعد هذه المعارك الأَوليَّة أنْ قسَّم الأرض بين مختلف أسباط إِسرائيل، ثمَّ ألقى كلمة فيهم حثَّهم فيها على المثابرة على طاعة الله وحذَّرهم من الغواية والضلال، ثم قُتل بشكل غامض ولم تُذكر

---

(١) التوراة سفر يوشع ١٢:١٠، مسند أحمد ج٣ ص٣٢٥، فتح الباري ابن حجر ج٦ ص١٥٤.

(٢) التوراة سفر الخروج ١٧:١٣.



تفاصيل مقتله في مصادر المسلمين[1].

وله سِفر خاص عند اليهود في هذا الكتاب أظهر يوشع - بوحي من الروح القدس - أنَّ الله يفي بكلِّ وعد يقطعه على نفسه، وفيه أيضاً نرى بني إسرائيل يدخلون الأرض بعد أنْ فسد أهلها وعبدوا الأصنام.

وقد وصفت كيفية بيعته ووصايته في التوراة في سِفر العدد ٢٧: ١٦ (١٦. لِيُوَكِّلِ الرَّبُّ إِلهُ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ رَجُلاً عَلَى الْجَمَاعَةِ، ١٧. يَخْرُجُ أَمَامَهُمْ وَيَدْخُلُ أَمَامَهُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُدْخِلُهُمْ، لِكَيْلاَ تَكُونَ جَمَاعَةُ الرَّبِّ كَالْغَنَمِ الَّتِي لاَ رَاعِيَ لَهَا، ١٨. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: خُذْ يَشُوعَ بْنَ نُونَ، رَجُلاً فِيهِ رُوحٌ، وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ، ١٩. وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ، وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، ٢٠. وَاجْعَلْ مِنْ هَيْبَتِكَ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ لَهُ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ).

ويوشع هو ابن أُخت موسى عليه السَّلام وهو على الأرجح الفتى الذي يذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)﴾ سورة الكهف.

فانتبه إلى هذا الكلام الدقيق التوصيف والذي من خلاله يظهر الله سبحانه الصفات العامة لهذا الوصي، فهذا الوصي يخرج ويدخل أمامهم فهو القدوة وهو حافظ الدين، ومن هنا فهو القائد الشرعي الذي يقي الأُمَّة بنفسه فيخرج أمامهم ويدخل أمامهم.

---

(١) كامل الزيارات ابن قولويه ص١٥٩.

وكونه (رجلاً فيه روح) إشارة إلى التسديد الإلهي الذي يكون مع الأوصياء، وهو ما تكلم عنه الأوصياء من أهل البيت عليهم السَّلام بقولهم: «في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح، روح البدن وروح القدس وروح القوة و روح الشهوة وروح الإيمان، وفي المؤمنين أربعة أرواح»[1].

وقوله: (وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ، وَأَوْقِفْهُ قُدَّامَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَقُدَّامَ كُلِّ الْجَمَاعَةِ، وَأَوْصِهِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ).

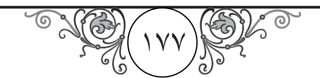
هي طريقة التقديم وإعلام الناس بأنَّ هذا الرجل هو الذي اختاره الله سبحانه ليقود الجماعة بعد رحيل النبيِّ.

ومن خلال ما حصل فيما بعد في بيعة الغدير لوصي النبيِّ مُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله وما سننقله عن بيعة عيسى لوصيه سمعان بطرس (شمعون الصفا) يظهر أنَّ وضع اليد على الوصي عند تقديمه هو طقس سماوي موصى به فقوله: (وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ، وَأَوْقِفْهُ..) هي هيئة خاصة ليوم البيعة بشكل خاص، وهذا ما فعله النبيُّ مُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله إذ (أخذ صلَّى الله عليه وآله بيدي عليٍّ بن أبي طالب، فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، ولم يُر قبل ذلك)[2].

فانتبه لقوله: (ولم يُر قبل ذلك) فهذا الفعل لم يره المسلمون مطلقاً قبل هذا اليوم، وبلفظ آخر «ثم أخذ بيَدَي عليٍّ فقال: من كنت وليه فهذا

(١) بصائر الدرجات الكبرى، محمّد بن الحسن الصفار، ص ٤٦٧.

(٢) الأمالي، الصدوق، ص٤٣٧، الإرشاد، المفيد ج١ ص١٧٦.



وليـه، اللهـم والِ مـن والاه وعـادِ مـن عـاداه»[1].

والقـول المنسـوب لله سـبحانه في نـص التـوراة (لِكَيْـلاَ تَكُـونَ جَمَاعَـةُ الـرَّبِّ كَالْغَنَمِ الَّتِي لاَ رَاعِيَ لَهَا)، هـي العلـة التـي تـبرز مـن أجلهـا أهميـة الوصايـة بعـد النبـوّة، فالنبـوة هـي منصـب يتـم مـن خلالـه إيصـال رسـالة الله سـبحانه وتعاليمـه، وبعـد انتهـاء أجلهـا تخلفهـا نبـوة أو وصايـة تقـوم بالحفـاظ عـلى إرث النبـوَّة، ومـن هنـا يلـزم أنْ يقـود المرحلـة رجـل قريـب مـن سراج النبـوّة وقـد جُـرّب في النضـال في سـبيلها وأثبـت إخلاصـه في سـبيل تحقيـق أهدافهـا، وبـذل الغـالي والنفيـس في نصرتهـا، وفـوق كلِّ شيء أنَّ الله سـبحانه يعلـم دواخلـه ويرتضيـه لهـذه المهمـة الجليلـة.

ولَّمـا كانـت ظواهـر النـاس قـد تشـتبه عـلى العامـة فقـد يخطـئ العامـة فيظـن بعـض المنافقـين أنَّهـم مـن المقربـين والعكـس صحيـح؛ لـذا كان القـول الربـاني بالتنصيـب حاسـماً للأمـر.

فكـما أنَّ أمـر النبـوّة أمـر إلهـي ومـن خـلال البراهـين التـي يـأتي بهـا النبـيُّ يثبـت أنَّـه مرسـل مـن الله سـبحانه، وكذلـك الـوصي يكـون بجعـل إلهـي ومـن خـلال إخبـار النبـيِّ الـذي يسـبقه يعـرف النـاس أنَّ هـذا الرجـل هـو الـوصي، وبالبراهـين التـي تقـام للنـاس يفـرق الـوصي بـين الحـق والباطـل ويزيـح الشـبهة لمـن يشـكّك بوصايتـه بعـد رحيـل النبـيِّ.

هارون ويوشع عليهما السلام:

---

(١) فضائل الصحابة النسائي ص١٥، المسند الجامع، بشار عواد، ج ٥ ص ٥٠٥

الملاحـظ في سـيرة أنبيـاء بنـي إسرائيـل أنَّ خلافـة موسـى قُسِّـمت عـلى رجلـين واحـد في حياتـه وهـو هـارون الأَوّل نبـيّ، وكان يخلفـه عنـد غيابـه، والثـاني بعـد وفـاة موسـى وهـو الـوصي يوشـع بـن نـون، وهـذان الرجـلان تـكاد بعـض تفاصيـل حياتهـما تتطابـق مـع مـن اتفـق المسـلمون عـلى تسميته بالـوصي[1] وهـو أمـير المؤمنـين عليـه السَّـلام، فمـن ذلـك:

إنَّ موسـى دعـا ربَّـه فقـال: ﴿وَاجْعَـلْ لِي وَزِيـراً مِـنْ أَهْـلِي (٢٩) هَـارُونَ أَخِـي (٣٠) اشْـدُدْ بِـهِ أَزْرِي(٣١) وَأَشْرِكْـهُ فِي أَمْـرِي (٣٢)﴾ سـورة طـه ٢٩-٣٢، فاسـتجاب لـه ربُّـه وأرسـل معـه هـارون نبيّـاً.

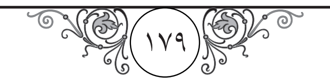
وكذلـك النبـيُّ مُحمَّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه دعـا ربَّـه بالكلـمات نفسـها فنـزل الأمـر بتنصيـب عـليٍّ أمـيراً للمؤمنـين مـن بعـده[2]، وكذلـك نجـد أنَّ هـارون سـمَّى ولديـه شبّراً وشـبيراً، وعـليٌّ عليـه السَّـلام سـمّى ولديـه حسـناً وحسـيناً[3].

هنـاك تركيـز في القـرآن عـلى أُخـوّة هـارون لموسـى وكأنَّ التنزيـل يريـد أنْ ينبهنـا إلى العلاقـة الأُخويّـة وليـس فقـط إلى الشراكـة النبويّـة، فقـال تعـالى:

(١) المحاسن، البرقي ج٢ ص٣١٤، المعجم الكبير، الطبراني ج ٦ ص ٢٢١، مجمع الزوائد ٩ج ص ٢١٣، الرياض النضرة ج٣ ص ١٣٨ الفصل السادس: في خصائصه، ذكر اختصاصه بالولاية والإرث.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ابن طاووس ص ٧٤، ابن عساكر في ترجمة الإمام عليٍّ عليه السَّلام من تاريخ دمشق، ج ١ ص ١٢٠ - ١٤٧، فضائل الإمام عليٍّ عليه السَّلام، أحمد بن حنبل ص ٢٠٢ - ٢٨٠، شواهد التنزيل الحسكاني ج ١ ص ٣٦٨.

(٣) الأمالي، الصدوق ص١٩٢، مسند أحمد ج١ ص٩٨.



﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً﴾(مريم:٥٣).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (المؤمنون: ٤٥).

وقال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (طه:٤٢).

وكذلك النبيُّ صلَّى الله عليه وآله آخى بينه وبين عليٍّ عليه السَّلام، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدَّعيها بعدك إلَّا كذّاب»[١].

والذي حدث مع هارون بعد غياب موسى في الميعاد حصل مع عليٍّ عليه السَّلام عند غياب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، بل واستعمل الإمام المصطلحات نفسها التي استعملها هارون للدلالة على المشابهة في الدور والوضع الذي حصل واستجد، قال تعالى عن موسى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه ٩٢-٩٤).

فهارون ولما رأى ضلالة قومه واتِّباعهم للسامري اختار تركهم على ضلالتهم حتى يرجع موسى خوفاً من تفريق الجمع وهم حديثو عهد بالدين الموسوي، وهذا ما حصل مع عليٍّ عليه السَّلام فقد أوصاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بالصبر لو خُيِّر بين قتال القوم وبين فِعل ما فَعل

---

(١) تحفة الأحوذي المباركفوري، ج ١٠ ص ١٥٢.

هـارون، فقـد روي عـن النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه قولـه: «كيـف بـك يـا عـليُّ إذا ولوهـا مـن بعـدي فلانـاً؟»، قـال: «هـذا سـيفي أحـول بينهـم وبينهـا»، قـال النبـيُّ صـلَّى الله عليـه وآلـه: «وتكـون صابـراً محتسـباً فهـو خـير لـك منهـا»، قـال عـليٌّ عليـه السَّـلام: «فـإذا كان خـيراً لي فأصـبر وأحتسـب»[1].

إنَّ هـارون لمـا رأى مـا فعلـه أتبـاع موسـى مـن عبـادة العجـل دعاهـم لاتّباعـه فهـو نبـيٌّ معصـوم وهـذا ممَّـا لا يشـك فيـه اليهـودي الموسـوي إذا شـك في شيء آخـر، وهـذا مـا فعلـه عـليٌّ عليـه السَّـلام بعدمـا ارتـدوا عـلى أدبارهـم القهقـرى (عـلى مـا نـصَّ عليـه البخـاري في حديـث اختـلاج الصحابـة).

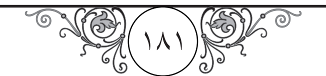
فقـد قـال تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ قَـالَ لَهُـمْ هَـارُونُ مِـنْ قَبْـلُ يَـا قَـوْمِ إِنَّـمَا فُتِنْتُـمْ بِـهِ وَإِنَّ رَبَّكُـمُ الرَّحْمَـنُ فَاتَّبِعُـونِي وَأَطِيعُـوا أَمْـرِي﴾ (طـه: ٩٠).

ولكـنَّ القـوم لم يطيعـوا هـارون حتـى رجـع إليهـم موسـى عليهـما السَّـلام، والمفـترض أنَّ فائـدة اسـتخلاف موسـى لهـارون هـي أنْ يقـوم في مقامـه فيكـون الفيصـل بـين الحـقِّ والباطـل حتـى يرجـع موسـى، وهـذا مـا فعلـه النبـيُّ صـلَّى الله عليـه وآلـه مـع عـليٍّ عليـه السَّـلام، فهـو فـوّض إليـه الحـرب عـلى التأويـل وفـوَّض إليـه مقاتلـة المخالفـين؛ لكونـه وارث علـم النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، فقـد روى الهيثمـي عـن أمـير المؤمنـين عليـه السَّـلام «عهـد إليَّ رسـول الله صـلَّى الله عليـه (وآلـه) وسـلَّم في قتـال الناكثـين والقاسـطين والمارقـين»[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣ ص ٧.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٧ ص ٢٣٨.



وكان إظهار وصيَّة موسى إلى يوشع بن نون في الثامن عشر من ذي الحجة بالحساب العربي وهو يوم بيعة الغدير للإمام عليٍّ عليه السلام !.

ومقتل يوشع ومقتل هارون ورفع عيسى ومقتل عليٍّ عليهم السَّلام كان في يوم ٢١ رمضان بالأشهر القمريّة [1].

كما أنَّ الله تعالى أمر موسى باتخاذ مسجد لا يكون معه فيه غير هارون[2] وكذلك أمر النبيُّ مُحمَّد صلَّى الله عليه وآله باتخاذ مسجد لا يكون معه فيه غير بيت عليٍّ عليه السَّلام [3].

هذا التشابه بين عليٍّ عليه السَّلام من جهة وبين هارون ويوشع عليهما السَّلام تجعل المرء متأمِّلاً ومتسائلاً عن التفاصيل الكثيرة التي لم تصل.

الوصاية عند النصرانيّة:

شمعون الصفا عليه السَّلام

هو أبرز وأخلص تلاميذ السّيد عيسى المسيح عليه السَّلام ويسميه الإنجيل (بطرس) ويسمّونه اليوم (بيتر) وعلى قبره بُني الفاتيكان في روما (على ما يزعمون وهو ما قد يخالف ما يراه بعض باحثي المسلمين).

وهو أحد تلامذة المسيح الاثني عشر المُسَمّين في القرآن بالحواريين، والده حمون بن عامه، وكان يُعرف قديماً بسمعان الصفا.

---

(١) كامل الزيارات ابن قولويه، ص١٥٩، مسار الشيعة، المفيد ص٩.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٥ ص٢٣٤.

(٣) الأمالي الصدوق ٤١٣، الاحتجاج الطبرسي، ج١ ص١٨٠.

وسمعان كلمة عبرية، تقابلها شيمون في السريانيّة، التي هي (شمعون) في العربيّة، و(الصفا) كلمة عربية تعني الحجر الصلب الأملس، يقابلها في اليونانية (بطرس)، وفي الآراميّة (كيفا)، ومعناها الحجر أو الصخر[1].

وهو من أقارب مريم عليها السَّلام من جهة أبيها عمران، فقرابته على هذا متينة مع عيسى عليهما السَّلام، وهذا ما وجدناه في حديث للإمام عليٍّ عليه السَّلام لجاثليق الروم إذ يقول عليه السَّلام: «أوما تعلمون أنَّ وصيَّ عيسى شمعون بن حمون الصفا ابن خالِه اختلفت عليه أُمَّة عيسى؟!»[2].

فانتبه إلى صلة القربى هنا وكون يوشع بن نون ابن أُخت موسى عليه السَّلام وكون عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام ابن عمِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، فالأوصياء يختارهم الله من عوائل شريفة قريبة على الرُسُل.

وكذلك وصيَّة عيسى إلى شمعون الصفا كانت في الثامن عشر من ذي الحجة بالحساب العربي، وهو يوم تنصيب يوشع بن نون وصياً لموسى، وهو يوم تنصيب عليٍّ لخلافة النبيِّ عليهما الصلاة والسَّلام[3]، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السَّلام «ما بعث الله عزَّ وجلَّ نبياً قط إلَّا وتعيد

---

(١) شمعون الصفا، بطرس بين المسيحية والإسلام، علي داود جابر.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٣٠ ص٧٧.

(٣) العدد القويّة في المخاوف اليومية، رضي الدين ابن طاووس، ص٢٠٠ و ٢٠١، وبحار الأنوار، المجلسي ج٣١ ص٤٩٣.



في هـذا اليـوم وعـرف حرمتـه»[1].

وقـد نقلـت الأناجيـل بيعـة عيسـى عليـه السَّـلام لسـمعان بقولـه لـه: (ولمَّـا جـاء يسـوع إلى نواحـي قيصريّـة فيلبـس، سـأل تلاميـذه قائـلاً مـن يقـول النـاس إنِّي أنـا ابـن الإنسـان. ١٤ فقالـوا: قـوم يوحنـا المعمـدان. وآخـرون إيليـا. وآخـرون إرميـا أو واحـد مـن الأنبيـاء. ١٥ قـال لهـم وأنتـم مـن تقولـون إنِّي أنـا. ١٦، فأجـاب سـمعان بطـرس وقـال: أنـت هـو المسـيح ابـن الله الحـي. ١٧، فأجـاب يسـوع وقـال لـه: طوبـى لـك يـا سـمعان بـن يونـا. إنَّ لحـماً ودمـاً لم يعلـن لـك لكـن أبي الـذي في السـماوات. ١٨ وأنـا أقـول لـك أيضـاً: أنـت بطـرس وعـلى هـذه الصخـرة أبنـي كنيسـتي وأبـواب الجحيـم لـن تقـوى عليهـا. ١٩، وأعطيـك مفاتيـح ملكـوت السّـماوات. فـكلُّ مـا تربطـه عـلى الأرض يكـون مربوطـاً في السـماوات. وكلُّ مـا تحلّـه عـلى الأرض يكـون محلـولاً في السـماوات. ٢٠، حينئـذ أوصى تلاميـذه أنْ لا يقولـوا لأحـد إنَّـه يسـوع المسـيح)[2].

فانتبه لقول عيسى: (من يقول الناس إنِّي أنا ابن الإنسان؟).

وهـو أراد أنْ يظهـر مـدى قـرب سـمعان بطـرس منـه وهـو يعلـم أنَّـه سـيجيب بـما يخطـئ بـه الآخـرون، ومنـه يسـتظهر النـاس علمـه برسـالته وبحقيقـة شـخصه.

(١) تهذيب الأحكام، الطوسي، ج٣ ص١٤٣.

(٢) إنجيل متى ٢١:١٦.

وهنا جاءت إجابة بطرس ليعلم الناس من هو بطرس وما هي حقيقة علمه بالشخصية العجائبية لعيسى عليه السَّلام.

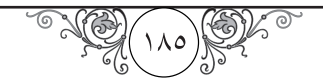
وهنا قام عيسى وأزاح الستار عن حقيقة بطرس بقوله: (إنَّ لحماً ودماً لم يعلن لك لكنَّ أبي الذي في السّماوات) وهو قول يساوق القول بالتسديد الإلهي وهو يشابه ما قاله الله عن يوشع وكونه (رجلاً فيه روح)، وهو القول نفسه المنقول عن الأئمة الأوصياء في الإسلام بأنَّ الروح التي أرسلها الله تعالى للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله «خلق من خلق الله عزَّ وجلَّ أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده»[1].

والأجلى من ذلك هو قول عيسى لبطرس: (وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها).

والكنيسة في المصطلح الأَوَّل لفظ يرادف كلمة (تجمُّع) أو (طائفة) ولكنَّه فيما بعد استخدم بمعنى مكان هذا التجمع، يقول بولس في رسالته إلى أهالي رومية (سلّموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع.. وعلى الكنيسة التي في بيتهما)[2]، فاستعمل الكنيسة بمعنى الجماعة التي في بيت هذين الرجلين، ولكنَّه عاد فاستعمل مصطلح الكنيسة للبناء أيضاً في قوله: (لكي تعلم كيف يجب أنْ تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة

(١) الكافي، الكليني، ج١ ص٢٧٣.

(٢) الكتاب المقدس العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهالي رومية ٣:١٦.



الله الحي عمود الحقِّ وقاعدته)[1].

وهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه الذي لا ينفك عنه، فوجود الجماعة واجتماعها للطقوس الدينيّة لا ينفك عن الحاجة إلى مكان؛ لذلك أسموا هذا المكان باسم الجماعة ومعنى كلامه عليه السَّلام أنَّ بطرس هو من سيتولى رعاية الجماعة المؤمنة بتعاليم السَّماء التي نزلت على عيسى لتهذيب الناس وإرجاعهم إلى الطريق القويم، وهي وظيفة كلِّ وصيٍّ في قومه.

وقول عيسى عليه السَّلام لبطرس: (وأُعطيك مفاتيح ملكوت السّماوات، فكلُّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السّماوات. وكلُّ ما تحلُّه على الأرض يكون محلولاً في السّماوات).

هو قول صريح بعصمته، فما يحكم به بطرس يحكم به الله ليس لأنَّ أحكام الله تبعاً لبطرس، بل لأنَّ الله سبحانه يعلم أنَّ هذا الوصي لا يقول إلَّا بالتسديد، وهو قول سيد الأوصياء عليه السَّلام: «ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله»[2]، لهذا أردف عيسى بهذا القول قولاً آخر حتى لا يلتبس الأمر عليهم، إذ يقول: (حينئذٍ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنَّه يسوع المسيح)، فمع أنَّ عيسى جعل لبطرس أنْ يربط وأنْ يحلّ وأخبر الناس أنَّه مسدد من الله حذرهم من أنْ يقولوا بنبوّته أو يخلطوا بين عيسى وبين بطرس، فالنبوّة شيء والوصاية شيء.

---

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد الرسالة الأُولى من بولس إلى تيموثاوس ٣: ١٥.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٦ ص٧.

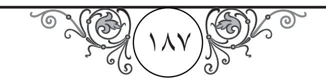
وهو ما قاله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السَّلام: «إنَّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلَّا أنَّك لست بنبيٍّ، ولكنَّك وزير وإنَّك لعلى خير»[1].

بقي شمعون بين بني قومه في فلسطين، يدعوهم للثبات على الدين الذي جاء به النبيُّ عيسى عليه السَّلام بلا تبديل ولا تغيير ولا تحريف، وقد يكون هذا هو سبب خلافه مع بولس ومريم المجدلية وهو ما كشفته لفائف الأناجيل المسماة (آبوكريفا)[2]. واشتدّ الظلم والأذى للحواريين من قبل اليهود والرومان، ووصل الأمر إلى صلبهم على الخُشُب، ونشرهم بالمناشير وقد كانت شهادته سنة ٦٧م، عن عمر يناهز سبعة وسبعين عاماً.

إذ اندلعت الثورة اليهودية عام ٦٦م، وكانت الغلبة فيها لليهود، حتى عام ٧٠م، وفي أثنائها علم شمعون بما يضمره له الأعداء من اليهود، فخرج مهاجراً إلى أنْ وصل إلى قمة جبل في جليل الأُمم لكنّ اليهود تبعوه حتى أدركوه هناك، وضُرِبَ بالسيف على رأسه- وهي الطريقة نفسها التي قتل بها أمير المؤمنين عليه السَّلام - وأُلقي جسده في جُبٍّ تُظلّله شجرة بطم، كان ذلك في العام ٦٧م، وكان في السابعة والسبعين من

(١) نهج البلاغة، كلام أمير المؤمنين عليه السَّلام، جمع الشريف الرضي، ج٢ ص١٥٨.

(٢) آبو كريفا: لفظ يوناني معناه (غير قانوني) وقد اعتادت الكنيسة أنْ تطلق هذا اللفظ على الأناجيل غير الرسمية والتي توجد عادة في الكهوف والمناطق الصحراوية والتي تروي قصة غير التي ترويها الكنيسة عن العلاقة بين الحواريين وحقائق ما جرى في تلك الأيام، قاموس موقع الأنبا تكلا هيمانوت، الموقع الرسمي للكرسي المرقصي القبطي.



عمره[1].

فكانت هذه الليلة التي قُتل فيها كَليلةِ مقتل أمير المؤمنين عليه السَّلام، بحيث لم يُرفع حجر عن وجه الأرض إلّا وجد تحته دم عبيط حتى طلوع الفجر.

فقد ورد عن الباقر عليه السَّلام أنّه قال: «لمّا كانت تلك الليلة التي قُتل فيها أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام، لم يُرفع حجر عن وجه الأرض إلّا وُجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها شمعون بن حمون الصفا»[2].

ونظراً للمركز الكبير لشمعون الصفا، والمحبّة العظيمة من قبل المؤمنين له، بقي موضع القبر معروفاً، وخاصة أنّ منطقة جنوب لبنان كانت آهلة بالنصارى الموحِّدين من أتباعه.

الوصاية في الإسلام:

أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام

وصي النبيِّ مُحمَّد صلَّى الله عليه وآله هو عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام الهاشمي القرشي، (ولد في ١٣ رجب أو ٧ شعبان ٢٣ ق هـ)[3]، ابن عمِّ النبيِّ

---

(١) شمعون الصفا (بطرس) بين المسيحية والإسلام، علي داوود جابر، تاريخ اليعقوبي، ج١ ص٥٣.

(٢) كامل الزيارات، ابن قولويه، ص١٥٩.

(٣) الإرشاد، المفيد، ج١ ص٥.

مُحمَّد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وزوج بنته ووصيه.

ولد في جوف الكعبة وأُمّه فاطمة بنت أَسد الهاشميّة، ربيب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، عاش في كنفه، يقول عليه السَّلام عن حياته وطفولته مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلَّى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وأنا ولد يضمُّني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسَّني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمَّ يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلَّى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمِّه يرفع لي في كلِّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلِّ سنة بحِراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلَّى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنَّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلَّى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنَّة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، إنَّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلَّا أنَّك لست بنبيٍّ، ولكنَّك وزير، وإنَّك لعلى خير»[1].

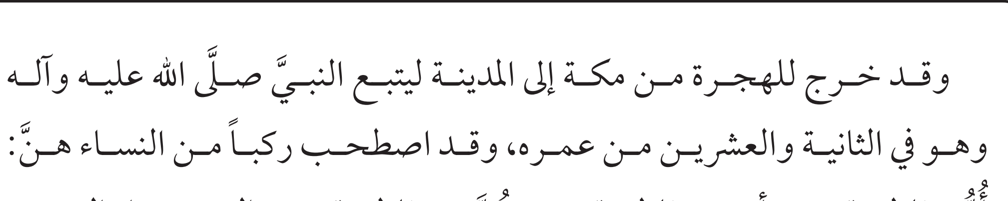
وهي خصائص انفرد بها عليه السَّلام.

---

(١) نهج البلاغة، كلام أمير المؤمنين عليه السَّلام، جمع الشريف الرضي، ج٢ ص١٥٨.







وقد خرج للهجرة من مكة إلى المدينة ليتبع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وهو في الثانية والعشرين من عمره، وقد اصطحب ركباً من النساء هنَّ: أُمُّه فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت مُحمَّد وفاطمة بنت الزبير وزاد البعض فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب وهو ما سمِّي بـ(ركب الفواطم).

ولم تمضِ غير أيام قليلة حتى وصل إلى (قباء) حيث انتظره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بها ورفض الرحيل قبل أنْ يصل عليٌّ عليه السَّلام الذي كان قد أنهكه السَّفر وتورَّمت قدماه حتى نزف منهما الدم، وبعد وصوله بيومين نزل عليٌّ عليه السَّلام مع الرسول صلَّى الله عليه وآله إلى المدينة.

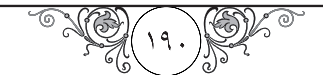
وحين وصل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله إلى المدينة قام بما عُرف بمؤاخاة المهاجرين والأنصار وآخى بين عليٍّ وبين نفسه، وقال له: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»[1].

وفي شهر صفر من السّنة الثانية من الهجرة زوَّجه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله ابنته فاطمة الزهراء عليها السَّلام، ولم يتزوج بأُخرى في حياتها[2]، وقد كان تزويج فاطمة من عليٍّ عليهما السَّلام بأمرٍ من الله، حيث توالى الصحابة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لخطبتها، إلَّا أنَّه ردَّهم جميعاً، حتى أتى الأمر بالتزويج من السَّماء، فأصدقها عليٌّ عليه السَّلام درعه الحطميَّة، ويقال إنَّه باع بعيراً له وأصدقها ثمنه الذي بلغ ٤٨٠ درهماً على أغلب الأقوال، وأنجب منها الحسن والحسين عليهما السَّلام في السنتين الثالثة

---

(١) الخصال الصدوق، ص٤٣٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ١، ص ٥٢٣.



والرابعة من الهجرة على التوالي، كما وُلدت له زينب وأُمُّ كلثوم.

كان عليٌّ عليه السَّلام موضع ثقة النبيِّ وأخاه وصهره، فكان كاتبه وكان أحد سِفرائه الذين يحملون الرسائل ويدعون القبائل للإسلام، شهد بيعة الرضوان وأمره النبيُّ مُحمَّد صلَّى الله عليه وآله حينها بتدوين وثيقة صلح الحديبية وأشهده عليها[1].

يروى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله بعث خالد بن الوليد إلى اليمن ليدعوهم، فبقي هناك ستة أشهر فلم يُجبه أحد، فبعث النبيُّ بعليٍّ عليهما السَّلام إلى اليمن فأسلمت على يديه قبيلة همدان كلُّها[2]، وتتابع بعدها أهل اليمن في الدخول إلى الإسلام، فكان الخير على يديه ولم تكن هذه المرّة الأخيرة التي يذهب فيها عليٌّ عليه السَّلام إلى اليمن، إذ ولّاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله قضاء اليمن، ثمَّ أرسله إلى هناك سنة ٨ هـ ومكث به عاماً واحداً، كما أسهم في فضِّ النزاعات وتسوية الصراعات بين القبائل، وعند تحرير مكة من الشرك أمره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بكسر الأصنام التي كانت حول الكعبة وداخلها، وحمله على كتفيه الشريفين لإسقاط الأصنام فوق الكعبة[3].

---

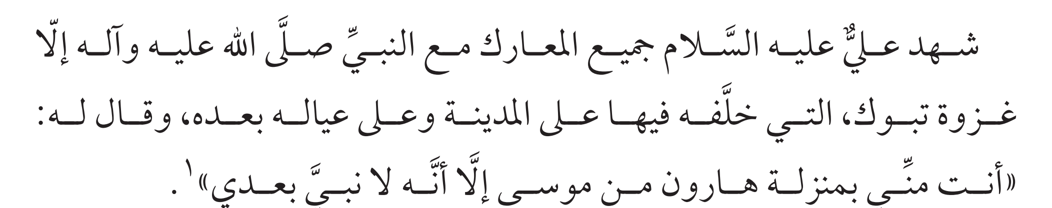
(١) متشابه القرآن، ابن شهر آشوب، ج٢، ص٢٢، الإرشاد، المفيد، ج١ ص١٢٠، مكاتيب النبوة، الأحمدي الميانجي، ج١ ص٨٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج١، ص٣٩٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر شوب، ج١، ص٣٩٨، بحار الأنوار، المجلسي، ج٣٨، ص٧٦، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، ج١، ص ٤٥٣.







شهد عليٌّ عليه السَّلام جميع المعارك مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله إلّا غزوة تبوك، التي خلَّفه فيها على المدينة وعلى عياله بعده، وقال له: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي»[١].

وسلَّم له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله الراية في الكثير من المعارك، ففي غزوة بدر، قتل عليٌّ عليه السَّلام الوليد بن عتبة، وقتل ما يزيد عن خمسة وثلاثين من المشركين، وشارك المسلمين في قتل خمسة وثلاثين مشركاً[٢].

وفي غزوة أُحد قتل طلحة بن عبد العزَّى حامل لواء قريش في المعركة، وأرسله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله إلى فدك فأخذها في سنة ٦هـ[٣].

وفي غزوة الأحزاب قتل عمرو بن عبد ودّ العامري أَحد فرسان العرب، وفي غزوة خيبر هزم فارس اليهود المسمّى (مرحب)، بعد أنْ عجز جيش المسلمين مرتين عن اقتحام حصن اليهود، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «لأدفعنَّ الراية إلى رجل يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه ويفتح عليه»[٤]، فأعطاها لعليٍّ عليه السَّلام ليقود الجيش، وفتح الحصن وقد اقتحم حصن خيبر واتخذ الباب درعاً له، وكان ممَّن ثبت مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في غزوة حنين حين فرَّ باقي المسلمين ومنهم كبار

(١) الكافي، محُمَّد بن يعقوب الكليني، ج ٨، ص ١٠٧.

(٢) الصراط المستقيم، البياضي، ج١، ص٢٥٩.

(٣) الإرشاد، المفيد، ج١، ص٩١.

(٤) كتاب سليم بن قيس، ص١٩٥.

الصحابـة[1].

في اليـوم الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة مـن العـام العـاشر للهجـرة بعـد أن أتـمَّ النبـيُّ صـلَّى الله عليـه وآلـه مناسـك حجّـة الـوداع وخـرج المسـلمون عائديـن لديارهـم، توقَّـف عنـد مـكان يقـال لـه غديـر خـم وخطـب في المسـلمين خطبـة اختلفـت الروايـات حولهـا، ولكـنْ ينقـل المؤرخـون أنَّـه جـاء فيهـا: «إنَّ الله تبـارك وتعـالى أَسرى بي وأسـمعني وقـال: يـا مُحمَّـد، أنـا المحمـود، وأنـت مُحمَّـد، شـققت اسـمك مـن اسـمي، فمـن وصلـك وصلتـه، ومـن قطعـك بتلتـه، انـزل إلى عبـادي فأخبرهـم بكرامتـي إيـاك، وأنِّي لم أبعـث نبيّـاً إلَّا جعلـت لـه وزيـراً، وأنَّـك رسـولي، وأنَّ عليـاً وزيـرك»، ثـمَّ أخـذ صـلَّى الله عليـه وآلـه بيـدي عـليٍّ بـن أبي طالـب، فرفعهـما حتـى نظـر النـاس إلى بيـاض إبطيهـما، ولم يُـرَ قبـل ذلـك، ثـمَّ قـال: «أيُّهـا النـاس، إنَّ الله تبـارك وتعـالى مـولاي، وأنـا مـولى المؤمنـين، فمـن كنـت مـولاه فعـليٌّ مـولاه، اللهـم والِ مـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه، وانـصر مـن نـصره، واخـذل مـن خذلـه»[2].

في هـذا اليـوم نزلـت الآيـة: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الْإِسْـلاَمَ دِينـاً﴾ (المائـدة: ٣)[3].

نجـد هنـا أنَّ الأحاديـث تركـز عـلى وضـع يـدي النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه عـلى يـدي عـليٍّ عليـه السَّـلام أو رفعهـما وبيـان بيـاض إبطيهـما مـن شـدَّة رفعها

(١) الخصال، الصدوق، ٥٧٩.

(٢) الأمالي، الصدوق، ٤٤٣٧، الإرشاد، المفيد، ج١، ص١٧٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ٣١.

والمبالغة في ذلك، وهو أمر لم يره المسلمون قبل ذلك!

وهو ما يتطابق مع ما فعله موسى مع يوشع بأمر من الله وقد يتطابق مع ما فعله عيسى مع بطرس فإنَّ خطاب عيسى مع بطرس من الواضح أنَّه كان خطاباً عن قرب، فلحنه يشير إلى ذلك وطريقة الإصفاق باليدين كانت منتشرة للإشارة إلى الموافقة، ولكنْ ليس كبيعة الأنبياء لأوصيائهم؛ لذا فمن المرجح أنَّ عيسى وضع يده أو كلتي يديه على بطرس في الوقت الذي أوضح للناس أنَّه من سيبني عليه كنيسته المؤمنة.

بعد شهادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بالسمّ قام عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام بتجهيزه وتغسيله ودفنه والصلاة عليه، وفي غضون ذلك كانت المؤامرة تحاك في سقيفة بني ساعدة حتى كان أمرهم (فلتة)[1].

وبقي أمير المؤمنين عليه السَّلام طَوال خمس وعشرين سنة يعمل بسياسة العُزلة فهو لا يخالط السلاطين من قبله إلَّا إذا كان الأمر يهمّ المسلمين ومصلحة الإسلام.

بويع بالخلافة سنة ٣٥ هـ (٦٥٦ م) بالمدينة المنورة بعد ثورة الناس على عثمان وقتْله في بيته، وحكم لمدّة أربع سنوات وتسعة أشهر وُصفت بعدم الاستقرار السِّياسي لكثرة الباغين على الخلافة وظهور أذى المنافقين، لكنَّها تميَّزت بتقدم حضاريٍّ وعدالة اجتماعيّة صارت مضرب الأمثال شرقاً وغرباً افتقدها المسلمون بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله خاصّة في

(١) مسند أحمد، ج١ ص٥٥، مجمع الزوائد، الهيثمي ج٦ ص٥، السّنن الكبرى، البيهقي، ج٤، ص٢٧٢.

عاصمة الخلافة الجديدة الكوفة.

شغب المنافقين أَدّى لتشتت صفِّ المسلمين ومقتل عشرات الألوف منهم، ووقعت عدّة معارك منها وقعة الجمل الكبرى بسبب قيام عائشة والزبير وطلحة بشقِّ صفِّ المسلمين ونكثهم بيعتهم وخروجهم على الولي الشّرعي وتسبُّبهم بانقسام الأُمَّة وشرذمتها، فنصر الله وليّه على عدوّه بانتصار عليٍّ عليه السَّلام على جيش الناكثين.

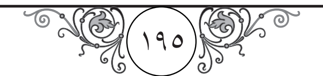
ومن بعدها ثار معاوية ورهطه فالتقى معه أمير المؤمنين عليه السَّلام في صفّين شمال الفرات فاقتتل الجيشان لتسعة أيام، من الأَول من صفر إلى التاسع منه عام ٣٧ للهجرة، وانتهى الأمر بهدنة لم تنتهِ إلى شيء فتجهّز الجيشان للحرب.

وبعدها انشقّ أُلوف من الجنود عن جيشه بسبب ملابسات خدعة عمرو بن العاص برفع المصاحف فسمّوا بـ(الخوارج) فقاتلهم أمير المؤمنين عليه السلام[١].

وهنا وفي شهر رمضان عام ٤٠ للهجرة قُتل أمير المؤمنين عليه السَّلام غِيلة ضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه الشريف في محراب الكوفة، كما ضربوا شمعون الصفا ويوشع بن نون على رأسيهما الشريفتين!.

اتَّصفت حقبة خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام بالكثير من المنجزات المدنيّة والحضاريّة والتنظيم العسكري والعمراني والمدني، منها تنظيم

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١٣، ص٧٥، المعيار والموازنة، أبو جعفر الإسكافي، ص١٦٢.



الشرطة وإنشاء مراكز متخصصة لخدمة العامة كدار المظالم ومربد الضَّوال وبناء السجون[1]، وشيوع الأمان المجتمعي بفضل معادلة الثواب والعقاب والمساواة بين الطبقات والشرائح الاجتماعية، فالعدالة الاجتماعية كانت تحتلُّ القيمة العليا والأُولى بالاهتمام العلوي، فالخبز والأمان والشعور بالعدالة هي أساس الشعور بالانتماء عند البشر ومنه تكون طاعة الحاكم عن رضى وقبول.

وكان أمير المؤمنين عليه السَّلام يدير حكمه انطلاقاً من داره ومسجد الكوفة، كما ازدهرت الكوفة في عهده وبُنيت بها مدارس الفقه والنحو، وقد أمر الإمام عليٌّ بن أبي طالب أبا الأسود الدؤلي بتشكيل حروف القرآن لأَوَّل مرّة، وقيل: إنَّه أوَّل من سكَّ الدرهم الإسلامي الخالص[2].

قام الخوارج باغتياله عليه السَّلام كما اغتال المنافقون من قبله يوشع وبطرس، إذ كمن له عبد الرحمن بن ملجم في مسجد الكوفة وضربه على رأسه الشريف بسيف، وذلك فجر التاسع عشر من شهر رمضان لعام ٤٠ للهجرة، واستُشهد يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان من الشهر نفسه.

نلاحظ أنَّ القوى التي قتلت يوشع وشمعون هي نفسها التي قتلت

---

(١) الغارات، الثقفي، ج٢، ص٧٢٦.

(٢) بينت اللقى الأثرية التي وجدت في ميناء رفح وجود دراهم مسكوكة عام أربعين للهجرة في البصرة بأمر الخليفة عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام، راجع بحث الشيخ محمّد فوزي عبد اللطيف وتفاصيله بشأن هذا الكشف الأثري.

أمير المؤمنين عليه السَّلام وهي القوى المنحرفة التي تطمح للوصول إلى السُّلطة لاستثمارها لأشخاصها وأقوامها وأفكارها الضالّة، وهي التي وُجد الوصي بعد كلِّ نبيٍّ لمقاومتها للحفاظ على الدين من الانحراف.

الخلاصة:

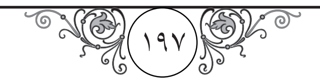
إنَّ لكلِّ نبيٍّ وصيّاً ولكلِّ وصيٍّ بيعة عامة مشهودة لا تُبقي عذراً لمشكك ولا دفعاً لمُنكِر وجاحد.

وهذه البيعة دليلها فطري قبل أنْ يكون شرعياً، فالناس بطبيعتهم يعلمون أنَّ المجتمع بلا حاكم يقوده وسائس يسوسه لا يمكن أنْ يستمر بشكل يؤمن لهم الأمان والمعيشة المستقرة، فلا يمكن لضعيف أنْ يعيش مع قويٍّ ولا يمكن لفقير أنْ يجاور غنيّاً.

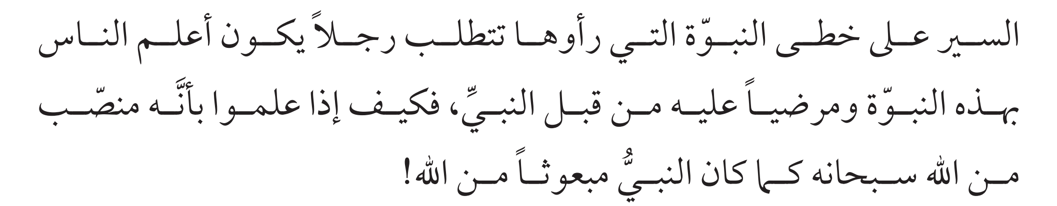
وهذه القيادة ينبغي أنْ تكون فوق مستوى البشر العادي قدر الإمكان حتى يثقوا بإمكاناتها الروحيّة والاجتماعيّة فيأمنوا معها من الظلم والحيف والحرمان.

لذا نجد الضعفاء والفقراء والشباب وذوي العقول تهب للإيمان ببعثة الأنبياء على طول فترات التاريخ، بينما تبتعد عن ذلك طبقات الأغنياء وأهل المصالح التجارية والجاه والسُّلطة، فيقومون بمعاداة الأنبياء وتكذيبهم وهم الملأ في القرآن.

وهذا ما يحصل بعد رحيل النبيِّ فالناس لا تزال بحاجة لقائد يحمل مواصفات النبوة ولكنَّه ليس بنبيٍّ بالضرورة فهم يعقلون بأنَّ مواصلة





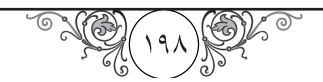

السير على خطى النبوّة التي رأوها تتطلب رجلاً يكون أعلم الناس بهذه النبوّة ومرضياً عليه من قبل النبيِّ، فكيف إذا علموا بأنَّه منصّب من الله سبحانه كما كان النبيُّ مبعوثاً من الله!

وهنا سترفع القوى المضادَّة للنبوّة رأسها فتصبح قوى مضادَّة للوصاية، محاولةً اغتنام الفرصة والإطاحة بخليفة النبيِّ لاسترجاع ما فقدته من سلطات دنيويّة وقدرةٍ على احتلاب الدنيا مدفوعة بالطموح والشغف بالتسلط.

وهنا ستكشف الأحداث أنَّ عموم الناس غير مؤهلة للتنبه من خطر هؤلاء المنافقين الذين انحنوا ريثما تمرُّ العاصفة ليبادروا بالانقلاب على الوصيِّ واحتلال مكانه.

وهذا ما حصل في اليهوديّة والنصرانيّة قبل الإسلام شبراً بشبرٍ وباعاً بباعٍ وذراعاً بذراعٍ وحذو القُذَّة بالقُذَّة! ومن هنا يكون لدينا دليل تاريخي مقارن على خلافة أمير المؤمنين عليه السَّلام، وكون ما حصل في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة من العام العاشر للهجرة لم يكن موقفاً للتعبير عن مقام عليٍّ بن أبي طالب كما يزعم الزاعمون، ولم يكن فرصة للتعبير عن محبّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السَّلام، بل كان بيعةً سماويةً لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب واستخلاف رسميٍّ مُنتظر - عند أهل العقول - منذ بداية البعثة النبويّة الشريفة.

وما توافر لأمير المؤمنين عليه السَّلام من صفات ومسيرة حياة وما



حصل له من بلايا وأحداث بعد رحيل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله يثبت جميع ذلك.

روافد الكتاب:

الاحتجاج، أحمد بن عليٍّ بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: مُحمَّد باقر الخراساني، منشورات ذوي القربى ١٤٢٧ هـ.

الأمالي: مُحمَّد بن عليّ بن الحسين (الصدوق)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان.

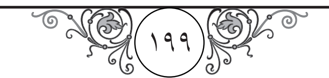
الإرشاد في معرفة الحجج على العباد، مُحمَّد بن مُحمَّد بن النعمان (المفيد)، تحقيق: مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية - ١٩٩٣ ميلادية.

بصائر الدرجات، مُحمَّد بن الحسن الصفار، مطبعة طليعة النور ١٣٨٤ هـ ق.

بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مُحمَّد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م.

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، مُحمَّد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٠م.

تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها، علي بن الحسن بن



هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت - لبنان ١٤١٥هـ- ١٩٩٥ م.

تفسير جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المشرفة ١٤١٨ هـ.

الجامع الصحيح، مُحمَّد بن إسماعيل البخاري، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الجامع الصحيح، مسلم القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت - لبنان.

الخصال، مُحمَّد بن عليٍّ بن الحسين (الصدوق)، تعليق وتصحيح: علي أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة ١٤٠٣ هـ.

الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

شواهد التنزيل لقواعد التفضيل عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني الحذاء الحنفي النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ مُحمَّد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ١٩٩٠م.

شمعون الصفا، بطرس بين المسيحية و الإسلام، علي داود جابر.

تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، مُحمَّد بن الحسن الطوسي، تعليق:

حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - قم.

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى ابن طاووس الحلي، مطبعة الخيام، قم ١٣٩٩ هـ.

العهد القديم (التوراة)، دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

العهد الجديد (الإنجيل)، مجمع الكنائس الشرقية المداخل، مأخوذة والحواشي مستوحاة من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس.

فضائل الصحابة، أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

كامل الزيارات، جعفر بن مُحَمَّد ابن قولويه، دار لمرتضى الغبيري، بيروت - لبنان.

كتاب التفسير، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القمّي، صححه وعلق عليه وقدم له: حجة الإسلام العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - إيران.

كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: مُحَمَّد باقر الأنصاري الزنجاني.

الكافي، مُحَمَّد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، تعليق: مُحَمَّد جعفر شمس الدين ٢٠٠٩م.

المسند، أحمد بن حنبل، دار صادر.

مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن النعمان



(المفيد)، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد للطباعة والنشر ١٩٩٣م.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام مُحمَّد هارون، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ.

المحاسن، أحمد بن مُحمَّد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد مهدي رجائي المجمع العالمي لأهل البيت، طبعة ٢٠١١٣ م.

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، دققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ. - ١٩٨٨م.

نهج البلاغة كلام أمير المؤمنين عليه السَّلام، جمع الشريف الرضي، طبعة دار المعرفة، بيوت - لبنان

٩- محور دراسات الاستشراقية.

- الغدير في المدارس الاستشراقية.

- نقد مناهج المستشرقين في تحليل واقعة الغدير.

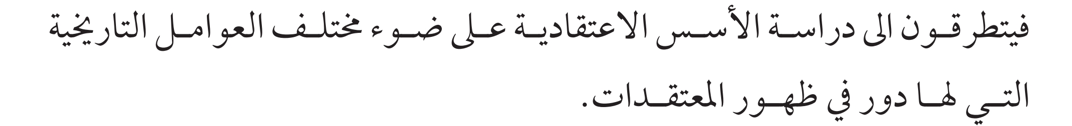
موقف المستشرقين من أحداث السيرة النبوية (حادثة غدير خم انموذجا)

م. د. جمعة ثجيل عكلة الحمداني

المقدمة

نظرا لسعة موضوع السيرة النبوية فقد وقع الاختيار على احد الأحداث المهمة في السيرة النبوية وهو حديث الغدير وموقف المستشرقين منه دون الخوض في تفاصيل أحداث السيرة الأخرى الا إذا كانت مرتبطة بهذا الحديث الى الحد الذي لا يمكن فصلها عنه.

ولو القينا نظرة شاملة على البحوث العلمية التي دونها المستشرقين حول المعتقدات الإسلامية بشكل عام ومعتقدات الشيعة بشكل خاص بكل تأكيد سنجدها متأثرة بالأصول المعرفية المتجذرة في أفكارهم ومن ثم فانهم عجزوا عن بيان الكثير من البحوث المتعلقة بمعتقدات الشيعة من قبيل الإمامة وحقيقة الأئمة عليهم السلام الذي هم حجج الله على خلقه والنص الذي تم على أساسه تنصيبهم أئمة للمسلمين ومسائل أخرى كثيرة تتفرع عن هذه المعتقدات كواقعة غدير خم (١) وذلك لأنهم لم يفهموها فهما صحيحا. فالمنهجية التي يتبعها الباحثون الغربيون في دراساتهم حول الإسلام او التشيع عادة ما ترتكز على أسلوب تاريخي



فيتطرقـون الى دراسـة الأسـس الاعتقاديـة عـلى ضـوء مختلـف العوامـل التاريخية التـي لهـا دور في ظهـور المعتقـدات.

ويجـدر الإشـارة الى وجـود بعـض الدراسـات التـي قـام بهـا باحثـون غربيـون حـول الإسـلام لكنهـا لا تتطـرق الى موضـوع الغديـر لا مـن قريـب ولا مـن بعيـد في حـين إن الأمانـة العلميـة وأسـلوب البحـث العلمـي الصحيح يقتضيـان ذكـر هـذه الواقعـة المصيريـة في تاريـخ الأمـة الإسـلامية او عـلى اقـل تقديـر ذكـر رأي الشـيعة حولهـا.

ومـن الباحثـين الـذي انكـروا إن النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) قـد عـين خليفـة لـه في غديـر خـم (هانـز هـالم) الـذي أشـار الى واقعـة الغديـر بشـكل عابـر ومقتضـب حيـث قـال: (مشـكلة خلافـة النبـي كان مـن الممكـن إن تحـل بشـكل سـليم مـن قبـل صحابتـه المقربـين حينـما تـوفي في السـنة الحديـة عـشر للهجـرة عـلى الرغـم مـن انـه لم يصـدر أي أمـر بشـأن قيـادة الأمـة الإسـلامية بعـده)(٢) وأضـاف: (حسـب روايـات الشـيعة فـأن النبـي عـين ابـن عمـه وصهـره عـلى بـن ابي طالـب خليفـة لـه في عـدة مناسـبات)(٣).

وهنـاك مـن المستشرقين مـن أخـذ موقفـا حياديـا مـن قضيـة الغديـر فعـلى سـبيل المثـال قالـت الباحثـة لـورا فيشـيا فاغلـيري في الطبعـة الثانيـة مـن موسـوعة الإسـلام حيـث وصفـت تفسـير أهـل السـنة لواقعـة الغديـر بـالاتي: (أهـل السـنة لا ينكـرون واقعـة الغديـر ويقبلـون مـا قالـه محمـد (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) الا انهـم يـرون انـه طلـب ممـن كان حـاضرا في ذلـك ال يـوم إن يكنـوا غايـة المحبـة والاحـترام لابـن عمـه وصهـره عـلي (عليـه السـلام)

فأبن كثير الدمشقي ربط هذه الواقعة بحدث فرعي وقع في اليمن وذلك عندما رجع علي الى مكة التقى بالنبي في حجة الوداع بعد إن كان في اليمن على رأس عدد من المسلمين في السنة العاشرة للهجرة)(٤).

اذن وباستثناء بعض الدراسات الاستشراقية المحايدة فان معظم المستشرقين كتبوا وبحثوا في قضايا السيرة النبوية من خلال كتب أبناء السنة فقط دون الرجوع للمصادر الشيعية لذلك كانت آرائهم حول قضية الغدير ما يتناغم كثيرا مع المصادر السنية اكثر مما يتناغم مع الواقع او اراء الشيعة في احسن الأحوال ويبدو إن السبب في ذلك هو قلة حصولهم او امتلاكهم مصادر الشيعة حيث إن الفترة التي برز فيها ظهور الدراسات الاستشراقية كان في بدايات القرن الثامن عشر وهو القرن الذي قل فيها العثور على المصادر الشيعية مع ظهور كم هائل من المصادر السنية التي درسوا من خلالها حادثة الغدير.

المبحث الأول: المستشرقون والسيرة النوبية

لقد عنى المستشرقون بدراسة السيرة النبوية وحاولوا فهم الرسول (صلي الله عليه واله وسلم) من زوايا متكاملة وبعضها ناقصة مبتورة وكان هناك تفاوت على مستوى دراساتهم وهذا ناتج على الأغلب من طبيعة البواعث والأغراض التي دفعتهم الى الدراسة فقد انحرف بعضهم عن الصواب ومال بعضهم عن التعصب المقيت وحاول هؤلاء تشويه الحقائق خضوعا لنزعاتهم العرقية او التبشيرية او الاستعمارية ولكن ثمة

من التزم منهم بالأمانة العلمية والموضوعية في بحوثه وهؤلاء من طلعوا بمهماتهم بدقة ولعبوا دورا في أحياء الكثير من أمهات التراث العربي والإسلامي.

يقول المستشرق الفرنسي كارادي فو: ((ظل محمد (صلى الله عليه واله وسلم) زمنا طويلا معروفا في الغرب معرفة سيئة فلا تكاد توجد خرافة ولا فضاضة الا نسبوها إليه))(٥).

إن هذا الكلام يدل على إن للتفاوت العقائدي بين الإسلام وثقافات المستشرقين ما جعل الكثيرين من هؤلاء يقعون في شطط عقلي وعلمي وهذا ناتج عن قصورهم الذهني في جانب وعن تعصبهم الديني من جانب اخر وتكاد لا تخلوا كتابات المحايدين او المتعصبين من بعض تلك الشطحات. وقد عرف جملة منهم بالحقد والكراهية والتعصب على الإسلام والرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) والعرب عموما. ويلمس القارئ في كتابات هذا النفر كثيرا من التهجم والتجريح البعدين عنها ولعل بعضها بوحي من المبشرين الذين غزوا العالمين العربي والإسلامي وارادوا تغطية فشلهم في بعض مخططاتهم فعمدوا الى تشويه حقيقة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ورسالته ولا سيما الذين ينتمون الى الكنية وظيفيا او من دخل في سلك رجال الدين وكان لا مانس بنغوين والفرد كانتول سميث وامثالهم ممن وقف هذا الموقف المعادي ومن الغريب إن تولستري نفى وجود النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أصلا وعده شخصية أسطورية (٦).



إن المنهـج الاسـتشراقي في دراسـاته لأحـداث السـيرة النبويـة ومعطياتهـا غالبـا مـا يعتريـه الخلـل والتشـكيك والتعصـب والانحيـاز فهـو منهـج استمد مقوماتـه مـن المناهـج القريبـة المرتكـزة عـلى أسـس مغايـره لـروح السـيرة ووقائعهـا ((إن معالجـة واقعـة تمتـد جذورهـا الى عـالم الغيـب وترتبـط أسبابها بالسماء ويكـون الوحـي همـزة وصـل مباشرة بـين الله سبحانه وتعالى ورسـوله الكريـم (صلى الله عليـه والـه وسـلم) لا يمكـن إن تعامـل كـما تعامـل الجزيئات والـذرات والعنـاصر في مختـبر الكيميـاء.. أنـت هنـا بمواجهـة تجربـة عـن نـوع خـاص وشـبكة مـن العوامـل والمؤثـرات تلـد عـن مملكـة العقـل وتسـتعصي عـن التحليـل المنطقـي الاعتيـادي المألـوف ومـن ثـم فـان محاولـة قسرهـا عـلى الموضـوع لمقـولات العقـل الـصرف ومعطيـات المنطـق المتوارثـة لا يمكـن إن يقـود الا لنتائـج وليـس بمقـدور الحـس او العقـل ان يـدلي بكلمـة فيهـا الا بمقـدار)) (٧).

تعـد واقعـة غديـر خـم واحـدة مـن اهـم الأحـداث المصيريـة في تاريـخ الإسـلام فالشـيعة يعتقـدون بـان رسـول الله (صـلى الله علهـي وسـلم) عـين مصـير العـالم الإسـلامي وأخـذ البيعـة مـن الأمـة الإسـلامية لمـا صـدع بـه في ذلـك اليـوم لـذا يمكـن وصـف الحـدث التاريخـي العظيـم بانـه الأبـرز مـن سـائر أحـداث عـلى عهـد الرسـالة وهـو المنشـأ الأسـاسي للتشـيع وأيضـا حسـب اعتقـاد الشـيعة فـان الأمـة الإسـلامية منـذ يـوم الغديـر انقسـمت الى فئتـين احدهمـا مواليـه لأهـل البيـت والأخـرى غـير مواليـه اذ التزمـت الفئـة المواليـة بالعهـد الـذي قطعتـه مـع رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)

وتنصلت الأخرى عنه وبناء على هذا فان واقعة غدير خم أصبحت على مر العصور حدثا مميز للشيعة عن غيرهم.

اما بالنسبة الى الدراسات التي قام بها الباحثون الغربيون حول التشيع والإمامة فأنها تتمحور حول واقعة الغدير وما تحظى به من مكانه بين المسلمين لذلك عند دراسة ما دونه الباحثون الغربيون بشأن التشيع وتحليله فلا بد من معرفة آرائهم واستنتاجاتهم حول هذه الواقعة.

المنهجية التي يتبعها الباحثون الغربيون في دراساتهم حول الإسلام او التشيع عادة ما ترتكز على أسلوب تاريخي او ظاهري فالباحثون الذين يتبعون الأسلوب الأول في دراساتهم - التاريخي- يتطرقون الى دراسة الأسس الاعتقادية على ضوء مختلف العوامل التاريخية التي لها دور في ظهور المعتقدات وهؤلاء على خلاف اتباع الأسلوب الثاني اذ لا يكترثون بمعرفة واقع المعتقدات الأسس الفكرية ويرتكز موضوع بحثهم على إن كل ظاهرة قد حدث في رحاب أحداث ووقائع تاريخية ومن هذا المنطلق يعتقدون بعدم إمكانية دراسة أي ظاهرة بعيدة عن تلك الأحداث والوقائع وبما إن هذا الأسلوب يعتمد في أساسه على معايير مادية وتجريبية تاريخية نوعا ما ونظرا لكون اتباعه لا يؤمنون بعوامل ما وراء الطبيعة نلاحظ إن النتائج التي يتوصلون إليها في دراساتهم تؤكد على إن الظواهر الناجمة عن الأحداث التاريخية اما إن تكون مزيفه او لا تتطابق مع الواقع او انها مبالغ فيها.

اما الباحثون الذين يتبنون في دراساتهم الأسلوب الثاني فانهم يقيمون

موضـوع البحـث ويبنـون المعتقـدات وظائفهـا في المنظومـة العقائديـة لأي ديـن او مذهـب عـلى اراء اتباعـه لذلـك يمكـن القـول إن الرؤيـا المطروحـة اكثـر إيجابيـة مـن غيرهـا.

وحسـب رأي الدكتـور نـصر الـذي يعـد احـد المتأثريـن بالفكـر الغـربي إن الكثـير مـن الباحثـين الغربيـين لـدى دراسـتهم المسـائلة الاعتقاديـة اتبعـوا الأسـلوب التاريخـي وهنـاك عـدد قليـل جـدا منهـم اتبعـوا الأسـلوب الظاهـري وعـلى هـذا الأسـاس فـان رؤيـة الأكثريـة مـن الباحثـين الغربـين قـد القـت بظلالهـا عـلى قضيـة الغديـر مما دعاهـم لان يصـدروا أحـكام مسـبقة ويرشـحون التصـورات الذهنيـة عـلى الحقائـق الموجـودة عـلى ارض الواقـع.

وتجـدر الإشـارة هنـا الى وجـود بعـض الدراسـات التـي قـام بهـا باحثـون غربيـون حـول الإسـلام لكنهـا لا تتطـرق الى موضـوع الغديـر مـن قريـب ولا مـن بعيـد في حـين إن الأمانـة العلميـة وأسـلوب البحـث العليـم الصحيـح يقتضيـان ذكـر هـذه الواقعـة المصيريـة في تاريـخ الأمـة الإسـلامية او عـلى اقـل تقديـر ذكـر رأي الشـيعة حولهـا عـلى سـبيل المثـال فـان كارل بروكلـمان ألـف كتـاب موسـعا عـرض فيـه مختلـف الأحـداث التـي طـرأت عـلى الأمـة الإسـلامية في حيـاة رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) بالتفصيـل وعنونـه (تاريـخ الشـعوب الإسـلامية) (٨) ولكنـه عندمـا وصـل الى الحديـث عـن حجـة الـوداع لم يتطـرق الى واقعـة الغديـر وتجاهـل كل مـا يرتبـط بهـا بالكامـل في حـين انـه في ظـل كلامـه عـن الخلفـاء الراشـدين ذكـر النزاعـات التـي نشـبت بعـد رحيـل رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) للاسـتئثار

بمنصب الخلافة وزعم إن الإمام علي (عليه السلام) قد طمع فيها من دون إن يلمح الى واقعة الغدير اذ قال ((ثم إن عليا ابن عم النبي وزوج بنته ادعى لنفسه الحق في خلافته كرئيس للدولة بوصفة اقرب الناس رحما إليه ولكنه كان كسعد بن عباده سيد الأنصار الذي طمع بالخلافة أيضا لا يملك من القوة او من النفوذ ما يساعده على تحقيق طلبه))(٩).

وبالطبع فان بحوثا كهذه لم تدون باللغة الإنجليزية فحسب بل إنها دونت في مختلف اللغات الأوربية كالفرنسية والألمانية ومنها كتاب محمد لميكسم رودنسون و (محمد والقران) لرودي بارت و(تاريخ الشعوب الإسلامية) لكارل بروكلمان حيث تمحورت هذه الإثار على سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وسائر المواضيع المتعلقة بالإسلام الحنيف، لكن البحث هنا مختص بما دونه الباحثون الغربيون باللغة الإنجليزية وضمن هذه الإثار هناك مؤلفات لم تدون على وفق منهج علمي صحيح وافتقدت الأمانة العلمية التي هي شرط أساسي لكل بحث علمي اذ لم تتطرق لواقعة الغدير مطلقا ونذكر منها:-

١- مدخل كلمة (محمد) في موسوعة القران - تدوين يوري روبن.

٢- مدخل كلمة (محمد) في الطبيعة الثانية من موسوعة الدين - تدوين كارين ارمسترونغ.

٣- كتاب (محمد في المدينة) - تأليف وليام مونتنغمري واط.

٤- كتاب (محمد نبي وسياسي) - تأليف وليام مونتنغمري واط.

٥- مدخل كلمة (محمد)- موسوعة الأديان العالمية.

٦- كتاب (محمد) السيرة الذاتية لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم تأليف كارين ارمسترونغ

٧- مدخل عبارة (علي بن ابي طالب) في الطبعة الثانية من موسوعة الإسلام - تدوين لورافيشيا فاغليري.

٨- مدخل عبارة (علي بن ابي طالب) في موسوعة القران - تدوين علي اساني.

٩- مدخل عبار (حجة الوداع) في الموسوعة القرانية - تدوين علي اساني.

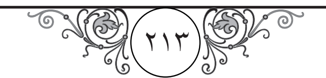
١٠- كتاب تاريخ الإسلامي الموجز - تأليف كارلين ارمسترونغ.

١١- مدخل عبارة (الإسلام الشيعي) في موسوعة اوكسفورد للعالم الإسلامي - تدوين جوزيف الي. كشيشان السيد حسين ام جيفري حميد دباشي احمد موسالي.

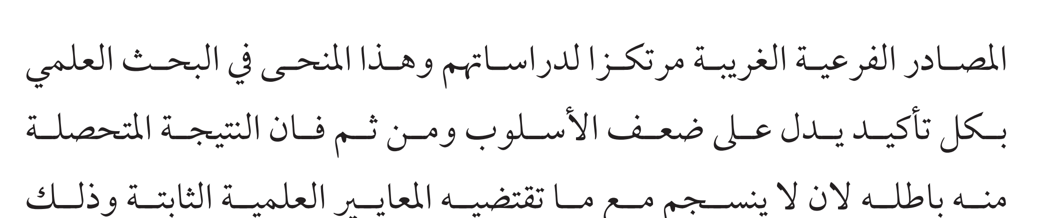
١٢- مقالة تحت عنوان (كيف تحول التشيع الأول الى فرقة) نشر في مجلة اتحاد مشرق أمريكيا - تأليف مارشال هوجسن.

١٣- مدخل كلمة شيعة في موسوعة الأديان العالمية.

ومن الجدير بالذكر إن أصحاب هذه الإثار اعتمدوا اعتماداا كاملا على المصادر التي تحظى بأولوية لدى أهل السنة فقط او انهم جعلوا بعض







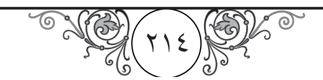
المصادر الفرعية الغريبة مرتكزا لدراساتهم وهذا المنحى في البحث العلمي بكل تأكيد يدل على ضعف الأسلوب ومن ثم فان النتيجة المتحصلة منه باطله لان لا ينسجم مع ما تقتضيه المعايير العلمية الثابتة وذلك لسببين:-

الأول:- الأسلوب العلمي الذي يجب اتباعه في دراسة أي موضوع ديني و تحليله يلزم الكاتب بان يتطرق الى اراء ومعتقدات جميع المذاهب المنضوية تحت راية ذلك الدين والتي لها صلة بموضوع البحث.

الثاني:- مصادر أهل السنة التي اعتمد عليها هؤلاء الباحثين ترد عليها كثير من الإشكالات والمؤاخذات وبما في ذلك نقصان المعلومات الموجودة فيها والأسلوب الانتقائي الذي اتبعه مؤلفوها وعدم صحة كل ما ذكر فيها.

واما اهم المصادر التي اعتمد عليها الباحثون في الاثار المذكورة أعلاه فهي عبارة عن: صحيح البخاري صحيح مسلم، سنن ابي داود سنن الترمذي سنن النسائي سنن ابن ماجه فتح الباري لابن حجر سيرة ابن إسحاق سيرة ابن هشام طبقات ابن سعد اسد الغابة لابن الأثير تاريخ الطبري انساب الأشراف للبلاذري وقعة صفين لنصر بن مزاحم الكوفي تفسير ابن كثير تفسير الطبري تفسير (الكشاف) للزمخشري تفسير مجمع البيان للطبرسي.

والمثير للدهشة إن بعض هؤلاء الباحثين قد اعتمدوا على مصادر سنية



ذكرت فيها واقعة الغدير لكنهم مع ذلك لم يتطرقوا إليها في مؤلفاتهم على سبيل المثال فان يروي روبن الذي دون مدخل كلمة (محمد) في موسوعة القران ذكر مختلف الأحداث التي واكبت حياة النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وما جرى ابان رسالته المباركة لكنه لم يذكر شيئا حول ماجرى في غدير خم رغم انه اعتمد مصادر تضمنت أخبارا حول واقعة الغدير وبما فيها انساب الإشراف للبلاذري وتفسير ابن كثير. وكذلك فان وليام مونتغمري واط قد تناول مختلف جوانب حياة نبينا الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) بالشرح والتحليل في كتابه (محمد في المدينة) ولا سيما في احد فصوله الذي عنونه ب (وحدة العرب) اذ ذكر فيها اهم الأحداث التي طرأت في السنتين الأخيرتين في حياته المباركة ولكنه لم يشر الى ما حدث في يوم الغدير في عدة مواضع ونقل قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) عدة مرات (١٠).

اما لورا فيشيا فاغليري فقد دونت مدخل عبارة (علي ابن ابي طالب) في الطبعة الثانية لموسوعة الإسلام وتطرقت الى الحديث عن مختلف جوانب حياة الإمام علي (عليه السلام) ولكن عند حديثها عن الخلافة اكتفت بحديث امتناع الإمام عن بيعة ابي بكر في موضوع عنونته (اختلاف علي مع أبي بكر) من دون إن تشير الى غدير خم وقالت: ((ابتدع الشيعة كلاما حول علي نسبوه الى محمد او انهم فسروا بعض كلامه بما يتناسب مع معتقداتهم لأنهم يعتقدون إن الرسول أراد تنصيب ابن عمه وصهره خليفه له ولكن كما هو معلوم لم يذكر هذا الأمر في مرضه الذي

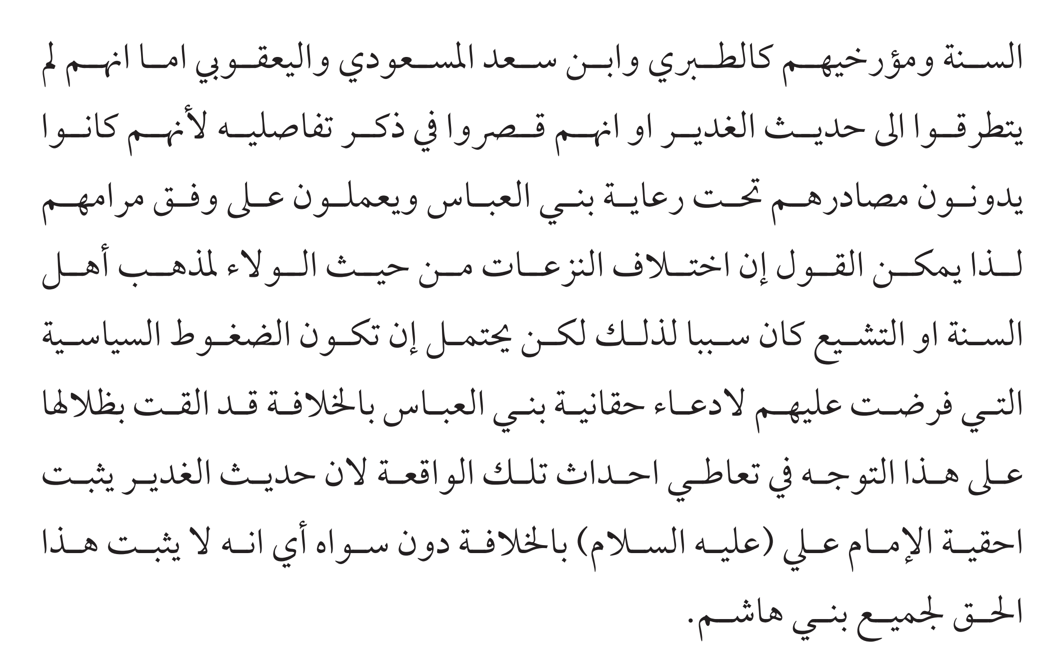
توفي على اثره)) وهذه الباحثة الغريبة لم تذكر واقعة الغدير رغم إن احد المصادر التي اعتمدت عليها هو كتاب (واقعة صفين) الذي ذكر المؤلف فيه قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في تلك الواقعة: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) عندما تحدث عن احتجاج عمار بن ياسر على عمرو ابن العاص (١١).

لا يجد أي باحث سبيلا لدراسة رسالة النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وتاريخ صدر الإسلام الا في رحاب مصادر السيرة المعتبرة ولكن هناك مؤاخذات تطرح حول هذه المصادر وبما فيها اختلافها من حيث طرحها للحقائق بدقة وحيادية وكذلك انتقاء مؤلفيها للمعلومات بما يتناسب مع مشاربهم ومعتقداتهم. على سبيل المثال فان الباحثة لورا فيشيا فاغليري في مدخل عبارة (غدير خم) في الطبعة الثانية لموسوعة الإسلام دونت حول مصادر السيرة ما يأتي: ((الكثير من المصادر التي اعتمدنا عليها لدراسة حياة النبي كمؤلفات ابن هشام والطبري وابن سعد التزمت جانب الصمت حيال موقف النبي في غدير خم وحتى بعد المصادر التي ذكرت هذا الأمر نجد انها لم تنقل شيئا عن خطبة النبي في ذلك اليوم ومن الواضح ان أصحاب هذه الكتب كانوا يخشون من نقل خطبة النبي يفسح المجال لمتكلمي الشيعة بان يدعموا اراءهم حول حق علي بالخلافة وبالتالي تقوى استدلالاتهم في نقاشاتهم مع أهل السنة. ونتيجة الكلام إن المفكرين الغربيين اعتمدوا على هذه المصادر لدراسة حياة النبي محمد لم يتطرقوا في مدوناتهم الى ما حدث في غدير خم

بشـكل منسـق)) (١٢).

وإمـا السـيدة ماريـا مـاسي دقـاق فقـد تحدثـت عـن حديـث الغديـر في مصـادر السـيرة النبويـة قائلـة: ((عندمـا ندقـق في اهـم مصـادر السـيرة والتاريـخ لأهـل السنة مثـل سيرة ابـن هشـام - التـي تعـد اثـرا منقحـا لسـيرة ابـن إسـحاق - او تاريـخ الطـبري او طبقـات ابـن سـعد فـلا عجـب في خلـو غالبيتهـا مـن حديـث الغديـر. ومهـما يكـون الأمـر فلـوا تتبعنـا الموضـوع نجـد إن هـذا الحديـث موجـود في سـائر مصـادر أهـل السـنة المعتـبرة التـي تناظـر هـذه المصـادر فعـلى سـبيل المثـال نقـل مـؤرخ القـرن الثالـث الهجـري البـلاذري صاحـب كتـاب (انسـاب الاشراف) هـذا الحديـث بالكامـل وذكـر بعـض روايـات خطبـة الرسـول في يـوم الغديـر وكذلـك فـان محـدث أهـل السـنة ابـن حنبـل قـام بتغطيـة واقعـة الغديـر في مسـنده بشـمولية اكثـر مـن غـيره ومـن تلاهمـا مؤرخـون اخـرون في ذلـك ابـن عسـاكر في (تاريـخ مدينـة دمشـق) وابـن كثـير في (البدايـة والنهايـة) وهـؤلاء المحدثـون والمؤرخـون هـم مـن المتعصبـين لمذهـب أهـل السـنة. واللافـت للنظـر إن الكتابـين الأخيريـن يتضمنـان تفاصيـل وشروحـا موسـعة لمختلـف الآراء حـول حديـث الغديـر كـما نجـد فيهـما العديـد مـن طـرق هـذا الحديـث وهـذا ينطبـق مـع الكثـير مـن مدونـات الشـيعة حتـى العهـود المتأخـرة))(١٣).

وقـد ذكـرت السـيدة دقـاق كلامـا للباحـث جاكـوب لانـسر في كتـاب (نشـأة حكومـة العباسـيين) اكـد فيـه عـلى عـدم وجـود معلومـات كافيـة في مصـادر السـيرة حـول موضـوع الغديـر وذلـك لان كثـيرا مـن محدثـي أهـل


السنة ومؤرخيهم كالطبري وابن سعد المسعودي واليعقوبي اما انهم لم يتطرقوا الى حديث الغدير او انهم قصروا في ذكر تفاصيليه لأنهم كانوا يدونون مصادرهم تحت رعاية بني العباس ويعملون على وفق مرامهم لذا يمكن القول إن اختلاف النزعات من حيث الولاء لمذهب أهل السنة او التشيع كان سببا لذلك لكن يحتمل إن تكون الضغوط السياسية التي فرضت عليهم لادعاء حقانية بني العباس بالخلافة قد القت بظلالها على هذا التوجه في تعاطي احداث تلك الواقعة لان حديث الغدير يثبت احقية الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة دون سواه أي انه لا يثبت هذا الحق لجميع بني هاشم.

فالمؤرخون الأوائل في عهد بني العباس نقلوا إن بني العباس بذلوا جهودا حثيثة لإثبات احقيتهم بالخلافة قبل إن يرجوا لأحقية منافسيهم العلويين بها وهذه المساعي قد تزامنت مع تدوين اقدم مصادر التاريخ والحديث لذلك كان لها تأثيرا جذري على تدوين التاريخ الإسلامي.

وفضلا عن المؤاخذات الموجودة حول مصادر السيرة فان منهج البحث في الدراسات التي قام بها الباحثون الغربيون اعتمادا على هذه المصادر هي الأخرى جديرة بالتأمل فالباحث هارالد موتزكي وصف منهج البحث الذي يتبعه الغربيون حول سيرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في كتابه (سيرة النبي محمد) مشكلة المصادر كما يأتي ((ليست هناك دراسات منهجية ونقدية وافية حول مصادر سيرة النبي محمد فكتاب السيرة دونوا في مؤلفاتهم معلومات اقتبسوها من المصادر التي تعجبهم

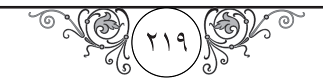
فحسب لذا من الضروري اجراء دراسات نقدية حول ما تضمنته كتب السيرة من أحاديث وأخبار بصفتها مصادر تاريخية ولابد لهذه الدراسة من إن تكون تطبيقية كي يقارن الباحث فيها كل ما تضمنته من اخبار ويحدد تاريخها)) ويضيف قائلا: ((لحد الان لم يجر سوى بحوث مقتضبة للغاية حول تعيين مدى إمكانية الاعتماد على أحاديث السيرة النبوية ويمكن القول انه لا يوجد معيار لتقييم النصوص الحديثة اساسه الى تقييم المعلومات المتوفرة حول السيرة الا بندرة)) (١٤).

وحسب رأي هذا الباحث الغربي فان السيرة النبوية التي دونت حتى اليوم قد اعتمدت على مصادر محدودة ويمكن تقييدها في الحقيقة بسلسلة واسعة من الأحاديث التي يرجع تاريخ روايتها الى القرن الثالث الهجري كما فعل الواقدي وابن سعد وابن هشام والطبري واكد أيضا على إن المعلومات الموجودة في المصادر التي دونت في القرن الثالث الهجري لم تكن على المحك ولم يتناولها الباحثون بالتحليل والمقارنة مع المعلومات السالفة على وفق منهج بحث معتبر.

المبحث الثاني

- شهرة واقعة غدير خم في المجتمع الإسلامي الأول

تقول الباحثة ماريا ماسي دقاق حول ذيوع صيت حديث الغدير بين المسلمين في العصر الإسلامي الأول: ((إن المراجع التاريخية والأحاديث التفسيرية قد اشارت الى حديث غدير خم الذي كان شهيرا على نطاق



واسع في العصور الإسلامية الأولى كان منتشرا في كل بقعة من بلاد المسلمين لذلك هناك دليل معتبر وصحيح يثبت وجود ارتباط وثيق وفريد من نوعه بين مفهوم الولاية وشخصية علي ابن ابي طالب والواقع إن الذهن الإسلامي الواعي كان يدرك هذه الحقيقة منذ الأيام الأولى للإسلام.

ونلحظ في الفصل أيضا من هذا الكتاب إن مقصود الباحثة من شهرة حديث الغدير وانتشاره هو شهرته بين فئة معينة في المجتمع الإسلامي الأول لأنها بعد إن نقلت بعض الاخبار من المصادر التي ذكرت ما جرى في يوم الغدير اكدت إن احدى النقاط المشتركة بين هذه الاخبار هي القبول بصحة حديث الغدير من قبل المسلمين الأوائل الذين كانوا مقيمين في المدينة لذلك استنتجت إن هذا الأمر يثبت عدم شهرته على نطاق واسع بين عامة الناس واقتصاره على مؤلفي هذه المصادر حتى اندلاع اول حرب داخلية او انه لم يروج بين عامة المسلمين.

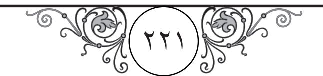
وترى الباحثة ان الإمام عليه (عليه السلام) كان يستند الى ما قاله النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في غدير خم كلما أراد إن يدافع عن حقه وقد كان يوجه خطابا آنذاك الى مسلمي المدينة سواء في الخطبة التي القاها بين كبار المهاجرين من أصحاب الشورى ام في كلامه الذي وجهه بالتحديد الى طلحة بن عبيد الله الذي انتفض ضده. وأكدت على إن الاخرين عندما يؤيدون صحة حديث الغدير دفاعا عن الإمام علي (عليه السلام) فما يرجى من الصحابة المقيمين في المدينة هو علمهم به لذلك كان يجدر بهم هو اخبار من كان لا يعلم به سواء في ذلك الموالين للأمام من أمثال ابي

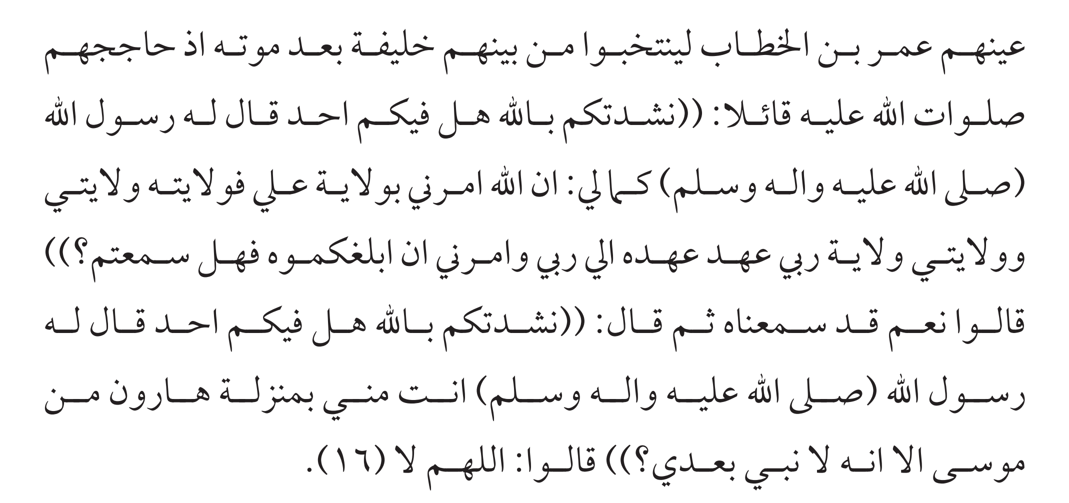
أيـوب الانصـاري ام غـير الموالـين لـه كسعد بـن ابي وقـاص. ونوهـت عـلى إن الاعتقـاد بكـون أهـل المدينـة فقـط او بعـض النخبـة منهـم كانـوا عـلى علـم بحديـث الغديـر وينسـجم مـع الظـروف الزمانيـة التـي حفـت بخطبتـه رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) ويتناسـب مـع مضمونهـا لان جميـع الاخبـار في هـذا الصـدد تـدل عـلى انـه القاهـا في طريـق العـودة مـن مكـة بعـد حجـة الـوداع وقالـت: ((هـذا يعنـي إن المسـلمين المقيمـين في مكـة والكثـير مـن مسـلمي القبائـل الذيـن كانـوا يقطنـون خـارج المدينـة لم يكونـوا حاضريـن في ذلـك اليـوم ليشـهدوا الإعـلان الرسـمي لخلافـة الإمـام عـلي (عليـه السـلام) لذلـك فـان معاويـة بـن ابي سـفيان الـذي كان مـن أهـل مكـة ادعـى عـدم علمـه بذلـك))(١٥).

واكـدت السـيدة دقـاق عـلى ان كثـيرا مـن المصـادر الإسـلامية التـي دونـت في العصـور الإسـلامية الأولى تتضمـن اخبـارا صريحـة واشـارات الى مـا قالـه النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) في هـذه المناسـبة رغـم عـدم اشـتمالها عـلى خـبر يتنـاول مـا حـدث في الغديـر بشـكل شـامل ومـن جميـع جوانبـه لذلـك نلحـظ ان المصـادر الروائيـة والتاريخيـة التـي دونـت فيـما بعـد تتضمـن في طياتها اخبـارا متفرقـة حـول هـذه الواقعـة وان لم يخصـص لهـا بـاب بالتحديـد.

ذكـرت هـذه الباحثـة الغربيـة الامثلـة الاتيـة مـن المصـادر التـي اعتمـدت عليهـا في اسـتنتاج آرائهـا:

١- خـبر ابي الطفيـل عامـر بـن وائـل حـول اسـتدلال الإمـام عـلي (عليـه السـلام) في حقـه بالخلافـة وعـدم اسـتحقاق سـائر اعضـاء الشـورى الذيـن





عينهم عمر بن الخطاب لينتخبوا من بينهم خليفة بعد موته اذ حاججهم صلوات الله عليه قائلا: ((نشدتكم بالله هل فيكم احد قال له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كما لي: ان الله امرني بولاية علي فولايته ولايتي وولايتي ولاية ربي عهد عهده الي ربي وامرني ان ابلغكموه فهل سمعتم؟)) قالوا نعم قد سمعناه ثم قال: ((نشدتكم بالله هل فيكم احد قال له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي؟)) قالوا: اللهم لا (١٦).

٢- ما جرى في يوم (الرحبة) وذلك عندما اجتمع كثير من المسلمين ابان خلافة الإمام علي (عليه السلام) في الرحبة. ففي ذلك اليوم طلب الإمام ممن كان حاضرا في يوم الغدير وسمع قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) ان يشهد بذلك (١٧).

٣- موقف ابي ايوب الانصاري وبعض الصحابة من الانصار في يوم (الرحبة) عندما خاطبوا الإمام علي (عليه السلام) واصفين اياه بانه مولاهم ودهشته من ذلك حيث سألهم كيف يكون مولاهم وهم عرب احرار؟ لكنهم استشهدوا بحديث الغدير كشاهد على استخدام هذه الكلمة بحقه حيث قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) (١٨).

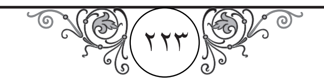
٤- كلام سعد بن ابي وقاص مع معاوية بن ابي سفيان الذي استولى على الخلافة بعد شهادة الإمام علي (عليه السلام) حيث انبه واعتبره ليس اهلا للخلافة فقال له: ((قاتلت عليا وقد علمت انه احق بالأمر

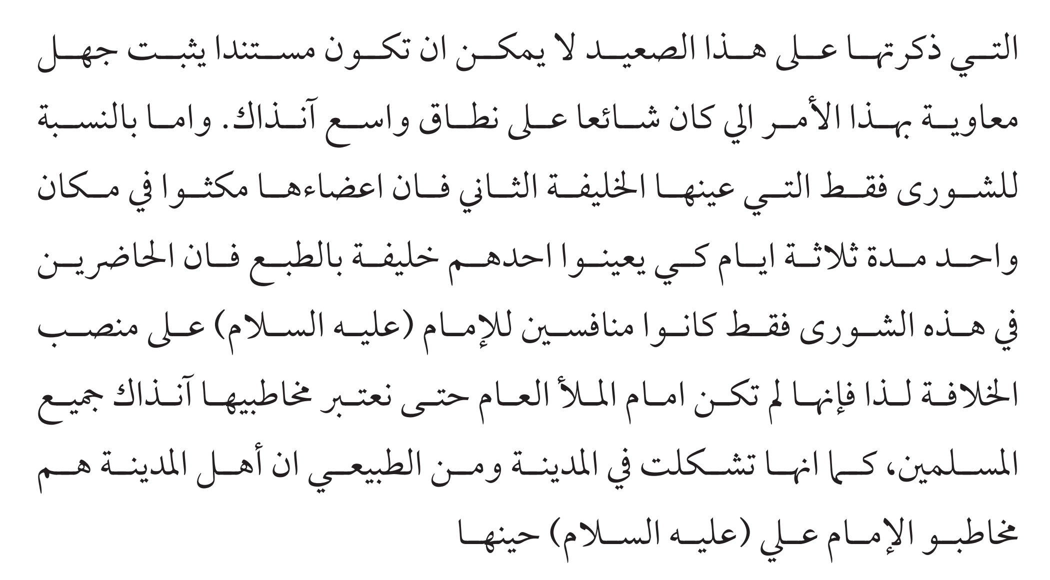
منك)) فقال معاوية: ((ولم ذاك)) فأجابه سعد: ((لان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من ولاه وعاد من عاداه) ولفضله في نفسه وسابقته)) فقال معاوية: ((فما كنت قط اصغر في عيني منك الان)) اجابه سعد: قال: ((لتركك نصرته وقعودك عنه وقد علمت هذا من امره)) (١٩).

٥- الحوار الذي دار بين الإمام علي (عليه السلام) وطلحة بن عبيد الله قبيل اندلاع حرب الجمل حيث استشهد الإمام بقول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ((اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه)) وحذر طلحة من العاقبة السيئة اثر نكثه العهد ونقضه البيعة بقيامه على الخليفة الشرعي (٢٠)

رغم ان السيدة دقاق دعمت استنتاجاتها بشواهد عديدة لكنها تجاهلت بعض اشكالات التي ترد على هذه الاستنتاجات على سبيل المثال كلما تطرق الى دفاع أمير المؤمنين (عليه السلام) عن حقه في الخلافة فهي تذكر انه استدل بما قاله رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يوم الغدير وتؤكد على ان مخاطبيه في ذلك اليوم كانوا من أهل المدينة معتمدة على حدثين تاريخيين احدهما احتجاجه على اعضاء الشورى التي عينها عمر والذين يعتبرون من رموز المهاجرون والاخر احتجاجه على طلحة بن عبيد الله الي كان من أهل المدينة وشارك في حرب الجمل الى جانب عائشة.

ومن المؤاخذات التي تطرح على استنتاجها هو انها تؤيد صحة ادعاء معاوية بن ابي سفيان في عدم علمه بحديث الغدير ولكن جميع الشواهد





التي ذكرتها على هذا الصعيد لا يمكن ان تكون مستندا يثبت جهل معاوية بهذا الأمر الي كان شائعا على نطاق واسع آنذاك. واما بالنسبة للشورى فقط التي عينها الخليفة الثاني فان اعضاءها مكثوا في مكان واحد مدة ثلاثة ايام كي يعينوا احدهم خليفة بالطبع فان الحاضرين في هذه الشورى فقط كانوا منافسين للإمام (عليه السلام) على منصب الخلافة لذا فإنها لم تكن امام الملأ العام حتى نعتبر مخاطبيها آنذاك جميع المسلمين، كما انها تشكلت في المدينة ومن الطبيعي ان أهل المدينة هم مخاطبو الإمام علي (عليه السلام) حينها

ومن اعضائها طلحة والزبير اللذان كانا من رؤوس الخارجين على الإمام عليه (عليه السلام) ايام خلافته في حرب الجمل بعد ان حرضا عائشة على المشاركة في هذه الحركة المتمردة على القانون، ومن البديهي ان الاوضاع كانت تقتضي بأن يتم الإمام علي (عليه السلام) الحجة على رموز هذه الفتنة لصيانة المجتمع الإسلامي من شرهم ومكائدهم وقد كانت حجته بالغة لدرجة ان الزبير الذي يعد المحرك الاساسي لهذه الفتنة، انسحب من الحرب بعد ان وبخه الإمام الا ان طلحه مع اعترافه بحق الإمام بالخلافة واذعانه بصحة ما قاله رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يوم الغدير لكنه اصر على مواصلة القتال طمعا بحطام الدنيا.

ويمكن نقض استدلال هذه الباحثة في ان معاوية بن ابي سفيان لم يكن على علم بحديث غدير خم في النقاط الاتية:-

١- لا يختلف اثنان في ان معاوية كان الد الخصام للإمام علي (عليه

السلام) لذا فان عدم اعترافه بصحة حديث الغدير هو امر متوقع لأنه لم يتوان عن اية ذؤيعة لبلوغ مأربه الشيطانية.

٢- المؤرخون والمحدثون من أهل السنة اشاروا الى ان الطليقين معاوية وابا سفيان بعد ان تظاهرا باعتناق الإسلام في احداث فتح مكة شاركا في غزوتي حنين والطائف مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كما انهم اعتبروا معاوية كاتبا للوحي لذلك لو استندنا الى نقله هؤلاء في هذا الصدد ينبغي لنا ايضا الاستناد الى اقوالهم الاخرى اذ انهم نقلوا ان معاوية كان بعيدا عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في اخر ايام حياته ولم يكن يعلم بما يحدث آنذاك ناهيك عن ان جهل شخص مثل معاوية بواقعة الغدير المصيرية يعد امرا مستحيلا تقريبا لان الحقيقة الدامغة التي لا مناص منها هي ان زعماء النفاق والعارضة لدين الله من امثال معاوية وابي سفيان كانوا حريصين على متابعة جميع اخبار النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومعرفة كل ما يقوله لكي يحركوا مؤامراتهم ضده بنجاح وتجدر الإشارة الى ان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كانت له صلة قرابة معهما لان زوجته ام حبيبة هي بنت ابي سفيان.

٣- هناك ملاحظة هامة جدا تجدر الإشارة اليها هنا وهي ان واقعة الغدير قد اكتنفتها ظروف خاصة جعلتها تنتشر كخبر هام في جميع بقاع العالم الإسلامي.

غدير خم يقع في الطريق الواقع بين مكة والمدينة على مسافة ثلاثة اميال من الجحفة هي مفرق طرق يفترق فيه مسير القوافل المتجهة نحو



المدين ومصر والعراق لذا فان حجاج بين الله الحرام العائدون الى ديارهم بعد حجة الوداع لم يكونوا قد افترقوا في غدير خم لأنهم لم يصلوا الى الجحفة بعد وهذا يعني بكل تأكيد ان الذين استمعوا الى خطبة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في يوم الغدير لم يكونوا من أهل المدينة فحسب فضلا عن ذلك ليس هناك اي دليل قطعي يثبت عدم حضور أشخاص من أهل مكة في هذا الحدث المصيري بصفتهم ممثلين عن قومهم. اما السيدة ماريا ماسي دقاق فقد أكدت على ان الظروف التي اكتنفت واقعة الغدير تقتضي انتشار خطبة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في كل مكان وقالت: ((من المحتمل ان المسلمين المقيمين في مكة والكثير م مسلمي القبائل الذين كانوا يقطنون خارج المدينة لم يكونوا حاضرين في ذلك اليوم ليشهدوا الإعلان الرسمي لخلافة الإمام علي لكننا لو تتبعنا ما حدث في ذلك اليوم ولاحظنا الطريقة التي ألقيت الخطبة فيها والظروف التي اكتنفتها والتمهيدات التي اتخذت لها في حضور كبار الصحابة الذين بايعوا الإمام علي بأمره المؤمنون سوف يثبت لنا بشكل لا يشوبه ادنى شك بأن خبرا بهذه الأهمية قد انتشر بسرعة في كل مكان وان المسلمين قد تناقلوه بينهم اينما حلوا وانزلوا)).

وتجدر الإشارة الى ان العلامة الأميني رحمه الله صاحب كتاب (الغدير في الكتاب والسنة والادب) ذكر أسماء ١١٠ صحابي رووا هذه الواقعة التاريخية الهامة وذكر أسماءهم والطرق التي روى منها الحديث حيث قال: ((هؤلاء مائة وعشرة من أعاظم الصحابة الذين وجدنا روايتهم لحديث



الغدير ولعل فيما ذهب علينا اكثر من ذلك بكثير وطبع الحال يستدعي ان تكون رواة الحديث اضعاف المذكورين لان السامعين الوعاة له كانوا مائة او يزيدون وبقضاء الطبيعة انهم حدثوا به مرتجعهم الى اوطانهم شان كل مسافر ينبئ عن الأحداث الغريبة التي شاهدها في سفره. نعم فعلوا ذلك الا اشذاذ منهم صدتهم الضغائن عن نقله والمحدثون منهم وهم الأكثرون فمنهم هؤلاء المذكورون ومنهم طوت حديثه أجواز الفلى بموت السامعين في البراري والفلوات قبل ان ينهوه الى غيرهم ومنهم من ارهبته الظروف والاحوال عن الاشادة بذلك الذكر الكريم وقد مر تلويح الى ذلك في رواية زيد بن ارقم وجملة من الحضور البوادي لم يتلق منهم حديث ولا انتهى اليهم الأسناد ومع ذلك كله ففي غنى لأثبات التواتر)).

اما بالنسبة الى رواية عامر بن واثلة التي تضمنت احتجاجا للإمام علي (عليه السلام) بحديث الغدير على أصحاب الشورى فقد شككت السيدة دقاق في صحتها لان الراوي من الموالين للإمام. ومن البديهي إن هذه المؤاخذة على الرواية لا مورد لها لان الاخبار التاريخية بشكل عام هي أخبار احاد والأمر الهام على هذا الصعيد هو وجود قرائن تفيد الاطمئنان بصحة هذه الأخبار ولا يوجد ما يناقضها وإحدى القرائن الواضحة التي تؤيد صحة ما رواه عامر بن واثلة هي ان الإمام في هكذا ظروف كان ملزما بإتمام الحجة على من هو ليس باهل للخلافة وذلك بالطبع انما يكون بالتذكير بأوامر رسول الله (صلى الله عليه واله

وسلم) التي الزم المسلمين باتباعها ومنها ما قاله في يوم الغدير وبكل تأكيد فان هذه الحقائق والأخبار لا تنسجم مع مشارب الفئة الحاكمة وتوجهاتها آنذاك لا يتم تناقلها الا عن طريق الموالين للإمام علي(عليه السلام) فحسب لان مؤيدي النظام الحاكم وغيرهم من الجبناء كانت لهم دواعيهم الخاصة التي جعلتهم ينكرونها او يعتمدون عليها بل ويقبلونها في بعض الأحيان وعلى هذا الأساس نجد إنها قد همت بمورو الزمان ومن ثم تلاشى كثير منا بالتدريج.

ومن الجدير بالذكر إن السيدة دقاق التي شككت في هذه الرواية قالت: ((تذكير الإمام علي (عليه السلام) الناس بخطبة غدير خم دون إن يذكر تفاصيل أخرى - كما تناقلت مصادر الفريقين شيعة وسنة - دليل على قبول هذه الخطبة بصفتها فضيلة معنوية له وهذا ما كان مشهورا على نطاق واسع بين مختلف مؤلفي المصادر الإسلامية في العصور الأولى)) (٢١).

- خلاصة البحث

هناك مؤاخذات يطرحها الباحثون الغربيون حول مصادر السيرة التي يضطر كل باحث للرجوع اليها إن أراد دراسة موضوع الغدير نذكر منها ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

١- اختلافها في ذكر الوقائع.

٢- عدم حياديتها.

٣- عدم وجود دراسات منهجية ذات أسلوب نقدي حولها.

٤- نقلها معلومات انتقائية.

٥- عدم دقتها في نقل أحاديث السيرة.

٦- عدم وجود معيار مناسب فيها يتم من خلال المقارنة بين نصوص أحاديث السيرة.

٧- اقتصارها على مصادر محدودة.

بعض الباحثين الغربيين استدلوا على شهرة حديث الغدير وشيوعه في المجتمع الإسلامي الأول بشواهد تاريخية وأحاديث مروية واشكلوا على بعض الفئات الاجتماعية التي تجاهلته للأغراض معينة وهناك نظرية يطرحها عدد من هؤلاء الباحثين حول مدى تغطية مصادر التاريخ والحديث لواقعة الغدير فحواها إن اخبار هذه الواقعة تأثرت بالأجواء السياسية والمذهبية التي سادت في نهاية العهد الاموي وبداية العهد العباسي حيث قلل الامويون من شانها وتجاهلها خلفهم العباسيون وذلك لأجل اثبات احقيتهم بالخلافة مقابل منافسيهم العلويين. إضافة الى ما ذكر هناك امر لا يمكن تجاهله على هذا الصعيد وقد طرحه باحثون غربيون أيضا وهو تأثر أوساط أهل السنة بالتوجيهات التي كان يتم التعتيم على كل حقيقة لا تتناسب مع آرائهم ومعتقداتهم.

رغم إن بعض الباحثين الغربيين في ظاهر الحال التزموا جانب الحياد في دراساتهم التي قاموا بها حول تفسير حديث الغدير من قبل الشيعة

والسنة الا اننا نرى بعض تلك الدراسات متأثرة بآراء أهل السنة بالتحديد والتي يراد منها نفي صلة واقعة غدير خم بتنصيب الإمام علي (عليه السلام) خليفة للمسلمين وحتى الذين اعترفوا بوجود صلة بين الامرين نجد انهم لم يتخذوا مواقفا حيادية بالكامل.

قضية تحريف حديث الغدير والتغييرات التي طرأت عليه هي من المسائل الأخرى التي طرحها هؤلاء الباحثون على هذا الصعيد واكدوا على إن الأغراض السياسية لبني العباس هي احدى العوامل التي أدت الى ذلك حيث حاولوا استبدال نص الحديث بعبارات ومضامين تخدم مصالحهم وتتناسب مع مشاربهم ولكن القول بأن عبارة: ((اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه)) ليست من الحديث وقد أضيفت الى قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) هو ادعاء باطل اذ لا توجد شواهد او ادله اثبتت صحة هذا الادعاء وهو رأي شاذ طرحه المتعصبون الذين كذبوا نسبة هذه العبارة الى الحديث.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين ابي الكرم بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢ م).

اسد الغابة في معرفة الصاحبة (دار الكتاب العربي بيروت د. ت).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م).

انساب الاشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي ط١ (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م).

ابن ابي الحديد، ابو حامد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م).

شرح نهج البلاغة تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم د. ت).

ابن حنبل، الإمام احمد (ت ٢٤١ هـ/ ٨٥٤ م).

مسند احمد (دار صادر بيروت د. ت).

ابن كثير ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م).

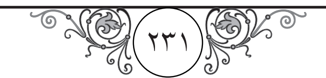
البداية والنهائية تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي ط٢ (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م).

الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩ هـ/ ٩١٤ م)

الكافي تحقيق: علي اكبر غفاري ط٣ (مطبعة حيدري طهران ١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م).

ابن مزاحم، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ/ ٨٢٨ م).

وقعة صفين تحقيق: عبد السلام محمد هارون ط٢، (المؤسسة العربية



الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م).

المسعودي، ابو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦ م)

مروج الذهب ومعادن الجوهر ط١ (شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م).

ثانيا: المراجع الحديثة

الاميني، عبد الحسين احمد النجفي.

الغدير في الكتاب والسنة ط ٤ (دار العربي بيروت ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م).

بروكلمان كارل

تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة: عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب ط٥ (دار المعارف القاهرة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م).

التهامي نقرة

مناهج المستشرقين ط ٢ (مطبعة الاعتماد القاهرة ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م).

جواد علي.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط ١ (دار احياء التراث العربي بيروت د. ت).

محمود عبد الحليم أوروبا

أوروبا و الإسلام ط٢ (مطبعة المعارف القاهرة د. ت).

مجموعة مؤلفين.

مناهج المستشرقين ط ٢ (دار الكتاب العربي بيروت ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م).

مجموعة مؤلفين.

المستشرقين وموقفهم من التراث العربي الإسلامي ط١ (دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م).

هالم هاينس.

الشيعة ترجمة: صفاء خلوصي، (المكتبة الاهلية مطبعة اسعد بغداد ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م)

الهوامش

١- الكليني، الكافي، ج٤، ص١٤٩ الاميني، الغدير، ج١، ص١٤.

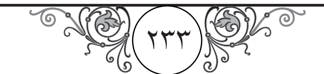
٢- هاينس هالم، الشيعة ص ٢٢.

٣- المصدر نفسه، ص ٢٣.

٤- السيدة لورا فيشيا فاغليري هي مستشرقة واستاذه في جامعة نابولي الإيطالية في فرع تاريخ الإسلام.

٥- التهامي، نقرة، مناهج المستشرقين، ج١، ص٢٢.

٦- جواد علي تاريخ العرب ج١ ص ٩-١١.



٧- مجموعة مؤلفين مناهج المستشرقين ج١ ص١١٦ .

٨- عبد الحليم محمود اوروبا والإسلام ص. ٩٦ .

٩- كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣١-٦٧ .

١٠- ابن الاثير اسد الغابة ج١ ص ٣٦٨ ج٢ ص ٢٣٣ ج٣ ص ٩٢ -٩٣ .

١١- ابن مزاحم وقعة صفين ص٣٣٨ .

١٢- مجموعة مؤلفين المستشرقين وموقفهم من التراث ص١٠٦ .

١٣- المصدر نفسه والصفحة

١٤- المصدر نفسه ص ١٠٨ .

١٥- المصدر نفسه ص١٠٩ .

١٦- نقلت السيدة ماريا ماسي دقاق هذا الحديث من كتاب (شرح نهج البلاغة) لابي الحديد ج٦ ص٦٧-١٦٨ وينظر (الاميني الغدير ج١ ص١٦١).

١٧- احمد بن حنبل مسند احمد ج١ ص ١١٨-١١٩ ابن كثير البداية والنهاية ج٧ ص٢٧٦ -٢٧٧ .

١٨- احمد بن حنبل مسند احمد ج٥ ص٤١٩ .

١٩- البلاذري انساب الاشراف ج٤ ص ٩٣ .

٢٠- المسعودي مروج ج٢ ص ٣٧٣ .

٢١- مجموعة مؤلفين المستشرقين وموقفهم ص ١٢٣ .



الغدير في فكر المستشرقين دراسة وتحليل

م. م. كريم جهاد ظاهر حبيب الحساني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد واله الطيبين الطاهرين عليهم السلام..

وبعد...

يوصف مشروع دراسة قضية من القضايا المهمة والمُختَلف عليها عند المسلمين من الدراسات والبحوث الحسّاسة التي تُثير المشاعر في النفوس، وتبعثُ الفرقة في الدين الواحد.

ونحنُ اليوم نخرجُ عن هذا الإطار المُتعارف في الديانة الواحدة ونُحلّق في سماء الديانات الأُخرى؛ لكي نتعرّف على آراءهم في القضايا التي اختلفَ عليها المسلمون، وربما يعتقد البعض إنّ هذه الآراء ليست بتلك الأهمية التي يترّتب عليها حكمٌ من الأحكام ضمن الأُطر الإسلامي، وهذا مع شديد الأسف غير وارد؛ لأنّه لو تهيأ لباحثٍ مُجد لَكشفَ عن جوانب خفيّة ودقيقة ربما لم يتطرّق لها الباحثين المسلمين.

وقضيتنا المُختَلف في فهم نصّها عند المسلمين والتي هي رحلتنا في عالم الاستشراق، هي تاريخ أو قضية واقعة ((غدير خُم))، وهي محاولة متواضعة لرسم صورة متكاملة عنها كما جاءَ وصفها عند المستشرقين.

فقد خاضَ المستشرقون في مجال الدراسات العربية الإسلامية من جوانب عديدة، فدرسوا الإسلام ومنهجه، والسيرة النبوية وحضارة العرب فكراً وفناً وأدباً وفلسفةً وتاريخاً وجميع العلوم التي عرفها العرب والمسلمون؛ لذا صار حقاً على الباحث أن يُعنى بتحديد المفاهيم والأفكار التي تبنّتها تلك الأقلام؛ إذ لعب الاستشراق دوراً خطيراً في حياة الأمة الإسلامية، عبر قرون طويلة، وكان له من النتائج السلبية والإيجابية ما يعرفه المتخصصون في الدراسات الاستشراقية والمثقفون وغيرهم.

وقد اقتضت صورة البحث أن تُمَّ تقسيم الدراسة إلى مبحثين تخلّلتها عدة مطالب مهمة، وهذه هي:

المبحث الأول: الغدير في المنظور الاستشراقي.

- شهرة الواقعة بين المجتمع الإسلامي ودراسات المستشرقين.

- جدلية الغدير في الدراسات الاستشراقية.

المبحث الثاني: الخلافة وحديث الغدير في المنظومة الاستشراقية.

- القيم المعرفية لمصادر الغدير... رؤية استشراقية.

- التفسيرات الاستشراقية لحديث الغدير.

المبحث الأول

الغدير في المنظور الاستشراقي

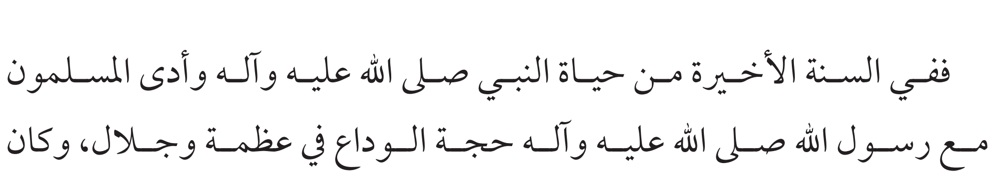
واقعة أو حادثة ((الغدير)) هي إحدى تلك الوقائع التي لها شأن في

التاريخ الإسلامي، فهي ليست واقعة عابرة أو حادثة سطحية احتوت البساطة في مجرياتها، بل هي الحادثة الأكبر عمقاً في مجرى الرسالة الإسلامية والأكثر تأثيراً في سير خطّها الطويل والتي أسست لبناء حكومة المسلمين، وتاريخ أو قضية الغدير هي ليست قراءة لقصةٍ من القصص العابرة أو حادثةٍ ذكرها المسلمون ولم يقفوا عليها؛ لأنّها ليست من القضايا المهمة في تاريخهم؛ وإنما هي واقعة تَرّتبَ عليها حُكمٌ مهم في التاريخ الإسلامي ألآ وهي ((الخلافة)) بعد رسول الإنسانية، رسول الإسلام، رسول العالمين النبيّ محمد٧، لذلك أخذَ المُختلفون عليها يسردُ على ليلاه ما يراهُ صحيحاً لديه.

ولذلك من أن يأتي ذكرها في مختلف المجالات الإسلامية والبحوث الدينية، كالسيرة والتاريخ والتفسير والحديث والفلسفة والأدب وحتى اللغة أيضاً، كان الاتجاه الاستشراقي لدراسة التاريخ الإسلامي ينطلق من الإيمان بأن محمد صلى الله عليه وآله نبي الله بل هو خاتم الأنبياء والرسل، ومتابعة ما يصدر عنه واجب التعرّض والدراسه عنه.

شهرة الغدير في المجتمع الإسلامي ودراسات المستشرقين:

في الذاكرة الإسلامية تتألف أسماء وأسماء لها هالتها المضيئة في التاريخ، وأسماء أماكن وبقاع هنا وهناك في أرض الوحي، ونحن اليوم مع تلك البقعة التي كانت نقطة توّحد وخلاف بين المسلمين، توّحد مع التمسك بصريح الشارع المقدس وخلاف مع عدم التمسك به.



ففي السنة الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وآله وأدى المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع في عظمة وجلال، وكان لهذه الحجة أثر كبير في النفوس، وبعد انتهائها أحاطت بالقلوب هالة من السمو الروحي، وتشرّبت في الأعماق لذة العبادة الكبرى.

وكانت الجموع الغفيرة من المسلمين المشاركين في تلك الحجة تغمرهم الفرحة والسرور لهذه السعادة الكبرى التي شرّفهم الله بها، ورغم ان بعضهم حُرِمَ من الخروج بسبب إصابة الناس بالمدينة مرض الجدري أو الحصبة منعتهم من الحج معه صلى الله عليه وآله، ومع ذلك وصلت تلك الجموع وصلت قرابة الألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: ألفاً وعشرون ألفاً وقيل: أكثر من ذلك، ولم يكن أهل المدينة وحدهم قد رافقوا النبي صلى الله عليه وآله في هذه الحجة، بل التحق بركبه مسلمون توافدوا من سائر أنحاء الجزيرة العربية لينالوا شرف الصحبة في هذه الحجة.

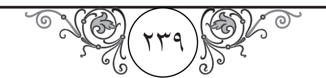
وهناك أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أمره لركب الحجيج بالتوقف، وأخذ المسلمون يلتحق بعضهم البعض في مكان واحد دون تشتت، وصعد مؤذن النبي صلى الله عليه وآله ينادي في الناس لصلاة الظهر، واستعد المسلمون لأداء الصلاة حيث كانت الرياح لافحة محرقة، حتى اضطر بعضهم إلى أن يضع قسماً من عباءته تحت قدميه وقسماً منها فوق رأسه كي يتقي حرارة الحصى وأشعة الشمس المحرقة. عندها نادى بأعلى صوته مُعلناً خليفته على المسلمين بعد أن رفع يد ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: « من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه،

اللهم وال من والاه وعاد من عاداه «[1].

وحيث ان مسألة الغدير تتعلق بجوهر الرسالة السماوية وتكملة الإنجازات النبوية التبليغية وتكمن في إبراز وصاياها، التي لا تنقسم ولا تفترق عن الأوامر القرآنية التي توصف ان تمام الرسالة وكمال الدين يكمن في الإمامة ومنها تنصيب وتولية الإمام علي عليه السلام حاكماً وأميراً وخليفةً ووصياً لنبيّه صلى الله عليه وآله على كافة المسلمين، وهذا يعني ان قوة تلك الحادثة وعظيم أثرها وذيوع صيتها بين المسلمين في العصر الإسلامي المبكر، وقد اعترفت بذلك الامريكية (ماريا دقاق Maria Dakkak)[2] بقولها: « إن المراجع التأريخية والأحاديث التفسيرية

(١) ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى(٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م)، ج٥، ص٢٩٦؛ النسائي، أحمد بن شعيب(ت٣٠٢ه) فضائل الصحابة، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)، ص٨٨؛الطبراني، سليمان بن أحمد(ت٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (ط ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت)، ج٢، ص٣٥٧؛ ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)، اريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ج٤٢، ص٢٣٦؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر(ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج٢، ص١٠٦؛ المتقي الهندي، علي بن حسام الدين(ت٩٧٥ه)، كنز العمال في سنن الأقوال والافعال، ضبطه وفسّر غريبه وصحّحه ووضع فهارسه ومفتاحه: بكري حياني وصفوة السقا(ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م)، ج١٣، ص١٣٩.

(٢) الدكتورة ماريا ماسي دقاق، باحثة واستاذة في جامعة الامريكية (جورج ميسون) بقسم الدراسات الدينية.



قـد أشـارت الى حديـث غديـر خـم الـذي كان شـهيرا عـلى نطـاق واسـع في العصـور الإسـلامية الأولى، وكان منتشراً في كل بقعـةٍ مـن بـلاد المسـلمين؛ لذلـك هنـاك دليـل معتـبر وصحيـح يُثبـت وجـود ارتبـاطٍ وثيـقٍ وفريـد مـن نوعـه بـين مفهـوم الولايـة وشـخصية عـلي بـن ابي طالـب والواقـع أن الذهـن الإسـلامي الواعـي كان يـدرك هـذه الحقيقـة منذ الايـام الأولى للاسـلام «[1].

فهـذا التأكيـد مـن تدويـن الواقعـة في عـدد مـن المصـادر الإسـلامية المبكـرة[2] يُمكّنهـا مـن الدخـول في كل جانـب مـن جوانـب الفكـر والمعرفـة سـواء أكان ذلـك عنـد جمهـور المسـلمين أم في فكـر ودراسـات الآخريـن مـن المسـتشرقين.

جدلية الغدير في الدراسات الاستشراقية:

في نظـرة شـاملة عـلى البحـوث العلميـة الاسـتشراقية التـي دوّنتهـا أقـلام مفكريهـم حـول الأحـداث والمعتقـدات الإسـلامية بشـكل عـام، فإننـا نجـد أن مُخرجاتهـا متأثـره بالأصـول المعرفيـة المُتجـذّرة في أفكارهـم؛ لـذا فإنهـم عجـزوا في بعـض الأحيـان عـن بيـان كـم هائـل مـن البحـوث المُتعلّقـة بوقائـع

(١) Dakake Maria The Charismatic Community: Shi’ite Idenity in Early Islam Chapter II pp. ٤٨ -٤٧.

(٢) ينظر: ابن حنبل، أحمد(ت٢٤١ه)، مسند أحمد، (دار صادر - بيروت، د. ت)، ج٥، ص٤١٩؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، أنساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (دار المعارف، مصر١٣٧٨ه / ١٩٧٧م)، ج٤، ص٩٣؛ ابن كثير، اسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م)، ج٧، ص٢٧٧

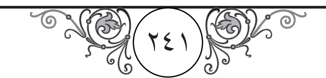
ومعتقـدات بعـض المسـلمين، ومنهـم الشـيعة الذيـن تبنّـوا حادثـة الغديـر كمعتقـدٍ مهـم؛ وذلـك لأن أصحـاب تلـك الدراسـات لم يفهموهـا فهـماً صحيحـاً.

لـذا فـإن عـدد ليس بالقليـل مـن الباحثـين المسـتشرقين لـدى دراسـتهم عـن الإسـلام لم يتطرّقـوا الى موضـوع الغديـر مـن قريـبٍ ولا مـن بعيـد، وهـو بذلـك مـا يُخالـف الأمانـة العلميـة وأسـلوب البحـث العلمـي الـذي يقتـضي ذكـر هـذه الحادثـة المصيريـة في التاريـخ الإسـلامي، أو عـلى أقـل تقديـر ذكـر رأي أصحابهـا مـن الشيعة حولهـا، فإننـا نجـد مثـلاً صاحـب تأريـخ الشـعوب الإسـلامية الذائـع الصيـت الالمـاني (بروكلـمان Brookman)[1] عنـد تعرضه لحجـة الـوداع تجاهـل حادثـة الغديـر، رغـم ان موسـوعته عرضـت مختلـف الأحـداث التـي جـرت عـلى الأمـة الإسـلامية[2]. وكـذا مـا فعلـه المسـتشرق (مونتغمـري واط Montjomery Watts)[3] في كتابـه (محمـد في المدينـة)

(١) كارل بروكلمان، مستشرق الماني، ولد سنة ١٨٦٨، وتوفي سنة ١٩٥٦م، من آثاره: تاريخ الشعوب ينظر: بدوي، عبد الرحمن(ت١٤٢٢هـ)، موسوعة المستشرقين، (ط الدار العلمية للفلسفة)، ص٩٨.

(٢) بروكلمان، كارل(ت١٣٧٥ه)، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، (ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٣ه/ ١٩٧٤م)، ص٣١- ٦٧.

(٣) وليم مونتغمري (مونتجمري) وات، مستشرق بريطاني، ولد في سنة ١٩٠٩م، وتوفي سنة ٢٠٠٦م. ينظر:العقيقي، نجيب(ت١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، المستشرقون، (ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤ه/ ١٩٦٤م)، ج٢، ص٥٥٤.



[1] عندما تكلّم عن أهم أحداث النبي محمد٧ في السنين الاخيرة من حياته الاّ انه أهملَ ما حدث في غدير خم. وكذا المستشرق (إميل درمنغم Emile Darmingham)[2] فإنه أسهب بذكر ما جرى في حجة الوداع ويُعرض عن ذكر ولو بإشارة الى واقعة الغدير[3]. كما اكتفى صاحب موسوعة القرآن (ستيوارت Stuart)[4] بذكر خطبة حجة الوداع من دون النظر الى التنصيب في يوم الغدير[5].

وفي الجانب الآخر ذكر عدد من المستشرقون في مقالاتهم عن حجة الوداع وتنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة للمسلمين، وأول مَن تطرّق لهذا الموضوع هو المستشرق (بوهل)[6]، إذ يقول: «... في العاشر

---

(١) Watt Montjomery و Muhammed at Media. (London Newyork١٩٥٦). pp. ١٨٩.

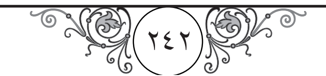
(٢) مستشرق فرنسي، عمل مديرا لمكتبة الجزائر فترة من الزمن، له محمد والسنة الإسلامية، وغيرها.

(٣) درمنغم، اميل، حياة محمد في عيون مستشرق، ترجمة: عادل زعيتر، (ط ١، الاردن، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م)، ص٣٦١ - ٣٧٤.

(٤) ديفين جي ستيوارت، مستشرق امريكي معاصر، حصل على الدكتوراه من جامعة ولاية بنسلفانيا سنة ١٩٩٠م، له مجموعة منالمؤلفات والابحاث.

(٥) Stewart Encyclopedia of Qur’an. Farewell Pilgrimage. pp. ٧٨.

(٦) فرانتس بوهل، مستشرق دانيمراكي، ولد سنة ١٨٥٠م، وتوفي سنة ١٩٣٢، استاذ جامعة كوبنهاغن. ينظر: الزركلي، خير الدين(ت١٤١٠ه)، الاعلام، (ط٥ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م)، ج٥، ص١٣٩.



من الهجرة ٦٣٢م من اداء أول حج اسلامي صحيح (حجة الإسلام) التي أصبحت نموذجا يُحتذى بها ابد الابدين،... ويقال ان حجة الوداع شملت خطبة القاها محمد... وهي خطبة تُمثل ذروة نشاطه وكفاحه وقد تعبر عن مشاعره وقتها الآية الثالثة من سورة المائدة[١] «[٢]. وأما المستشرق (هيوارت Huart[٣]) فإنه يقول: « وبحسب الشيعة فان تولّيه علياً اماماً يعود الى خطبة للنبي قرب غدير خم عند عودته من حجة الوداع حيث قال للناس: (اني اوشك ان اجيب دعوة السماء واني تارك فيكم الثقلين الكتاب واهل بيتي)،... ثم قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[٤].

وتجرّد مِنَ المستشرقين رجالٌ تقصّوا دراسة التاريخ الإسلامي طلباً للتعرف على شأن هذه الأُمة، وإدراك الحقيقة في معرفة الوقائع ومنها واقعة غدير خم، فقد ركّز مع واحد من أعظم الباحثين والمفكرين

---

(١) لْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِينًا. سورة المائدة، ١٠٧.

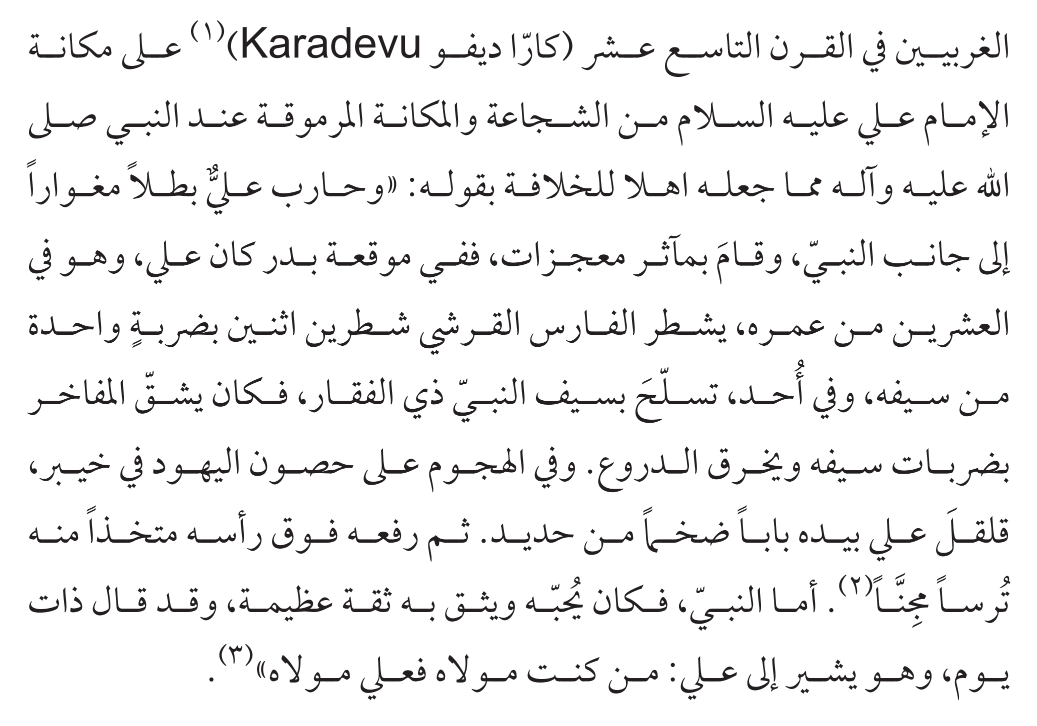
(٢) بوهل، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: زكي ابراهيم خورشيد، (ط دار الفكر، القاهرة، ١٣٥٢م)، مادة (محمد)، م٢٩، ص٩١٥٦.

(٣) كليمانت هيوارت، مستشرق فرنسي، ولد سنة ١٨٥٤م، وتوفي سنة ١٩٢٧م، من اثاره: تاريخ بغداد.

ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٥، ص٢٣٢.

(٤) Huart Alib. Abltip The Encyclopedia of Islam Vol. ١ p; ٢٨٣.





الغربيين في القرن التاسع عشر (كارّا ديفو Karadevu)[1] على مكانة الإمام علي عليه السلام من الشجاعة والمكانة المرموقة عند النبي صلى الله عليه وآله مما جعله اهلا للخلافة بقوله: «وحارب عليٌّ بطلاً مغواراً إلى جانب النبيّ، وقامَ بمآثر معجزات، ففي موقعة بدر كان علي، وهو في العشرين من عمره، يشطر الفارس القرشي شطرين اثنين بضربةٍ واحدة من سيفه، وفي أُحد، تسلّحَ بسيف النبيّ ذي الفقار، فكان يشقّ المفاخر بضربات سيفه ويخرق الدروع. وفي الهجوم على حصون اليهود في خيبر، قلقلَ علي بيده باباً ضخماً من حديد. ثم رفعه فوق رأسه متخذاً منه تُرساً مِجنّاً[2]. أما النبيّ، فكان يُحبّه ويثق به ثقة عظيمة، وقد قال ذات يوم، وهو يشير إلى علي: من كنت مولاه فعلي مولاه»[3].

أما الباحث المعاصر الفرنسي (يان ريشارJanRichar)[4] فإنه استعرض بيعة الغدير وقضية ولاية الإمام علي عليه السلام على كافة المسلمين، وكيف ان الرسول محمد7أمسك بيد علي عليه السلام اليمنى، ثم أخذ بطرح السؤال الأول والمهم على أفراد الأُمة من حوله من أنه –

---

(١) مدام كاراديفوا، مستشرقه فرنسية في القرن التاسع عشر، لها عدة مصنفات منها: مفكروا الإسلام. ينظر: جماعة، الموسوعة العربية الميسرة، (ط الدار القومية – مصر – ١٩٦٥م)، ص١٤١٩.

(٢) أي الدرع.

(٣) ديفوا، مفكرو الإسلام، ترجمة: عادل زعيتر، (ط بيروت)، ج٥، ص١-٢.

(٤) مستشرق فرنسي، استاذ الدراسات الايرانية في جامعة السوربون، صدر له:المثقف والمناضل في الإسلام.

أي محمــد - وليّ أمرهــم أم لا؟

فـكان الجـواب الإجماع بولايتـه عليهـم مضمونـاً. وبعـد أن أخـذ النبي صلى الله عليـه وآلـه المواثيـق منهـم بالولايـة علّـق عـلى ذلـك أمـام المـلأ بقولـه: مـن كنـت مـولاه، فعـليٌّ مـولاه، اللهـم وآل مـن والاه، وعـادِ مـن عـاداه[1].

ثـم اسـتهل (ريشـار) كلامـه عـن بيعـة الغديـر وأحقيّـة الإمـام عـلي عليـه السـلام بالخلافـة دون غـيره مـن الصحابـة، وأكـد عـلى ان عـدداً مـن أهـل السـنة يقـرّون ويعترفـون بذلـك الحـق، ممـا جعلهـا ولايـة شرعيـة لا غبـار عليهـا عـلى المسـلمين، قائـلاً:

«وأول قضيـة تراثيـة يتسـلّح بهـا الشـيعة، مـن غـير أن ترفضهـا السـنة رفضـاً كليّـاً، هـي تلـك التـي تجعـل ولايـة الخلافـة لعـلي، ابـن عـمّ النبـي وصهـره، ولايـة شرعيـة عـلى جماعـة المسـلمين»[2].

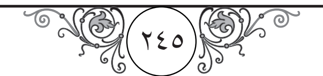
المبحث الثاني

الخلافة وحديث الغدير في المنظومة الاستشراقية

انطلـق بعـض عُلـماء المسـتشرقين مـن زاويـة ((الإمامـة)) في دراسـتهم الأوليـة للدخـول إلى منّصـة الخلافـة وتعيـين النبـي صـلى الله عليـه وآلـه الإمـام عـلي عليـه السـلام خليفـةً عـلى المسـلمين، وإن البنـاء الإلهـي الـذي وضعـه

(١) ريشار، الإسلام الشيعي، ترجمة: حافظ الجمالي، (ط دار عطية - بيروت - ١٩٩٦م)، ص٣٤.

(٢) المصدر نفسه.



لمحتوى الإمامة كان له دوراً مهماً في توطيده والتركيز عليه عن طريق كتابه المقدس القرآن الكريم، وقد وصفَ الإيمان بالرسالة السماوية للنبي محمد٨من الركائز المهمة لهذا البناء.

ومن هذا المنطلق بدأ أحد أعظم الباحثين والمفكرين المستشرقين في القرن العشرين والحاصل على لقب ((العلاّمة)) وهو (ميرسيا إلياد Mircea Eliad)[١]، يُخطط وبشكل تفصيلي فيما يتعلق بإمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبرزت رؤيته الأولى بإيمان أول شخصين، ذكر وأنثى، آمنا بالرسالة الإسلامية هما خديجة زوجة الرسول٨، والإمام علي عليه السلام ابن عمّه[٢].

وهذا الاتجاه الذي خاضَ فيه المؤرخ (إلياد) لم يكن غريباً عمّا تسالم عليه الباحثون في التاريخ الإسلامي من أنهم أي خديجة وعلي، أول مَن آمنوا برسالة النبي صلى الله عليه وآله، لكن إصراره وإيمانه بأن علي هو الرجل الأول كان رادعاً على تأكيد وتصريح بعض مفكري المسلمين عن مسألة أول الناس إيماناً هو علي عليه السلام، لكنه كان صبياً، لذلك لم يعتبروه من الرجال الأوائل الذين آمنوا برسالة محمد٨ووصفوا غيره

---

(١) ولد في رومانيا سنة ١٩٠٧م، كاتب ومؤرخ أديان وفيلسوف وروائي، توفي سنة ١٩٨٦م، له عدة مصنفات منها: دراسة في تاريخ الأديان، واسطورة العود الأبدي، وغيرها. ينظر: موقع Mircea Eliad https://en. wikipedia. org/

(٢) إلياد، ميرسيا (ت١٣٣٦هـ)، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، (ط دار دمشق – دمشق – ١٩٨٧م)، ج٣، ص٧٧.

بذلك[1]، وهم بتلك الصفة الصبيانية يريدون أن يخضعوا إيمان علي عليه السلام إلى الإيمان العاطفي الذي شاركَ به ابن عمّه، لا الإيمان العقلاني بالدعوة المحمدية.

وقد ربط (إلياد) كغيره من المفكرين المستشرقين بشأن خلافة الإمام علي عليه السلام بحادثتي إيمانه وبيعته الأولى المعروفة بـ((بيعة الدار)) والتي أنتجت عن تعيينه خليفةً له على المسلمين في المستقبل، وانه الشخص الجديد بحمل أعباء مسؤولية الرسالة المحمدية.

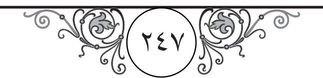
وهذا بالفعل ما أراده الباحث من دمج فكرة الإمامة بفكرة الإيمان وتوصّل من خلالها إلى نتيجة مهمة جداً وحسّاسة تتعلق بقضية استخلاف النبي صلى الله عليه وآله لابن عمّه وزوج ابنته عليّاً عليه السلام وقد اختاره فعلاً لهذه المهمة، قائلاً:

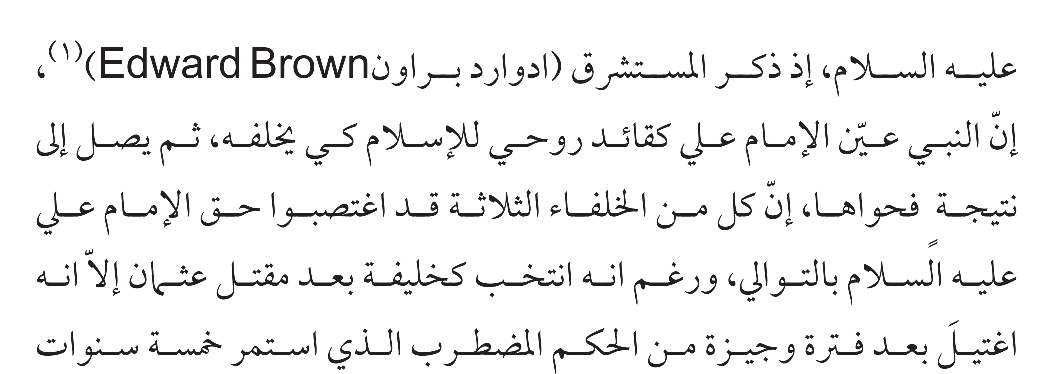
(أن يكون محمداً قد اختار علياً كخليفة)[2].

لقد تبنت بعض الدراسات الاستشراقية الموقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي عليه السلام في حكم المسلمين ومن بعده في ولدِه الحسن والحسين عليه السلام وذريته-، وأكدوا على وجهة النظر الشيعية التي تقول بأنّ النبي صلى الله عليه وآله قد عيّن ابن عمه علي بن أبي طالب

(١) أشار إلى ذلك الرازي في قوله تعالى: - وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ - الواقعة، ١٠، وانّ ابا بكر هو أول الناس إيماناً من الرجال. ينظر: الرازي، أبو حاتم (ت٣٢٧هـ)،، تفسير الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (ط صيدا - المكتبة العصرية)، ج١٦، ص١٧٠.

(٢) تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج٣، ص٩٠ و ص١٣٤.





عليه السلام، إذ ذكر المستشرق (ادوارد براون Edward Brown)[١]، إنّ النبي عيّن الإمام علي كقائد روحي للإسلام كي يخلفه، ثم يصل إلى نتيجة فحواها، إنّ كل من الخلفاء الثلاثة قد اغتصبوا حق الإمام علي عليه السلام بالتوالي، ورغم انه انتخب كخليفة بعد مقتل عثمان إلاّ انه اغتيلَ بعد فترة وجيزة من الحكم المضطرب الذي استمر خمسة سنوات (٦٥٦- ٦٦١ م)[٢].

لذا يتّفق المستشرقون[٣] بأنَّ هناك حِراكاً سياسياً حاداً ونزاعاً مبكراً، حصل بين الأُسرة النبوية العلوية والمهاجرين والأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حول طبيعة القيادة الاعلى لخلافة المسلمين، وإدّعى كلٌ منهم أحقيّته بالخلافة، ولم تكن الانتخابات كما تذكر الدكتورة (الرزينة لالاني Resine Lalani)[٤] التي انتهت لصالح ابو بكر بالبساطة التي يُعتقد عموماً انها تمّت[٥].

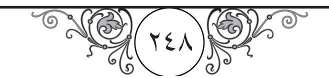
(١) مستشرق انجليزي، ولد سنة ١٨٦٢م، توفي سنة ١٩٢٦م، له: التاريخ الأدبي الفارسي، وغيرها. ينظر: حمدان، عبد الحميد صالح، طبقات المستشرقين، (د. مط، منشورات مكتبة مدبولي، مصر، د. ت)، ص٩٣- ٩٤.

(٢) dward. Browne Enchycloedia of religion and Ethics vol IIP. ٢٩٩

(٣) ينظر: آرنولد، توماس، الخلافة، ترجمة: حسن حيدر اللبناني، (ط ٢، دار التضامن للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٦١م)، ص١٥- ١٦.

(٤) الرزينة ر. لالاني، استاذة في جامعة ادنبرغ، عضوة في معهد الدراسات الاسماعيلية.

(٥) لالاني، الرزينة ر. لالاني، الفكر الشيعي المبكر - تعاليم الإمام محمد الباقر، ترجمة: سيف الدين القصير، (ط الأولى - دار الساقي - بيروت ٢٠٠٤م)، ص٤٠.

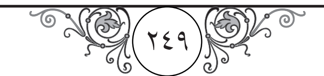


ويتحدّث هنا المستشرق المعروف بروكلمان عن طبيعة الخلاف في بيعة السقيفة والأحقية بالخلافة، قائلاً: « وما كادَ الرسول يلحق بالرفيق الأعلى حتى أحدقت الإخطار بالرسالة التي وقف عليها حياته، أعني توحيد بلاد العرب دينياً وسياسياً... والحقُ إنَّ جميع الأحقاد السياسية التي كان النبي قد كبتها بنفوذه الأدبي لم تلبث أن ذرَّت قِرنها، فمن ناحيةٍ كان عددُ المنافقين لا يزال في المدينة كبيراً جداً، ومن ناحية ثانية كان الأنصار العريقون في المدينة يتوقون إلى التحرُّر من سلطان الأغلبية المُتمثلة في المهاجرين،...، ثم إنّ عليّاً، إبنُ عمّ النبي وزوج إبنته، إدّعى لنفسه الحقّ في خلافته كرئيس دولة، بوصفه أقرب رَحِماً إليه، ولكنه كان، كسعد بن عبادة سيد الأنصار،.... لا يملك من القوة أو من النفوذ ما يساعده على تحقيق طلبته »[1].

أما الفرنسي (سيديوSedillot)[2] فإنه يرى بصلاح الأمة لخلافة نبي الإسلام بمبدأ الوراثة المُتمّثل بزوج إبنته الإمام علي عليه السلام، وكان من الممكن لو التزم المسلمون به لتجنبوا الوقوع في الفتنة التي أغرقت البلاد، بقوله: « وما كانت الحوادث التي تواترت بعد ذلك لتحقق أمل أولئك الحراص الذين أوجبوا ذلك القتل، فاشتعلت الفتن في كل ناحية،... جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة وحقوق الانتخاب،

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٨٣.

(٢) لويس بيير سيديو، ولد في باريس سنة ١٨٠٨م، وتوفي سنة ١٨٧٥م، له:مقدمة لوحات أولج الفلكية. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٤٥- ٢٤٧.



ووجب على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم الخالص»[1].

كما عدَّ الالماني (شتروطمان Strothman)[2] و (مادولنك Madelung)[3] موقف الإمام علي عليه السلام وانصاره مُعارضاً لبيعة السقيفة، حيث طالبَ بحق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في خلافته، بدايةً لنشوء مذهب أهل البيت عليهم السلام بوصفه إتجاهاً سياسياً لم يصل الى حد التشيع الديني القائل بالنص والوصية الذي ظهر لاحقاً[4].

ثم يأتي عدد من المستشرقين ويقول: ان النبي صلى الله عليه وآله قد ترك الأمة من دون أن يُنصّب لهم خليفةً يأتي من بعده، فالمستشرق (فان اس Van Ess)[5] يُعيد أسباب ذلك الى الحرج الذي قد يُصاب

---

(١) سيديو، لويس(ت١٢٩٢ه)، تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، (ط ١، دار طيبة للطباعة والنشر، مصر، ١٤٣٤ه/ ٢٠١٣م)، ص١٢٩.

(٢) رودولف شتروطمن، ولد في ألمانيا سنة ١٨٧٧م، توفي سنة ١٩٦٠م، من أعماله: مذهب الزيدية في الامامة، و الشيعة الاثنا عشرية، وغيرهما. ينظر: موسوعة المستشرقين، ص٣٤ - ٣٦.

(٣) ولفرد فرديناند ماديلونغ، ولد في ألمانيا سنة ١٩٣٠م، شغل منصب أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة شيكاغو وبعدها شغل منصب أستاذ اللغة العربية بجامعة أوكسفورد. ينظر: موقع https://ar. wikipedia. org/wiki

(٤) Shiaitem The Encyclopedia of Islam Vol ٤. p. ٣٥٠. Madelung The Encyclopedia of Islam Vol ٤. p. ٤٣٤.

(٥) فان هانس كونغ، ولد في سويسرا سنة ١٩٢٢م، قس رومي كاثوليكي، استاذ في جامعة



بـه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه إذا أعلـن أحـد المسـلمين خليفـة لـه، بقولـه: « لم يتـم الاتفـاق بـين المسـلمين عـلى خلافـة أحـد مـن أصحابـه خليفـةً لـه؛ لأنَّ هـذا الأمـر لم يكـن ذا أهميـة عنـد الرسـول، أو انـه كان في حـرج مـن هـذا الأمـر لكـي لا يغضـب أحـد مـن أصحابـه، وتمـت البيعـة لأبي بكـر بطريقـة مفاجئـة، وغـير أمينـة فلـم يحضرهـا كثـير مـن الشـخصيات المهمـة التـي مُنعـت مـن الحضـور بطريقـة أو بأخـرى »[1].

أمـا الالمـاني (كونسـلمان K٠nzelmann)[2] فقـد كان مُتذبذبـاً في رأيـه حـول موضـوع الخلافـة، فتـارةً ينقـل مـا جـرى في الغديـر مـن بيعـة مـن دون أن يُشـك فيـه، وأخـرى يُشـكك في امكانيـة أن يقـون النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بحسـم مَـن سـيخلفه في حياتـه لقيـادة الأمـة[3].

القيم المعرفية لمصادر الغدير... رؤية استشراقية:

كانـت كتابـة السـيرة التـي جـرت في القـرون الإسـلامية الأولى، والتـي كانـت تتنـاول حُـب واهتـمام المسـلمين الحـماسي للنبـي صـلى الله عليـه وآلـه

ابيرخارد. ينظر: موقع: https://ar. wikipedia. org/wiki

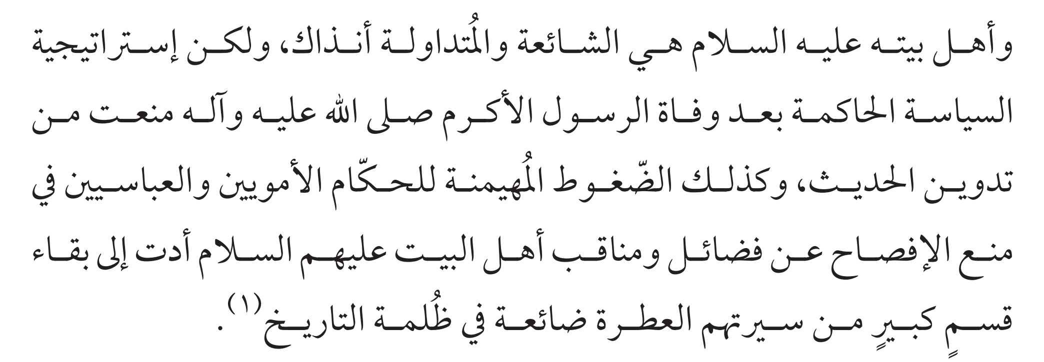
(١) اس، فان، التوحيد والنبوة والقران حوار المسيحية والاسلام، ترجمة: محمد الشاهد، (ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات – بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص١١٠.

(٢) مستشرق الماني، عمل في الصحافة لفترة، من اعماله: العرب والقدس، واغبياء الشرق، وغيرهما.

(٣) كونسلمان، جرارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: مجمد أبو رحمه، (ط ١ – مدبولي – القاهرة ١٩٩٢م)، ص١٨ – ١٩.





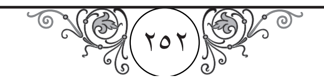


وأهل بيته عليه السلام هي الشائعة والمُتداولة أنذاك، ولكن إستراتيجية السياسة الحاكمة بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله منعت من تدوين الحديث، وكذلك الضّغوط المُهيمنة للحكّام الأمويين والعباسيين في منع الإفصاح عن فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام أدت إلى بقاء قسمٍ كبيرٍ من سيرتهم العطرة ضائعة في ظُلمة التاريخ(١).

لكن عند معظم المستشرقين حصلَ خلاف ذلك، فإنّهم جمعوا الرّوايات من مصادر غير موثقة في النقل فضلاً عن أنها تُمّثل رأي فرقة أو طائفة معينة، وأنهم حتى وإن لم يُثيروا أية شُبهة فإنّهم إعتمدوا بصورةٍ مباشرة على هكذا مصادر - مصادر العامة - في البحث عن الحقيقة دون الإطلاع على المصادر الأخرى من الطائفة الشيعية، وهو ما أكدَّ عليه المستشرقين(جيمس بيل JAMES BILL)(٢) و(جون

(١) أجمعَ أغلب المؤرخين على أنّ عصر الدولة الأموية يُمثّل المرحلة الحاسمة في تدوين الحديث من تراثٍ شفوي إلى تراثٍ مكتوب، وانّ هذا الإنتقال كان مُرتبطاً بالأساس بالسلطان السياسي آنذاك وتحت رعايته، وهو ما صرّحَ به داعية الأمويين ابن شهاب الزهري صاحب التدوين الأول بقوله: «كُنا نكره كتابة العِلم حتى أكرهنا عليه السلطان فكرهنا أن نمنعه أحداً». ينظر: الدارمي، عبد الله بن الرحمن(ت٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، (الاعتدال، دمشق ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، ص١١٠؛ أبو ريه، محمود(ت١٣٩٠هـ) أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، (ط ٣، القاهرة، د. ت)، ص٢٥٨و٢٦١؛ الحسني، هاشم معروف(ت١٤٠٣هـ)، الموضوعات في الآثار والأخبار: عرض ودراسة، (دار التعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ١٣٣؛ حمزة، محمد، الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث، (ط١، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٢٥/ ٢٠٠٥م)، ص٧٨.

(٢) البروفيسور جيمس أ. بيل، أستاذ الدراسات الدولية في كلية ويليام آندماري بالولايات



ويليامـزWILLAMS JOHN)[١]، مـن أنَّ المستشرقين قـد فهمـوا أهـل البيـت عليهـم السـلام والتشـيُّع تاريخيـاً عـلى ضـوء أدب الفـرق السـنّية، مُعتمديـن عـلى مـا طرحـهُ المستشرق الامريكي(مارشـال هودجسـون MarshallHodjson)[٢] في كتابه:)مغامـرة الإسـلام([٣]، وإن عـلى المستشرقين أن يُعيدوا النظـر في طروحاتهـم التـي اعتمـدوا فيهـا عـلى مؤلفـات ابـن حـزم الظاهـري، والشهرسـتاني، والبغـدادي، والمقريـزي، أولئـك الذيـن نظـروا إلى التشـيع بمنظـار الهرطقـة الفرقيـة[٤].

فهـؤلاء المستشرقين لم يلتفتـوا إلى أهمية جمـع الروايـات المُتعارضة عنـد العامة والشـيعة وترجيحهـا، وإنّـما اكتفـوا بعـرض الروايـات التـي سـجّلها ودوّنهـا

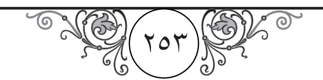
المتحدة الأمريكية، من بين مؤلّفاته كتاب: (النسر والأسد) الحائز على الجوائز، ومأساة العلاقات الأمريكية الايرانية. ينظر: موقع: https://www. uncpress. org

(١) جون ألده وليامز، مؤرخ للحضارة الإسلامية والدين، وأُستاذ فخري في العلوم الإنسانية في الدين في كلية وليام زماري، من أعماله: كلمة الإسلام. ينظر: موقع: https:// www. uncpress. org

(٢) مارشال جودوين سيمس هودجسون، ولد سنة ١٩٢٢م، مؤرخ وعالم في جامعة شيكاغو، توفي سنة ١٩٦٨م من آثاره: وسام الحشاشين، وصراع النسل الإسماعيلي ضد العالم الإسلامي، و غيرهما. ينظر: موقع: https://en. wikipedia. org/wiki/ Marshall_Hodgson

(٣) Hodjson Marshall; The Venture of Islam Voiume I (chicajo ١٩٧٠).

(٤) James A. Bill and John Williams;Roman Catholics and Shii Muslims. (London- Chapel Hill ٢٠٠٢. p. ١٣.



الـروّاد مـن الـرواة والمؤرخـين المسـلمين ذات إتجـاهٍ معـين لمـا وجـدوا فيهـا مـن أرضيـة خصبـة وثغـرات يمكـن النفـاد منهـا لتوليـد شُـبهاتهم ونموّهـا. لذلـك فقـد جـاء النتـاج الإسـتشراقي وبشـكل عـام في سـيرة أهـل البيـت عليهـم السـلام موصوفـاً بعـدم الدقـة والإنصـاف؛ لإعتمادهـم الـتراث الحديثـي لأبنـاء الجمهـور الـذي سـيطرت عليـه في أغلـب محتواهـا الايديولوجيـا الأمويـة - كـما اشرنـا الى ذلـك سـابقاً -، بـما حوتـهُ مـن مرويـات موضوعـة، وأحاديث، وقصـص مُحرّفـة، فكانـت هـذه الروايـات المُنطلـق لجملـة مـن المسـتشرقين للتمسـك بهـا، بـل وزاد عليهـا بعضهـم بحسـب مـا يخـدم مصالحهـم للتشـويه والطعـن لأنّهـا مـن داخـل المنظومـة الإسـلامية.

وعـلاوةً عـلى ذلـك فهنـاك لوحـةٌ أخـرى مـن لوحـات المناهـج الدراسـية الإسـتشراقية التـي رسـمت بصـدق سـيرة أهـل البيـت عليهـم السـلام والتـي لم تُعـوّل عـلى الروايـات التـي وردت مـن جانـبٍ واحـد؛ بـل اعتمـدت آلياتهـا بالإطـلاع عـلى الروايـات التـي اسـتقصتها مصـادر الفكـر الإسـلامي عمومـاً والشـيعة خصوصـاً، وهـو مـا نجـدهُ واضحـاً في كتابـات المسـتشرق الألمـاني شـتروطمن والـذي حمَـلَ عنـوان: «الشـيعة الإثنـا عشريـة»[١].

وحديـث واحـد مـن تلكـم الأحاديـث التي ركّـزَ عليها عـدد منالمستشرقين؛ إذ أكـدّوا بأنـه رويَّ في مصـادر السـنة والشـيعة لكـن هنـاك اختـلاف في نصوصهـا، فـكل مجتمـع يُفسّرهـا بصـورة مختلفـة[٢]، فقـد وصفـت الباحثـة

---

(١) Strutman Rudolf. The Sha Reljion. (London ١٩٣٣).

(٢) CAMPO E. CUAN. Encyclopedla of Islam. (An imprint of

(ساندرز Sanders)[1] موقف التجاهل من واقعة وحديث الغدير من قبل الجمهور، بقولها: « معظم الكتاب الذين يعتمد عليهم أهل السنة تجاهلوا واقعة غدير خم وتجاهلوا ما حدث فيها، وأما الذين أقرّوا بها فقد نقلوها كحدثٍ تأريخي الا انهم بطبيعة الحال لم يقبلوا بتفسير الشيعة لها[2].

وأشارت الباحثة ماريا دقاق الى ان مصادر الشيعة ومؤلفاتهم التي يرجع تاريخها الى العصر الاموي قد ذكرت هذا الحدث، كأشعار الكميت الاسدي المعروفه بالهاشميات، وكتاب سليم بن قيس، كما أن الغالبية العظمى من مصادر الحديث الشيعية التي دُوّنت في أواخر القرن الثالث الهجري قد تضمّنت حديث غدير خم[3].

لذا فقد طالبَ الانكليزي (رونلدسن Dwight Ronaldsen)[4]

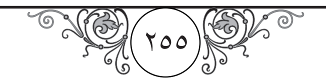
Infobase Publishing New York ٢٠٠٩). p. ٢٥٧.

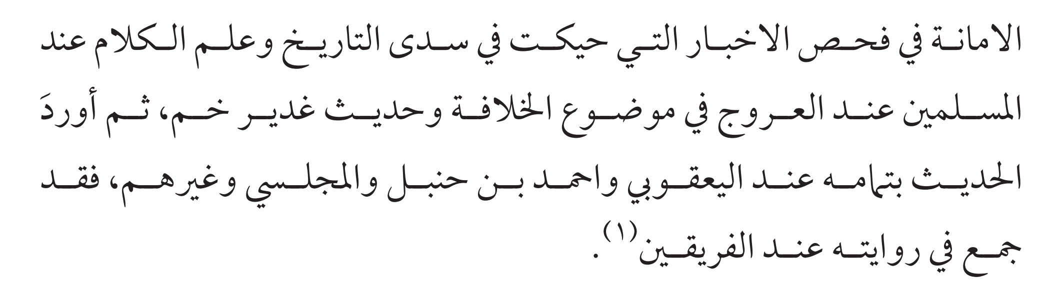
(١) الدكتوره بولا ساندرز، مستشرقة امريكية، من اعمالها: اختراع قاهرة القرون الوسطى.

(٢) Sanders Paula. Claiming the past: Ghadr Khumm and the Rise of Hafizi Historiography in Late Fatimid Egypt. (in:Studia Islamica No. ٧٥. ١٩٩٢. p. ٨٨.

(٣) The Charismatic Community: Shi'ite Idenity in Early Islam Chapter II pp. ٣٦.

(٤) دوايت نيوتن رونلدسن، مستشرق بريطاني، ولد سنة ١٨٨٤م، توفي في مدينة لكيلاند سنة ١٩٧٦م. ينظر: مراد، يحيى، معجم أسماء المستشرقين، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٣٤٢.





الامانـة في فحـص الاخبـار التـي حيكـت في سـدى التاريـخ وعلـم الـكلام عند المسـلمين عنـد العـروج في موضـوع الخلافـة وحديـث غديـر خـم، ثـم أوردَ الحديـث بتمامـه عنـد اليعقـوبي واحمـد بـن حنبـل والمجلـسي وغيرهـم، فقـد جمـع في روايتـه عنـد الفريقـين[1].

وصرّحـت وبـكل جـرأة الايطاليـة (فاغلـيري Vaglieri)[2] تجاهـل أغلـب مصـادر العامـة المعرفيـة بحيـاة الرسـول الاعظـم محمـد٨ في خطبتـه الوداعيـة والوقـوف بصمـتٍ عنـد حديـث غديـر خـم؛ وذلـك لخشـيتهم مـن أن يسـتغل متكلّمـوا الشـيعة هـذا الـكلام لاثبـات صحـة اسـتدلالهم في أحقيـة الإمـام عـلي بالخلافـة، بقولهـا: «أغلـب هـذه المصـادر التـي تشـكل معرفتهـا بحيـاة النبـي تمـر بصمـتٍ عـلى وقـوف محمـد في غديـر خـم. والواضـح انهـم يخشـون ان يجذبـوا حاقـدي السـنة الذيـن كانـوا بقـوة مـن خـلال تزويدهـم بـمادة لجـدل الشـيعة الذيـن اسـتخدموا هـذه الكلـمات ليدعمـوا فرضيتهـم في حـق عـلي في الخلافـة»[3].

ونتيجـةً لذلـك تشـير فاغلـيري الى ان اصحـاب السـيرة النبويـة الغربيـين

---

(١) رونلدسن، دوايت(ت١٣٩٥ه)، عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م، (ط ١، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م)، ص٢٢-٣٣.

(٢) لورا فيشيا فاغليري، ولدت سنة١٨٩٣م، استاذه بالمعهد الشرقي بنابولي، وأصبحت مديرة القسم حتى وفاتها سنة ١٩٨٩م، من اعمالها: الإسلام، ومطالعات عربية، والمسلمون في سردينا، وغيرهما. ينظر: حمدان، طبقات المستشرقين، ص١٦٧.

(٣) The Encyclopaedia of Islam. (Volume II Leinden. E. j. BRILL ١٩٩١). p. ٩٩٣.

الذين اعتمدت اعمالهم على هذه المصادر لم يشيروا على نحوٍ متساوٍ لما دوَّن في غدير خم، وتؤكد بأن النبي محمد صلى الله عليه وآله تكلّم في هذا المكان وتلفّظ بالجملة المشهورة: من كنت مولاه فعلي مولاه، أمل بصيغة مختصرة أو مفصلة، وان نقل هذا الحديث وما جرى في يومها لم يأتي عن طريق اليعقوبي الذي كانت عاطفته للقضية العلوية معروفة، بل انها كانت مقبولة ومعترفاً بها قانونياً خصوصاً في مسند ابن حنبل وغيره، فمن غير الممكن رفضها[١].

التفسيرات الاستشراقية لحديث الغدير:

تأثَرَ المستشرقون بتفسيرات أهل العامة لحديث غدير خم الذين أنكروا دلالالته على تنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة على المسلمين، الا ان البعض منهم كانَ جريئاً في إبراز الحق عليّاً عليه السلام كما فعلت الفرنسية مدام (ديولافوا Dulafwa)[٢] بعد أن استعرضت عقيدة الشيعة في أحقيّة الإمام علي عليه السلام لخلافة المسلمين، وان نبي الإسلام قد اختاره لخلافته قُبيل انتقاله إلى الملأ الأعلى، إلاّ ان المسلمين لم يحترموا ولم يُنّفذوا وصية النبي صلى الله عليه وآله بعد انتقاله إلى جوار ربه واغتصبوا بذلك حق علي. ومن هنا وقع الخلاف وتضّخمَ الحقد بين أبناء المسلمين. عندها أخذت (مدام ديولافوا) تسأل قائلةً:

---

(١) Ibid. ٩٩٣-٩٩٤.

(٢) جان ديولافوا، ولدت في فرنسا سنة ١٨٥١ه، رّحاله وأديبة ومؤرخة، توفيت سنة ١٩١٦م. ينظر: مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص٣٧٦.



« يا ترى مع مَنْ الحق؟ أَمعَ الطائفة الأُولى أم الثانية وعقيدة أي منهما هي الصادقة؟ ينبغي لنا أن نتجرّد من العاطفة ونُحكّم عقلنا في هذا الأمر»[1].

عندها أجابت بكل صراحة وجرأة في رد هذه الشُبهة مُستعينةً بما ذكره القرآن الكريم في العناية والخصوصية التي خصَّ بها آل محمد عليهم السلام وان شخص الإمام علي عليه السلام أولى بالفضيلة من أي شخصية غريبة أُخرى، قائلةً:

« والواقع إننا لا نحتاج إلى الاستعانة بأصول الفلسفة أو علوم ما وراء الطبيعة للإجابة عمّا تقدم، بل سرعان ما يظهر ان الحق كان مع علي وأولاده وأول دليل على هذا هو ما ذكره القرآن الكريم[2] من العناية بأفراد عائلة النبي... على هذا الأساس كيف يمكن أن يُرّجح النبي شخصاً غير علي الذي كان من المقربين إليه وابن عمه وصهره.. كيف يمكن أن يُفضّل عليه شخصاً غريباً؟»[3].

وهنا وبعد أن أعطت رأيها أشارت إلى ان إرث الخلافة النبوية يجب

(١) ديولافوا، رحلة مدام جان ديولافوا، ترجمة: د. مصطفى جواد، (ط دار منشورات البصري - بغداد - ١٩٥٨م)، ص١٢٩.

(٢) اشارة إلى قوله تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِّ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِّ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، الأنفال، ٤١.

(٣) رحلة مدام ديولافوا، ص١٣٠.

أن يحمـل في طياتـه صفـات التقـوى والشـجاعة والـذكاء التـي كان يحملهـا الرسـول الأكـرم محمـد صـلى الله عليـه وآلـه، وهـذه الصفـات لا يمكـن أن يحملهـا غـير الإمـام عـلي عليـه السـلام وليـس لـه منافـس، قائلـةً: « وان هـذه المسـألة واضحـة جليلـة لا تحتـاج إلى نقـاش أو جـدل ومـن الطبيعـي أن لا يمكـن أن يـرث مقـام الخلافـة غـير عـلي كـما لم يكـن باسـتطاعة النبـي أن يورثهـا أحـداً سـواه؛ لأنـه لم يكـن لـه منافـس أو مشـابه في زهـده وتقـواه وشـجاعته وإخلاصـه وذكائـه»[1].

وقـد كان الالمـاني (هاينـس هـالم Heinz Halm)[2] مُنصفـاً حـين نقـل خـبرَ البيعـة، مـن خـلال نقـل وجهـة النظـر الشـيعية، وان المعنـى العـربي والالمـاني لكلـمات البيعـة – مـولى – تعنـي بنظـرة الطاعـة والقبـول[3].

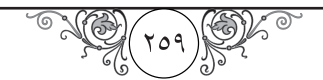
واسـتعرض الفرنـسي يـان ريشـار بيعـة الغديـر وقضيـة ولايـة الإمـام عـلي عليـه السـلام عـلى كافـة المسـلمين، وكيـف ان الرسـول محمـد صـلى الله عليـه وآلـه أمسـك بيـد عـلي عليـه السـلام اليمنـى، ثـم أخـذ بطـرح السـؤال الأول والمهـم عـلى أفـراد الأُمـة مـن حولـه مـن أنـه – أي محمـد – وليّ أمرهـم أم لا؟

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣١.

(٢) ولد سنة ١٩٤٢م، بدأ في عام ١٩٦٢م دراسة كل من العلوم الإسلامية والسامية والعصور الوسطى في جامعة توبنغن، له: الإسلام الشيعي من الدين الى الثورة، والفاطميون وتقاليدهم في التعليم، وغيرهما. ينظر: هالم، هاينس، الغنوصية في الإسلام، ترجمة: رائد الباش، (ط١، منشورات الجيل، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، المقدمة.

(٣) هالم، هاينس، الشيعة، ترجمة: محمود كبيبو، (ط١، بيت الورّاق، بغداد، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ص٢١



جاعلاً ريشار هذا الاعلان من النبي صلى الله عليه وآله والاقرار من المسلمين ولاية شرعية عليهم، قائلاً: « وأول قضية تراثية يتسلّح بها الشيعة، من غير أن ترفضها السنة رفضاً كليّاً، هي تلك التي تجعل ولاية الخلافة لعلي، ابن عمّ النبي وصهره، ولاية شرعية على جماعة المسلمين»[١].

كما ان هذا الاعلان عند بعض الباحثين الغربيين هو نقل للسلطة لوحيٍّ سماوي الى علي عليه السلام والائمة عليهم السلام المقدسين الاخرين[٢]، وان حديث الغدير كما يعترف (فولتزFwoltz)[٣] قد حسم قضية التنصيب في حياة النبي الكريم صلى الله عليه وآله، إذ يتفق المسلمون عموما حسب قوله على انه امسك بيد علي بن ابي طالب، ابن عمه وصهره، في مكان يدعى غدير خم، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه[٤].

ويُقدّم لنا الالماني (رايسكة(Reiske[٥] تفسيراً واضحاً من خلال

(١) الإسلام الشيعي، ص٣٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مستشرق كندي، ولد سنة ١٩٦١م، متخصص في تاريخ الاديان، استاذ بجامعة كونكورديا و براون.

(٤) فولتز، ريتشارد، الروحانية في ارض النبلاء، ترجمة: بسام شيخا، (ط ١، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص١٥٠.

(٥) ولد يوهان ياكوب رايسكة سنة ١٧١٦م، توفي سنة ١٧٧٤م، تاركاً خلفه كنزاً معرفياً من الدراسات العربية الإسلامية منها: تاريخ أبي الفداء ترجمه الى اللاتينية، ونزهة الناظرين،

نظرة واسعة عن تاريخ الإسلام، إذ يرى أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو الأحق بالخلافة بعد النبي مباشرة، وإنه حُرمَ من حقه في الوراثة بالخلافة طوال ما يقرب من ٢٤ سنة بسبب المؤامرات التي أُحيكت ضده، ويرى أن عليّاً عليه السلام هو أحسن أمير عرفه العالم الإسلاميوإنه كان شجاعاً وعادلاً[١].

وانتقدت الباحثة ارزينا لالاني موقف الطبري بعد ان ذكرت اراءه وتفسيراته في الآيات القرانية كأية التبليغ والإكمال المرتبطتين بما جرى في غدير خم، إذ تعمّد المساس بمصاديق الشيعة في نقلهم للحديث، بقولها: « من الواضح غاية الوضوح انه قد تكلّف كثير لانكار آراء الشيعة »[٢].

كما اعتبرت الايطالية فاغليري الابيات الشعرية لشاعر النبي صلى الله عليه وآله حسان بن ثابت في واقعة الغدير والتي أولها:

يناديهم يوم الغدير نبيهم - بخم واسمع بالنبي مناديا

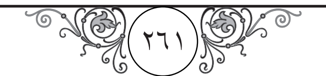
والتي تؤكد تسمية الإمام علي عليه السلام خليفة على المسلمين دلالة مبكرة وواضحة في تاريخ الإسلام، بقولها: « ان الابيات موثوق بها وهي مستقلة عن الأحاديث، فهي الدليل المبكر للحادثة في غدير خم »[٣].

ومقامات الحريري، وغيرهما. ينظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٩٨- ٣٠٣.

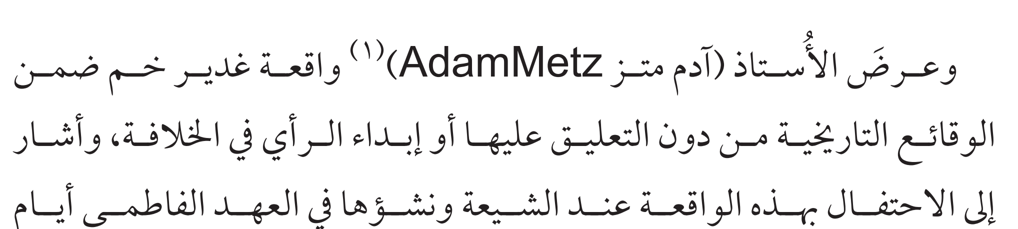
(١) مجموعة من الباحثين الاكاديمين، موسوعة الاستشراق، بحث: م. د اسراء مهدي مزبان، رايسكة واثاره الاستشراقية، (ط ١، دار الروافد، بيروت، ٢٠١٥م)، ص٣٤٦.

(٢) الفكر الشيعي المبكر - تعاليم الإمام محمد الباقر، ص٨٦ - ٨٨.

(٣) The Encyclopaedia of Islam.. p. ٩٩٣.







وعـرَض الأُسـتاذ (آدم متـز AdamMetz)[(١)] واقعـة غديـر خـم ضمـن الوقائع التاريخيـة مـن دون التعليـق عليهـا أو إبـداء الـرأي في الخلافـة، وأشـار إلى الاحتفـال بهـذه الواقعـة عنـد الشـيعة ونشـؤها في العهـد الفاطمـي أيـام معـز الدولـة وفي التحديـد سـنة ٣٥١هــ، إذ قـال:

«وفي اليـوم الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة في هـذا العـام جـاء عيـد الغديـر ((غديـر خـم)) فاحتفـل بـه الشـيعة ببغـداد وزعمـوا انـه اليـوم الـذي عهـد فيـه الرسـول عليـه السـلام إلى عـلي بـن أبي طالـب واسـتخلفه»[(٢)].

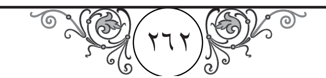
الخاتمة

(نتائج البحث)

وأخـيراً وبعـد أن وصلنـا في رحلتنـا وجولتنـا المتشـعبة في بحـار المؤرخـين مـن المستشرقين، لمـا رسـمت أناملهـم الجميلـة في لوحاتهـم الصـور الرائعـة لــ ((غديـر خـم))؛ فهـي دراسـةٌ جديـدة تختلـف عـمّا صـدر عـن الإمـام عـلي عليـه السـلام ومـا يتعلّـق بـه مـن محـاورٍ عامـة ترتبـطُ بـه إرتباطـاً وثيقـاً في خزانـة المكتبـة الإسـلامية عـلى العمـوم والشـيعة عـلى الخصـوص؛ إذ حاولـتُ فيهـا أن أُقـدّم للقـارىء الكريـم بعـض معـالم تلـك الرسـوم التـي ظهـرت مـن

(١) مستشرق سويسري ألماني، ولد في ألمانيا سنة ١٨٦٩م، كان أُستاذاً للغات الشرقية في جامعة بازل بسويسرا، توفي وهو في الثامنة والأربعين من عمره سنة ١٩١٧م، له كتاب نهضة الإسلام. ينظر: الزركلي، الاعلام، ج١، ص٢٨٢.

(٢) متز، ادم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي، (ط بيروت - ١٩٦٧م)، ص١٣٦.



خـلال سرد آراء مواقـف المسـتشرقين الصريحـة، والوقـوف عـلى طائفـة مـن الأبعـاد الإنسـانية والمخـزون الاسـتقرائي لتراثهـم البعيـد عـن الأنظـار، بعـد أن عكفتُ عـلى مراجعـة جملـة مـن المراجـع والمصـادر الأجنبيـة التـي عرضـتُ بعضهـا للترجمـة عـلى ذوي الأختصـاص، لـذا غايتنـا كانـت في هـذه الدراسـة أن نوصـل للقـارئ الكريـم بعـض معـالم تلـك الرسـوم والتـي بـرزت مـن خـلال آراءهـم ومواقفهـم الصريحـة، وممـا تقـدّم مـن معلومـات وارادة في هـذه الدراسـة ومـا توصـل إليـه البحـث مـن استنتاجات يمكـن إدراجهـا في النقـاط الآتيـة:

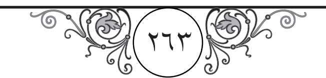
أولا: ان حادثـة الغديـر مـن الحـوادث المهمـة في تاريـخ الإسـلام والتـي ذكرهـا عـدد غـير قليـل مـن المؤرخـين، ولم ينكروهـا وانـما نكـروا التفسـير الحقيقـي لتنصيـب الإمـام عـلي عليـه السـلام خليفـة عـلى المسـلمين.

ثانيـاً: عكفـت بحـوث المنظومـة الاسـتشراقية عـلى دراسـة وتحليـل عـدد مـن الحـوادث المهمـة في صـدر الإسـلام، والتـي لعبـت دوراً مهـماً في تاريـخ المسـلمين، ومنهـا واقعـة الغديـر، إذ الغايـة عنـد البعـض اسـتقصاء الحقائـق بموضوعيـة علميـة.

ثالثـا: إتّسـمت أغلـب الدراسـات الإسـتشراقية مـن الآثـار المجاميعيـة التـي تناولـت واقعـة وحديـث غديـر خـم إلى ثـلاث مجاميـع، وهـي:

أ- الآثار المُضلّة وغير العلمية حول الغدير.

ب- الآثار التي اتخذت الحيادية حول هذه الحادثة.



ت- الاثار المُعتدلة في حق الإمام علي عليه السلام في التنصيب يوم الغدير.

رابعاً: يكاد يتّفق المستشرقون، إنَّ الأحداث التي وقعت بعد رحيل النبي محمد٨في مسألة الخلافة، قد ولّدت شرخاً كبيراً في السياسة الإسلامية.

خامساً: وكانت الإمامة والخلافة التي هي صفحة الدخول الى حادثة الغدير واحدة من تلكم الدراسات التي اهتمَّت بها هذه المنظومة لما لها من تحولات خطيرة على المشهد الإسلامي وجوهرها وعمقها في امتداد الرسالة النبوية، وقد تبنت بعض تلك الدراسات المؤقف الذي يؤيد استخلاف الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده في حكم المسلمين.

سادساً: كان أغلب المستشرقين المُتحاملين على قضية الخلافة أُحاديِّ النظرة؛ لإعتمادهم على منهلٍ واحد في إيرادهم للأحداث التاريخية المُتعلّقة بطرفٍ معين، دون الأخذ بما وردَ من أخبارٍ في كتابات الطرف المعني بهذه الحادثة.

سابعا: أولى أغلب المستشرقون اهتماما ضئيلا للأحاديث الشيعية، وقد اقتصروا في نقاشاتهم للحديث عن المصادر السنية، الا ان الباحثين المعاصرين منهم كانوا أفضل في التعريف والاطلاع بالشيعة بالأحاديث الشيعية.

ثامنا: أكد بعض المستشرقين ان الاغراض السياسية عبر العصور هي من العوامل الاساسية لتغير مضمون تفسير حديث غدير خم، وجعلوا

التفسـيرات تتناسـب مـع اغراضهـم ومشـاربهم.

مصادر البحث

خيرُ ما نبتدئُ بهِ

القرآن الكريم

اللهم زَيّن به لساني وجمّل به وَجهي

أولاً: المصادر العربية:

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢ م).

١- أنسـاب الاشراف، تحقيـق: محمـد حميـد الله، (دار المعـارف، مـصر١٣٧٨ه / ١٩٧٧م).

- الترمذي، محمد بن عيسى(٢٧٩هـ / ٨٩٢ م).

٢- سـنن الترمـذي، تحقيـق: عبـد الرحمـن محمـد عثـمان، (ط ٢، دار الفكـر، بيروت، ١٤٠٣هــ / ١٩٨٣م).

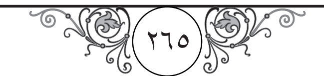
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل(ت٢٤١ه/ ٨٥٥م).

٣- مسند أحمد، (دار صادر - بيروت، د. ت)

- الدارمي، عبد الله بن الرحمن(ت٢٥٥هـ).

٤- سنن الدارمي، (الاعتدال، دمشق ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م).

- الرازي، عبد الرحمن ابن أبي حاتم (ت٣٢٧ه/ ـ٩٣٨م).



٥- تفسير الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (ط صيدا - المكتبة العصرية).

- الطبراني، سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

٦- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (ط ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت).

- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٧- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٨- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م).

- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين(ت٩٧٥ه/ ١٥٦٧م).

٩- كنز العمال في سنن الأقوال والافعال، ضبطه وفسّر غريبه وصحّحه ووضع فهارسه ومفتاحه: بكري حياني وصفوة السقا(ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٩م)

- النسائي، أحمد بن شعيب(ت٣٠٢ه/ ٩١٤م).

١٠- فضائل الصحابة، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)

- الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).



١١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

ثانياً: المراجع العربية:

- بدوي، عبد الرحمن(ت١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

١٢- موسوعة المستشرقين، (ط الدار العلمية للفلسفة)

- جماعة.

١٣- الموسوعة العربية الميسرة، (ط الدار القومية - مصر - ١٩٦٥م)

- الحسني، هاشم معروف(ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

١٤- الموضوعات في الآثار والأخبار: عرض ودراسة، (دار التعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)

- حمدان، عبد الحميد صالح.

١٥- طبقات المستشرقين، (د. مط، منشورات مكتبة مدبولي، مصر، د. ت)

- حمزة، محمد حمزة.

١٦- الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث، (ط١، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٢٥/ ٢٠٠٥م).

- أبو ريه، محمود(ت١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).



١٧- أضـواء عـلى السـنة المحمديـة أو دفـاع عـن الحديـث، (ط ٣، القاهـرة، د. ت)

- الزركلي، خير الدين(ت١٤١٠ه/ ١٩٩٠م).

١٨- الاعلام، (ط٥ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م)

- العقيقي، نجيب(ت١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

١٩- المستشرقون، (ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٤ه/ ١٩٦٤م).

- مجموعة من الباحثين الاكاديمين.

٢٠- موسـوعة الاسـتشراق، بحـث: م. د اسراء مهـدي مزبـان، رايسـكة واثـاره الاسـتشراقية، (ط ١، دار الروافـد، بـيروت، ٢٠١٥م)

- مراد، يحيى.

٢١- معجـم أسـماء المسـتشرقين، (ط ١، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)،

ثالثاً: الكتب المترجمة:

- آرنولد، توماس.

٢٢- الخلافـة، ترجمـة: حسـن حيـدر اللبنـاني، (ط ٢، دار التضامـن للطباعـة والنـشر، بغـداد، ١٩٦١م)

- اس، فان.



٢٣- التوحيد والنبوة والقران حوار المسيحية والاسلام، ترجمة: محمد الشاهد، (ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات - بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م)

- إلياد، ميرسيا (ت١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م).

٢٤- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، (ط دار دمشق - دمشق - ١٩٨٧م)،

- بروكلمان، كارل(ت١٣٧٥ه/ ١٩٥٥م).

٢٥- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، (ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٣ه/ ١٩٧٤م)

- جماعة من الباحثين المستشرقين.

٢٦- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة:زكي ابراهيم خورشيد، (ط دار الفكر، القاهرة، ١٣٥٢م)

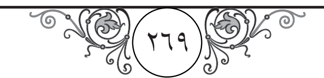
- درمنغم، اميل.

٢٧- حياة محمد في عيون مستشرق، ترجمة: عادل زعيتر، (ط ١، الاردن، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م)

- ديولافوا.

٢٨- رحلة مدام جان ديولافوا، ترجمة: د. مصطفى جواد، (ط دار منشورات البصري - بغداد - ١٩٥٨م)

- رونلدسن، دوايت(ت١٣٩٥ه/ ١٩٧٥م).



٢٩- عقيدة الشيعة، ترجمة: ع. م، (ط ١، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

- ريشار، يان.

٣٠- الإسلام الشيعي، ترجمة: حافظ الجمالي، (ط دار عطية - بيروت - ١٩٩٦م)

- سيديو، لويس (ت١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م).

٣١- تاريخ العرب العام، ترجمة: عادل زعيتر، (ط ١، دار طيبة للطباعة والنشر، مصر، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)

- فولتز، ريتشارد.

٣٢- الروحانية في ارض النبلاء، ترجمة: بسام شيخا، (ط ١، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

- كاراديفوا.

٣٣- مفكرو الإسلام، ترجمة: عادل زعيتر، (ط بيروت)

- كونسلمان، جرارد.

٣٤- سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمه، (ط ١ - مدبولي - القاهرة ١٩٩٢م).

- لالاني، الرزينة ر. لالاني.

٣٥- الفكر الشيعي المبكر - تعاليم الإمام محمد الباقر، ترجمة: سيف

الديـن القصـير، (ط الأولى - دار السـاقي - بـيروت ٢٠٠٤م).

- متز، ادم.

٣٦- الحضـارة الإسـلامية في القـرن الرابـع الهجـري، ترجمـة: محمـد عبـد الهـادي، (ط بـيروت - ١٩٦٧م).

- هالم، هاينس.

٣٧- الشـيعة، ترجمـة: محمـود كبيبـو، (ط١، بيـت الـورّاق، بغـداد، ١٤٣٢ه/ ٢٠١١م)،

٣٨- الغنوصيـة في الإسـلام، ترجمـة: رائـد البـاش، (ط١، منشـورات الجيل، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م).

رابعاً: الكتب الأجنبية:

-١ CAMPO E. CUAN.

Encyclopedla of Islam. (An imprint of Infobase Publishing New York ٢٠٠٩.

-٢ Dakake Maria.

The Charismatic Community: Shi’ite Idenity in Early Islam

-٣ dward. Browne.

Enchycloedia of religion and Ethics.

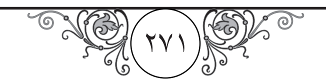
-٤ James A. Bill and John Williams;Roman.

Catholics and Shii Muslims. (London- Chapel Hill). ٢٠٠٢.

-٥ Strutman Rudolf.

The Sha Reljion. (London ١٩٣٣).

-٦ Sanders Paula.



Claiming the past: Ghadr Khumm and the Rise of Hafizi Historiography in Late Fatimid Egypt. (in:Studia Islamica No. ٧٥. ١٩٩٢.

-٧ Stewart.

Encyclopedia of Qur'an. Farewell Pilgrimage.

-٨Watt Montjomery.

Muhammed at Media. (London Newyork١٩٥٦).

-٩ Hodjson Marshall.

The Venture of Islam Voiume I (chicajo ١٩٧٠).

خامساً: مواقع الانترنيت:

-١ https://en. wikipedia. org/ Mircea Eliad.

-٢ https://ar. wikipedia. org/wiki



الإمامة والخلافة عند المستشرق الألماني هاينس هالم قراءة وتحليل

حيدر فرج الساعدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

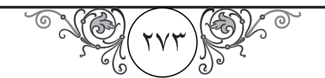
وبعد، تتضمن ورقتي البحثية الموسومة بـ (الإمامة والخلافة عند المستشرق الألماني هاينس هالم.. قراءة وتحليل) ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: نظرة عامة حول الاستشراق دوافعه وأهدافه.

يُعتبرُ (ملف الاستشراق) من الملفات الشائكة والمعقّدة، والتي شغلت حيّزاً كبيراً في ساحة الفكر المعاصر، لما يتضمنه من مسائل متشعبة، وتعريفات متعددة، ودوافع مختلفة، وغايات بعيدة.

إنَّ المهتمين بدراسة ملف (الاستشراق) ومدارسه ودوافعه، وإنْ تعددت تعريفاتهم واختلفت من جهة كونه علماً أو حركة أو مدرسة، أو هو طريقة على حدِّ تعريف إدوارد سعيد[1]، إلَّا أنَّهم مُتفقون على محور أساس فيه،

(١) انظر: الساموك، د. سعدون محمود: الاستشراق ماضيه وحاضره. بحث مطبوع ضمن كتاب: المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي، ص ١٨٥، منشورات العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية - قسم الاستشراق. الطبعة



وهـو أنَّ الاسـتشراق يُعنـى بالـشرح والتحليـل لبعـض الجوانـب ذات الصلـة بأوضـاع الـشرق مـن مختلـف الجهـات[1]، وبالتـالي يكـون المفهـوم الشـامل للاسـتشراق هـو: مُطلـق عنايـة الغـرب بدراسـة آداب وثقافـة أقطـار الـشرق، كالصيـن، والهنـد وفـارس، واليابـان، والعـالم العـربي والإسـلامي، وغيرهـا[2].

وبعبـارة أُخـرى: هـو دراسـة تاريـخ الـشرق ولغتـه وحضاراتـه وشـعوبه وأعرافـه ودياناتـه، وآدابـه وفنونـه، ونحـو ذلـك.

وبعيـداً عـن الحديـث حـول تحديـد نشـأة الاسـتشراق وتاريخـه، نجـد مـن المهـم الوقـوف عنـد دوافـع الاسـتشراق وغاياتـه، فـإنَّ معرفـة ذلـك أمـرٌ لا بُـدَّ منـه في مجـال دراسـة ملـف الاسـتشراق ونقـده.

إنَّ الغـرب بعـد أن اتجـه نحـو دراسـة ومعرفـة العـالم بـأسره، عمـل عـلى إيجـاد مئـات مـن الباحثـين لذلـك، وكانـت دوافـع هـؤلاء الباحثـين وأهدافهـم متعـددة مـا بـين علميـة وثقافيـة أو إنسـانية، ومنهـا مـا ليسـت كذلـك، بـل كانـت أهدافهـم ونواياهـم ذات طابـع آخـر لـه أثـره ومسـاحته، الأمـر الـذي جعـل مـن الدراسـين لملـف الاسـتشراق أنْ يقفـوا عـلى ثلاثـة توجهـات مـن

الأُولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م.

(١) انظر: مطهري، مصطفى: المستشرق المعاصر إيتان كوهلبرغ وحديث الإمامية، ص ٢٥، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، قسم الاستشراق، الطبعة الأُولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤م.

(٢) غلوم، علي حسن: (المستشرقون والوحي)، المنهاج، مجلة إسلامية - فكرية - فصلية، تصدر عن مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، العدد: ٥٥، ص ٢٠٢، الطبعة الثالثة، ربيع ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

جهـة الدوافـع والأهـداف، وهـي:

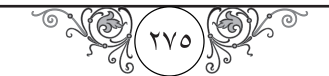
أَوَّلاً: الاسـتشراق الدينـي الأيديولوجـي: وهـو التوجـه الـذي ينبـع مـن دوافـع دينيـة، والـذي قادتـه المؤسسـات الدينيـة المسـيحية خـلال الحـروب الصليبيـة ومـا تلاهـا، غايتـه - في تلـك الفـترة - (الدفـاع) عـن العقائـد المسـيحية ومواجهـة التوسـع الثقـافي الـذي كان يقـوم بـه العـالم الإسـلامي نحـو الغـرب، لا سـيما بعـد سـقوط الأندلـس في يـد المسـلمين، أو (الهجـوم) عـلى الثقافـة الإسـلامية مـن جهـة ثانيـة وممارسـة عمليـات التنصير والتبشـير[1]، حيـث حملـت الكنيسـة الكاثولوكيـة رايـة الحـرب عـلى الإسـلام ورمـوزه، فقامـت بالانتقـاص مـن تعاليـم الإسـلام وتوجيـه الطعـون، لأسـباب مختلفـة منهـا التعويـض عـن الهزائـم الصليبيـة التـي حلَّـت بهـا، والتقليـل مـن شـأن الإسـلام ورفعتـه في عقـول وقلـوب النـاس.

ويمكـن تلخيـص مـا قامـوا بـه مـن تأثـيرٍ خلفـوه في المجتمعـات الغربيـة في ثلاثـة أُمـور:

الأَوَّل: إنَّ دراسـاتهم قـد كونـت صـورة مشـوَّهة عـن الإسـلام في أوروبـا، وذلـك عـن طريـق الـدسّ والتزويـر وتحريـف الحقائـق وغيرهـا.

الثـاني: إنَّ تلـك الدراسـات كونـت شـكلاً منهجيـاً وإطـاراً فكريـاً في أوروبـا اعتبرهـا الجميـع مسـلَّمات وحقائـق، رغـم مـا توصـل إليـه الكثـيرون مـن نقائـض لهـا في بحوثهـم.

(١) انظر: حب الله، حيدر: دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر. جـ١ ص ٣٥٠. دار الفقه الإسلامي المعاصر، الطبعة الأُولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.



الثالـث: تعتيـم أجـواء الاسـتشراق بحقـد دفـين عـلى الإسـلام والأُمَّـة العربيـة بالـذات، رغـم مـا تدّعيـه تلـك الدوائـر مـن التجـرد والموضوعيـة والعلميـة[1].

وهـذا الأمـر يـدلُّ عـلى أنَّ هنالـك علاقـةً وتلاقيـاً بـين (الاسـتشراق والتبشـير)، ومنـه نعلـم أنَّـه لا يمكـن الفصـل - بحـال مـن الأحـوال - بـين العمـل الاسـتشراقي عـن الهـدف الدينـي التبشـيري سـواء أعلـن المستشرقون ذلـك أم أخفـوه، وهـو معـروف مـن خـلال أسـاليبهم المعروفـة، كإخفـاء الحقائـق، وإبـراز الشـبهات وتقطيـع النصـوص وانتقائيـة النقـل مـن المصـادر الإسـلامية، الأمـر الـذي نلمسـه جليـاً في كتاباتهـم، فقـد عمـدوا إلى توجيـه الاتهامـات والافـتراءات ضـدَّ النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه والانتقـاص منـه، وأثـاروا الشـبهات والشـكوك حـول الوحـي والقـرآن الكريـم، وزعمـوا التناقـض بـين آياتـه، وحرفـوا الحقائـق وشـوهوها فيـما يخـص تاريـخ أهـل البيـت عليهـم السـلام، ومـا يتعلـق بتاريـخ الإسـلام عامـة.

ثانيـاً: الاسـتشراق الاسـتعماري: وهـو الاسـتشراق الـذي ينطلـق بدافـع سـياسي - عسـكري - توسـعي، الهـدف منـه التعـرُّف عـلى ثقافـة بلـدان الـشرق وأحوالهـا وأوضاعهـا وعاداتهـا وتقاليدهـا وحضارتهـا بهـدف التمكـن مـن وضـع الخطـط الكفيلـة بتحقيـق الغـزو العسـكري والثقـافي والإبقـاء عـلى القـوات العسـكرية الأجنبيـة في بـلاد الـشرق فـترة أطـول... ولهـذا كان

(١) انظر: الساموك، د. سعدون محمود: الاستشراق ماضيه وحاضره، بحث مطبوع ضمن كتاب: المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٨٥.

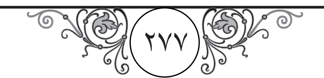
الكثير من المستشرقين حتى النصف الأَوَّل من القرن العشرين موظفين أو تابعين لوزارة المستعمرات أو وزارة الخارجية في حكومات بلدانهم[1]، فكثير من أعضائها وقناصلها كانوا من العاملين في حقل الاستشراق... منهم (بوكن) قنصلاً لفرنسا في حلب، و (كلرمون) قنصلاً لفرنسا في القدس والأستانة، و (بوتي) قد عُين من قبل الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى[2]، وهذا الأمر لا يكاد يخفى عن أيِّ أحد، بل يُعتبر من أولويات الفكر السياسي - العسكري لأيِّ بلد من البلدان المُستَعَمرة، وفي هذا الإطار أَلَّف كلٌّ من محمّد الغزالي كتاب (ظلام من الغرب)، ومحمّد إبراهيم الفيومي كتاب (الاستشراق رسالة الاستعمار)، بهدف توضيح هذه النظرية، والتي تُعرف بنظرية (الاختراق الثقافي)[3].

ثالثاً: الاستشراق العلمي: وهو التوجه الذي لمْ يرَ في دراسة الشرق سوى مادة علمية، وقد بدأ شيوع هذا النوع من الاستشراق وهذا الجيل من المستشرقين بالأخص بعد الحرب العالمية الثانية وانهيار كلٍّ من الاستعمار الأجنبي المباشر وسلطة الكنيسة المطلقة، وهذا التوجه مدعوم من قبل الجامعات ووزارات العلوم والأبحاث في البلدان الغربية أكثر من

(١) حب الله، حيدر: دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، جـ ١ ص ٣٥٠.

(٢) انظر: الساموك، د. سعدون محمود: الاستشراق ماضيه وحاضره، بحث مطبوع ضمن كتاب: المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي، مصدر سابق، ص ١٩٧.

(٣) النوري، محمّد: (المستشرقون والمذاهب الإسلامية، دراسة علمية وإعلامية حول المذاهب الإسلامية). المنهاج، مجلة إسلاميّة - فكريّة - فصليّة، تصدر عن مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، العدد: ٦٠، ص ١٥٩، الطبعة الثالثة، ربيع ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.



كونـه تابعـاً لـوزارة الدفـاع أو الخارجيـة، وهـو يختلـف مـن حيـث أُسـلوبه وعمقـه وأدب حديثـه حـول الـشرق عـن الأجيـال السـابقة[1]، وإن كنّـا لا نميـل إلى حسـن الظـن بهـذا التوجـه، فربـما يكـون مغلّفـاً ومؤطّـراً بإطـار البحـث العمـلي إلّا أنّـه في واقعـه يحمـل الـروح الاسـتعمارية - التبشـيرية.

المحور الثاني: سقطات (هاينس هالم) ومغالطاته بخصوص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومذهب التشيع

ممّـا لا شـكَّ فيـه أنَّ المدرسـة الألمانيـة أفـرزت العديـد مـن المسـتشرقين قديـماً وحديثـاً وقـد اهتمـوا بصـورة عامَّـة بالعقيـدة الشـيعية وبأئمـة أهـل البيـت الأطهـار عليهـم السـلام، ودرسـوا الحـركات الشـيعية السياسـية في مختلـف عصورهـا، منهـم (جوليـوس فلهـاوزن) المسـتشرق الألمـاني ذائـع الصيـت، صاحـب كتـاب (أُصـول التشـيع)، ومنهـم البروفيسـور (فسـتنفلد) الـذي حقـق كتابـاً حـول الإمـام الحسـين عليـه السـلام، ومنهـم (رودولـف شتروسـمان) الـذي ألّـف عـدة كتـب حـول التشـيع، ومنهـم (هاينـس هـالم) الـذي تأثـر بــ (رودولـف شتروسـمان) ووسّـع نظريتـه في الإمامـة، وغيرهـم الكثـير.

ومـا يهمّنـا هنـا هـو المسـتشرق الألمـاني (هاينـس هـالم) المتخصـص في العلـوم الإسـلامية، الشيعية، والـذي يتـولى منصـب أُسـتاذ التاريـخ الإسـلامي في جامعـة (توبنغـن الألمانيـة)، بـل إنَّ دراسـاته (تبـين بجـلاء تواصـل المدرسـة

(١) حب الله، حيدر: دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، جـ١ ص ٣٥١.

الألمانيّـة واسـتمراريتها في متابعـة البحـث والدراسـة لعقيـدة الشـيعة)[1] .

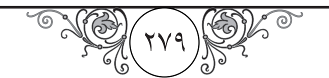
اشـتهر (هاينـس هـالم) بكتابـه (الشـيعة) وذاع صيتـه، فتُرجـم الكتـاب إلى عـدّة لغـات، فأصبـح مصـدراً أساسـياً بالنسـبة إلى غـيره مـن المسـتشرقين.

في الكتـاب تعـرض المؤلـف إلى نشـأة الشـيعة وعقائدهـم وأفكارهـم وعلاقتهـم بالخلفـاء والسـلطة بشـكل عـام، فقـام بطـرح مجمـل المعتقـدات الشـيعية بـدءاً مـن الفـترة الزمنيـة للإمـام علـيٍّ عليـه السَّـلام بعـد استشـهاد النبـيِّ الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه، وفيـه تعـرَّضَ للأحـداث التاريخيـة السياسـيّة كحـروب الإمـام علـيٍّ عليـه السـلام وموقفـه مـن الحـكام الذيـن عـاصروه، وواقعـة كربـلاء ومراسـيم العـزاء، وثـورة التوابـين، مـروراً بالدولـة الصفويّـة، إلى قيـام الدولـة الإسـلاميّة في إيـران.

وعـلى الرغـم ممَّـا يتمتـع بـه (هاينـس هـالم) مـن سـعة في الاطـلاع عـلى التاريـخ الإسـلامي - الشـيعي، قديـماً وحديثـاً، ومـا بذلـه مـن الجهـد الكبـير في جمـع المعلومـات وتبويبهـا، حـول الشـيعة ومعتقداتهـم، إلَّا أنَّ كتابـه مُنـي بسـقطات أسـقطت الكتـاب عـن الاعتبـار، فالكتـاب يفتقـر إلى العديـد مـن الأُمـور التـي تمـسُّ جوهـر المعتقـدات الشـيعيّة، لكثـرة مـا فيـه مـن العيـوب فيـما يتعلـق بفهمـه للتاريـخ مـن جهـة، وتحليلـه لبعـض الأحـداث مـن جهـة ثانيـة، فضـلاً عـن سـطحية الطـرح مـن جهـة ثالثـة، والاعـتراف مـن قبـل الكاتـب بالجهـل في العديـد مـن مفاصـل التاريـخ الشـيعي رابعـاً، وهنـا لا

---

(١) ناجي، د. عبد الجبار: التشيع والاستشراق، ص ١٦٥، منشورات الجمل، بغداد - بيروت، الطبعة الأُولى ٢٠١١م.



بـأس بالوقـوف عنـد بعـض النـماذج لمـا ذكـرت:

١- التعامـل بسـطحية وبـرود تجـاه (النـص عـلى إمامـة أمـير المؤمنـين عليـه السـلام) ومـا حصـل بعـد استشـهاد النبـيِّ الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه وقـد خصصـتُ لهـذه المسـألة مجـالاً آخـر.

٢- يمكـن رصـد الكثـير مـن الأخطـاء التاريخيـة والتحليليـة فيـما يتعلـق بالإمـام الحسـن بـن عـليٍّ عليهـما السـلام، أبرزهـا أنَّ الإمـام عليـه السـلام كان كثـير الـتردد، وكونـه عليـه السـلام يفتقـر إلى الإرادة والتصميـم (ص٢٧)، وأنَّـه تنـازل عـن الخلافـة مقابـل مبالـغ كبـيرة مـن المـال (ص٢٧)، وكونـه عليـه السَّـلام رجـلاً ثريّـاً (ص٢٨)، وكان كثـير الـزواج (ص٢٨)، فضـلاً عـن التقليـل مـن مسـألة قتلـه بالسَّـم مـن قبـل إحـدى زوجاتـه (ص٢٨).

٣- أمَّـا قراءتـه لتاريـخ الإمـام الحسـين عليـه السَّـلام فقـد جعـل سـبب نهضتـه المباركـة هـي كتـب ورسـائل أهـل الكوفـة إليـه (ص٢٩)، وزعـم أن لا أحـد مـن شـيعته عليـه السَّـلام مـن أهـل الكوفـة قـد التحـق بـه (٢٩ و٣٥)، وحَكـم عـلى نهضـة الإمـام الحسـين عليـه السـلام بالفشـل حسـب المعطيـات التاريخيـة (ص٣٥ و٣٥)، فضـلاً عـن تكـراره لفكـرة أنَّ مظاهـر الحـزن الشـيعيّة هـي مظاهـر جلْـدٍ للـذات عـلى غـرار الطريقـة المسـيحيّة (ص٣٧)، وأنَّ حركـة التوابـين تشـكل المنشـأ الحقيقـي للإسـلام الشـيعي (ص٣٨).

٤- اعـتراف (هـالم) أنَّـه يجهـل الكثـير عـن حيـاة الإمامـين السـجاد والباقـر عليهـما السـلام وعـن شـخصيتهما (ص٤٠).

٥- أمَّـا الإمـام الصـادق عليـه السـلام فهـو بنظـر (هـالم) مالـك أرض غنـي، لا دخـل لـه بالأُمـور السياسـية (ص٤٠)، متجاهـلاً كلَّ ذلـك العطـاء الـذي قدّمـه الإمـام عليـه السـلام للإسـلام والتشـيع.

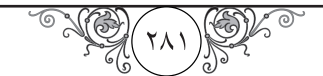
٦- غفلتـه أو تغافلـه عـن سـجن الإمـام الكاظـم عليـه السَّـلام ومعاناتـه في سـجن هـارون، واعتبـار مـا بـدر مـن هـارون العبـاسي مـا هـو إلَّا إقامـة جبريـة وليسـت طامـورة ظلـماء لا يُعـرف فيهـا الليـل مـن النهـار قـضى معظـم حياتـه بداخلهـا (ص٤٣).

٧- اعتـماده عـلى المصـادر التـي تقـول إنَّ وفـاة الأئمـة عليهـم السَّـلام هـي وفـاة طبيعيـة وأنَّهـم (عليهـم السـلام) لم يموتـوا بالسـمِّ إطلاقـاً (ص٤٣).

وغـير ذلـك مـن المغالطـات السـقيمة التـي لا يركـن إليهـا مـن لـه أدنـى اطـلاع عـلى وقائـع التاريـخ ومجريـات الأحـداث، سـوى أهـل الخـواء الفكـري والإفـلاس المعـرفي، وقـد كان مـن المفـترض بالكاتـب أن يكـون صاحـب قراءة موضوعيـة محايـدة للمذهـب الشـيعي بصـورة عامـة، ولأئمـة أهـل البيـت عليهـم السـلام بصـورة خاصـة، والنظـر بعـين واحـدة إلى مصـادر المسـلمين ومراجعهـم، لكـنَّ الواقـع عكـس ذلـك تمامـاً.

المحور الثالث: النص على إمامة الإمام عليٍّ عليه السَّلام وكيفية التعامل معها في كلام هاينس هالم

- التقليل من أهمية واقعة الغدير



فيما يخصُّ واقعة الغدير في كلام (هاينس هالم)، في البدء لا بُدَّ أنْ نعلم أنَّ واقعة الغدير بلغت من الشهرة والتواتر في روايات المسلمين درجةً بحيث لا يجد أحدٌ سبيلاً إلى إنكاره أو تجاهله، فقد شهد الحادثة أكثر من مائة ألف مسلم، ورواه كبار صحابة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والتابعين، وقيلت فيه الأشعار، وتناقلته الألسن والآثار، يكفي أنْ تضع يدك على أحد كتب المسلمين في الحديث أو التاريخ أو التفسير أو الكلام تجده مفعماً بحديث الغدير والاحتجاج به، إلَّا من شذَّ عن الطريق، وسلك سبيل العصبية الرعناء التي أبعدته عن جادة الصواب، فأضلَّ السبيل، ومثل أولئك الشذاذ لا يُعبأ بمقالهم، ولا يُعتدُّ برأيهم[1].

إنَّ كتب الإمامية في الحديث وغيره، مفعمة بإثبات قصة الغدير والاحتجاج بمؤداه، فمن مسانيد معنعنة إلى مُنبَثَق أنوار النبوَّة، إلى مراسيل أرسلها المؤلفون إرسال المسلَّم، وحذفوا أسانيدها لتسالم الفريقين.

وأمَّا المحدثون وغيرهم من أهل السّنّة فلا يتأخرون عن الإمامية في نقل الحديث والبخوع لصحته، والركون إليه، والتصحيح له، والإذعان بتواتره[2].

ومع ذلك القطع من تلك الكميّة الهائلة من الرواة والأخبار فيما يخصّ

---

(١) يكفي أن تراجع كتاب الغدير للعلامة الأميني، لترى تواتر حديث الغدير وطرق روايته ونقله، وأسماء المؤلفين وخصوصيات كتبهم.

(٢) السبحاني، جعفر: الإلهيات على هُدى الكتاب والسنة والعقل. جـ ٤ ص٨٦، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

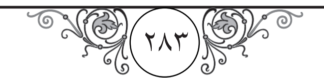
واقعة غدير خم، نجد المستشرق (هاينس هالم) لم يتعامل معها كما ينبغي، ولم يعطها حقها من البحث والتحليل، وكأنَّها حادثة جانبية في تاريخ الإسلام والمسلمين، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك والريبة في كلامه، مع معرفتنا بما يتمتع به الباحث من سعة في الاطلاع على كتب الشيعة الاثني عشرية، والاختصاص بالدراسات الشيعية، إلَّا أنَّ تعامله مع واقعة الغدير بتلك السطحية والهامشية يجعل من طرحه موضع تأمل.

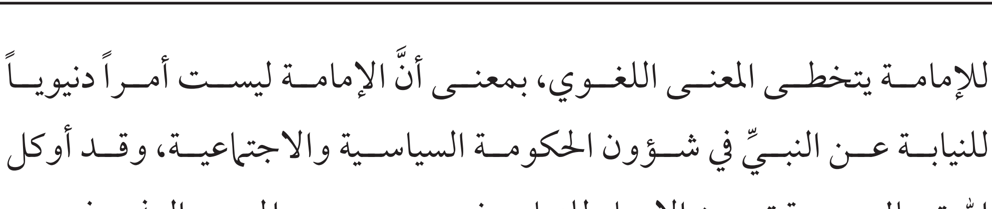
فمن كلام له في كتابه، يقول في (ص٢١): (عندما عاد النبيُّ محمَّد في مارس، آذار سنة ٦٣٢ من حجّته الأخيرة من مكّة إلى المدينة استراحت قافلته عند غدير خم في منتصف الطريق تقريباً بين المدرستين، ويُقال إنَّه قد حدث هنا في ١٦ مارس، آذار المشهد التالي الذي لم يزل الشيعة حتى اليوم يحتفلون به كعيد من أعيادهم الدينية، فقد جمع النبيُّ أتباعه من حوله وقال: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، قالوا: بلى، يا رسول الله. فقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه».

فعبارته: (ويقال...) تُشعر بالتقليل من أهمية الحادثة أو وقوعها، أو التقليل من شأنها وأثرها في نفوس المسلمين، متناسياً ومتجاهلاً لذلك الكم الهائل من الأخبار والروايات التي روت هذه الواقعة في كتب المسلمين، وهو أمرٌ يدعونا إلى مراجعة كلامه جيداً ومحاكمته.

- الخلط بين مفهومَي الإمام والخليفة

إنَّ المعنى الذي تؤمن به مدرسة أهل البيت عليهم السَّلام بالنسبة





للإمامة يتخطى المعنى اللغوي، بمعنى أنَّ الإمامة ليست أمراً دنيوياً للنيابة عن النبيِّ في شؤون الحكومة السياسية والاجتماعية، وقد أوكل الله تعالى مهمة تعيين الإمام للناس فحسب، وهو المعنى الذي ذهبت إليه مدرسة الخلفاء، وذكره كبار علماء أهل السنة، بل الإمامة من وجهة نظر الشيعة الاثني عشرية لها من السّعة والشمول ما يستوعب المرجعيّة الفكريّة والزعامة السياسيّة والقيادة الدينية، فالإمامة منصب إلهي، وعهد رباني، لا يناله أيُّ إنسان، بل يُشترط للإمام شروط لا بُدَّ أنْ تتوفر عنده، فالإمام هو صاحب المنزلة الرفيعة التي تنطوي على بُعدٍ إلهيٍّ وعهدٍ ربانيٍّ كالنبوَّة، وهذا يعني النصَّ من قبل الله تعالى، وهذا الأمر غير راجع لاختيار الناس وانتخابهم، كما أنَّ من يتصدى لشؤون الأُمَّة وقيادتها وهداية المجتمع وإرشاده، يجب أنْ يستوعب كلَّ الجوانب الدينيّة والدنيويّة؛ وذلك يستلزم أنْ يكون من يلي أمر رسول الله إنساناً مصوناً عن الخطأ ومنزهاً من الذنوب والمعاصي، وهذا المعنى هو الذي تذهب إليه مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السَّلام، لكنْ لم نجد لهذا المعنى حضوراً عند المستشرق (هاينس هالم) أبداً، فهو لم يفرِّق بين الإمامة والخلافة من جهة، ولم يقف عند معنى الإمامة بمعناها اللّغوي العام، ولا الإمامة بمعناها الاصطلاحي الخاص، وبذلك وقع في الخلط والتدليس، عمداً أو سهواً، فـ(هاينس) فَهِمَ الإمامة فهماً سطحياً، حيث يقول: (كلمة (إمام) العربية تعني (رئيس الجماعة) أو (زعيم الأُمَّة)، وهي مشتقة من الجذر نفسه الذي اشتقت منه كلمة (أُمَّة). أمَّا كلمة (خليفة)

فتعني (النائب) أو من يخلف غيره ويقوم مقامه، وحسب التفسير الذي يعتمده الشيعة للمشهد الذي حدث عند غدير خم فإنَّ النبيَّ الذي كان يعرف قرب وفاته عيَّن علياً خليفة له ورئيساً للأُمَّة الإسلامية)[١]. وهو في كلامه هذا لم يشر إلى المقام العظيم والمنزلة الرفيعة والمسؤوليات الملقاة على عاتق الإمام والأدوار التي أُنيطت به، فنراه يكتفي بالخلافة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله بشخصٍ ينوب عن النبيِّ ويكون رئيساً للأُمَّة من دون النظر إلى مؤهلاته أو المسؤوليات المكلف بها.

- مؤهلات خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله

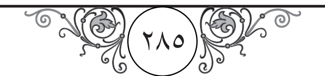
ذكر المتكلمون عدَّة شرائط لمن يخلف النبيَّ صلَّى الله عليه وآله، ليكون إماماً للأُمَّة، ومن تلك الشرائط: العصمة وهي من أهم الشروط، فيجب أنْ يكون الإمام منزهاً عن معصية الله تعالى، ولم يكن قد عبد غيره سبحانه، ولم يسجد لصنم طيلة حياته أبداً، ومن تلك الشروط الأفضلية على غيره، من كونه الأحسب والأنسب والأشرف والأشجع والأعلم، ويتمتع بكمال العقل والذكاء والفطنة، والتنزه عمّا يُنفر منه من الطبائع[٢]، وكونه مستغنياً عن غيره، وغيرهُ محتاجٌ إليه.

و(هاينس هالم) لم يتطرق لذلك كلِّه مع أنَّه من المفترض به أنْ يتعرض

---

(١) هالم، هاينس: الشيعة. ص٢٢. ترجمة محمود كبيبو، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت – الحمرا، الطبعة الأُولى ٢٠١١م.

(٢) انظر: المحسني: محمد آصف: صراط الحق. ذوي القربي، جـ ٣ ص١٧٨، إيران – قم، الطبعة الأُولى ١٤٢٨ هـ.



لها ويبينها، لكنَّه لم يذكرها من قريب أو بعيد، لكنَّه أشار إلى جملة أُمور لا تخلو من الأهمية، حيث يقول في (ص٢٢): (ويُذكر أنَّ علياً كان - بعد زوجة محمَّد الأُولى خديجة - أَوَّل من آمن بالرسالة التي جاء بها النبيُّ محمَّد -أي الإسلام-، وعندما أُجبر محمّد في سنة ٦٢٢ على ترك مكّة والهجرة إلى المدينة تبعه عليٌّ إلى هناك بعد وقت قصير، وحسب الرواية الشيعية وفرَّ عليٌّ غطاءً لهروب محمّد خفية من مكة، وذلك بأن ارتدى ثيابه ونام في سريره بحيث إنَّ المكيين الذي اقتحموا حجرة نوم النبيِّ لكي يقتلوه دهشوا عندما رأوا علياً في السرير وبذلك فشلت خطتهم... وكان ابن عمّه عليٌّ أقرب الناس إليه، وبزواجه من ابنته فاطمة أصبح صهره أيضاً، وعندما دخل النبيُّ إلى مكة بعد فتحها سنة ٦٣٠ كان عليٌّ - حسب الرواية الشيعيّة - حامل الراية، وكان هو الذي فتح اليمن ونشر فيه راية الإسلام، وعندما قام النبيُّ بآخر غزوة له ضدَّ واحة تبوك في شمال الجزيرة العربية (خريف سنة ٦٣٠) عيَّن علياً نائباً عنه (خليفة) في المدينة).

فالإمام عليٌّ عليه السَّلام أَوَّل من آمن بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وهو الذي فدى رسول الله صلَّى الله عليه وآله بنفسه عندما عزمت قريش على قتله فبات في فراشه، وهو عليه السَّلام أقرب الناس لرسول الله صلَّى الله عليه وآله، وصهره، وهو عليه السَّلام حامل الراية، وفاتح اليمن، وناشر راية الإسلام، وخليفته في غزوة تبوك، حيث أنزله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله منه بمنزلة هارون من موسى.

- تقمّص الخلافة... (وهل قبل الإمام ببيعة من سبقه؟)

كان من شأن (هاينس هالم) في كتاب (الشيعة) أنْ يبين رأيه، ويلجأ إلى النقد لبعض المواقف التي لم توافق وجهة نظره، لكنَّه حيال تقمّص الخلافة والاستئثار بحق أمير المؤمنين عليه السَّلام بعد شهادة النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله لم نجد له رأياً واضحاً وصريحاً، أو حتى مجرّد قول، حيث نجده يقول في (ص٢٣): (عندما توفي النبيُّ في ٨ يونيو، حزيران ٦٣٢ لم يُعيَّن عليٌّ خليفة له، وإنَّما رفيقه القديم أبو بكر الذي كان قد رافقه خلال خروجه إلى المنفى وهجرته إلى المدينة، وعندما توفي أبو بكر بعد سنتين فقط من الحكم اختير صحابيٌّ آخر من رفاق محمَّد ليكون خليفة له وهو عمر، وخلال فترة عمر التي دامت عشر سنوات (٦٣٤ - ٦٤٤) بدأ التوسع العسكري للإمبراطورية العربية باسم الإسلام على حساب القوتين العظميين آنذاك، الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية الساسانية، خلال أعوام قليلة من فتح فلسطين وسوريا ومصر وبلاد الرافدين -أي العراق-)، وهو بذلك لم يتحدث بما يكفي عن كيفية وصول أولئك الثلاثة إلى مقام الخلافة عن رسول صلَّى الله عليه وآله، وهل تقمّصهم للخلافة جاء ضمن إرادة السماء وتعيينها، أم أنَّ لهم مسلكاً آخر بعيداً عن ما كان يدعو إليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله ويحثُّ المسلمين عليه.

- مشاركة الإمام في الشورى ومسألة اعتراض الإمام عليها

أمَّا فيما يتعلق بمسألة الشورى وانتخاب عثمان خلفاً لعمر، فكلام (هاينس) يقع على ثلاثة مستويات:

الأَوَّل: مشروعيّة الشورى.

الثاني: القبول بانتخاب الخليفة الثالث وعدم الاعتراض عليه.

والثالث: مقتل عثمان كان بسبب الخلافات بينه وبين الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ممَّا يرجح القول في أنَّ قتلة عثمان كانوا من طرف الإمام عليٍّ عليه السلام.

وهو ما يُفهم من كلام هاينس هالم، حيث يقول (ص٢٣): (بعد وفاة عمر تشكل مجلس للشورى مؤلف من ستة أشخاص لكي يختار خليفة جديداً، فاختار عثمان بن عفان الذي ينتمي إلى عائلة أُميّة المكية، وكان (عليٌّ) أيضاً عضواً في المجلس الانتخابي كواحد من صحابة النبيِّ الأكثر نفوذاً والأعلى مكانة... لم يعترض (عليٌّ) على انتخاب عثمان، ولكن يبدو أنَّه لم يكن موافقاً عليه، وقد أدَّى هذا التناقض بين الرجلين إلى حدوث تواترات أَدَّت خلال وقت قصير إلى صراعات دامية وإلى انشقاق الأُمَّة الإسلامية، صحيح أنَّ عثمان كان أيضاً من صحابة النبيِّ ومن الذين حاربوا معه ضدَّ معارضيه، لكنَّه كان يمثل عائلة أُميّة، وعليه فالإرستقراطية المكيّة التي ظلت زمناً طويلاً على دين الشرك ونغّصت حياة (محمَّد) في مكة، وها هي تدخل بعد ذلك في الإسلام وتسعى إلى استعادة زعامتها في إطار المجتمع الإسلامي الجديد).

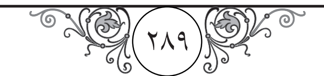
ولا يخفى ما في هذه الكلام من المغالطة وتزوير الحقائق وتشويهها، فالإمام عليه السَّلام منذ البداية لم يكن مقتنعاً بالشورى، وغير مؤمن بها، وهو القائل: «فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب فيَّ مع الأَوَّل حتى صرت أقُرن إلى هذه النظائر، لكنِّي أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا»[1]، وغيره من النصوص التي تدلُّ على أنَّ الإمام عليه السلام كان يرى أنَّ الخلافة حقٌّ ثابت له، وذلك لسبق النصِّ عليه من قبل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وأمَّا مشاركته في الشورى فلم تكن إلَّا إتماماً للحجّة، وتجنباً للخلاف والحفاظ على وحدة المسلمين وتماسكهم[2]، وليس الأمر ما ذكره هاينس هالم؛ وبذلك هو لم يرَ مشروعيّةً الشورى، ولم يقبل بانتخاب عثمان مطلقاً، لكنَّ الظروف اضطرته لذلك، أمَّا كلامه حول مقتل عثمان وأنَّ مقتله كان بسبب الخلاف بين الإمام عليٍّ عليه السلام وعثمان، فهو ما لا يركن إليه عاقل، كون الإمام عليه السلام سلك سبيل الصمت حيال الثلاثة حفاظاً على بيضة الإسلام ووحدة المسلمين، مع التزامه بحقّه وعدم التنازل عنه.

- بعد مقتل عثمان.. ورجوع الحق إلى أهله

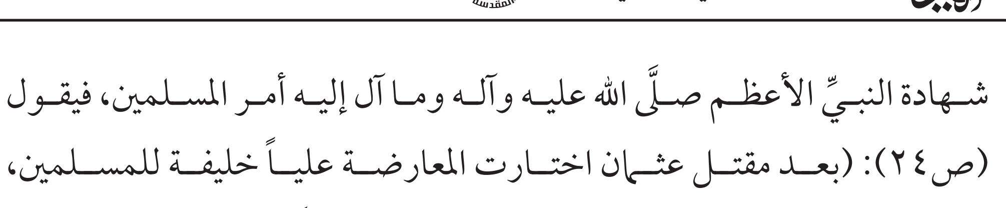
يسترسل (هاينس هالم) في حديثه عن الأحداث التي وقعت بعد

(١)- انظر: نهج البلاغة. الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية.

(٢)- قراملكي، محمّد حسن: أجوبة الشبهات الكلامية (الإمامة). جـ ٤ ص٣٧٦، ترجمة حسن علي حسن مطر الهاشمي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، إيران، الطبعة الأُولى ١٤٣٧ هـ، ٢٠١٦م.







شهادة النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وما آل إليه أمر المسلمين، فيقول (ص٢٤): (بعد مقتل عثمان اختارت المعارضة علياً خليفة للمسلمين، وفي ١٧ يونيو، حزيران٦٥٦م أعلنت خلافته رسمياً في مسجد المدينة على أرض البيت السابق للنبيِّ محمَّد، وحسب رأي الشيعة تولى أخيراً الحكم الخليفة الشرعي الوحيد للنبيِّ محمّد، أي أنَّ الشيعة لا يعترفون بشرعية الخلفاء الثلاثة الأوائل، فهم يعتبرون أبا بكر وعمر وعثمان مغتصبين للخلافة، بالنسبة لهم كان عليٌّ عليه السَّلام منذ وفاة محمَّد الخليفة الشرعي والإمام... ويفسّر الشيعة غالباً سكوت عليٍّ بأنَّه جزء من خطة إنقاذ إلهية: إذ إنَّ اغتصاب الخلفاء الثلاثة الأوائل للحكم كان مقدراً مسبقاً وكان الله يريد من وراء ذلك امتحان الأُمَّة لكي يفرق المؤمنين الحقيقيين عن المنافقين).

ولنا هنا كلام مع (هاينس) يقع على مستويين:

الأَوَّل: من اختار علياً عليه السَّلام، المعارضة أم الناس؟

الثاني: سبب الصراعات الدامية وعدم إجماع الأُمَّة عليه.

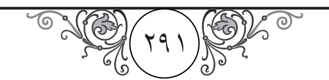
أَمَّا مّا يخص المستوى الأَوَّل فقد ذكر المؤرخون أنَّ عثمان أحدث أحداثاً مشهورة نَقمها الناس عليه، من تأمير بني أُميّة، ولا سيما الفساق منهم وأرباب السفه وقلّة الدين، وإخراج مال الفيء إليهم، وما جرى في أمر عمار وأبي ذر وعبد الله بن مسعود، وغير ذلك من الأُمور التي جرت في أواخر خلافته، إلى درجةٍ أصبح الفساد علانية، فشاعت النقمة،

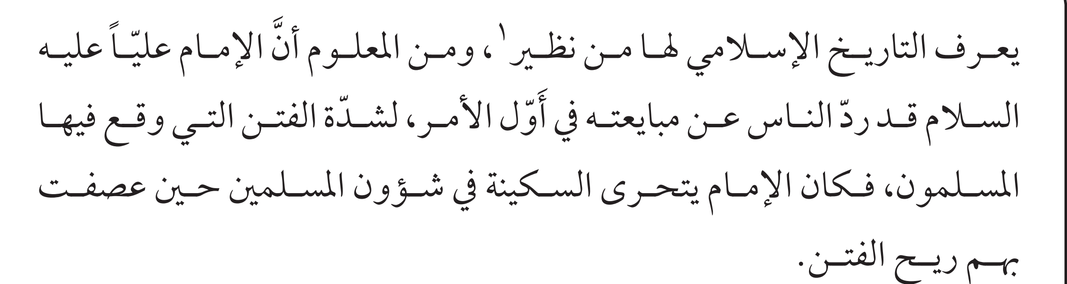
وسخط الناس على عثمان، وجرت المذكرات بين المسلمين، منها مذكرة المهاجرين إلى أهل مصر، وأُخرى لأهل الثغور، وأرسلت الوفود إلى المدينة، من مصر والكوفة والبصرة، وأُبرمت العهود ثمَّ نُقضت[1]، فلم يرَ المسلمون حلاً إلَّا الثورة والنهوض ضدَّ الفساد، فالمسألة ليست مرتبطة بجهة معينة - كما يريد البعض أنْ يفسّرها -، بل المسلمون أجمع نقموا على سياسة عثمان ورفضوها، ولو كان الكلام حول المعارضة، فلِمَ لمْ ينتفض باقي الناس لنصرة عثمان وإنقاذه؟! فالأُمة بأجمعها ثارت على الظلم والفساد الذي لحق بها من سياسة عثمان، وهي الأُمَّة نفسها التي لجأت إلى عدل عليٍّ عليه السَّلام وصلاحه واستقامته، فإذا كان الخلفاء الثلاثة قد فرضوا خلافتهم بالسيف والقوة مع عدم قناعة الناس بهم، وتقمصوا الخلافة خلافاً لرغبتها، فإنَّ الأُمَّة قد أجمعت على بيعة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السَّلام، واختارته بكلِّ رغبتها وإرادتها، يقول سلام الله عليه: «فما راعني إلَّا والناس كعُرف الضبُع إليَّ، ينثالون عليَّ من كلِّ جانبٍ حتى لقد وُطيْ الحسنانِ، وشُق عِطفايَ، مُجتمعينَ حولي كربيضةِ الغنم»[2]، وفي هذا الكلام إشارة إلى أنَّ بيعة الإمام عليه السلام شهدت حضوراً خارقاً للأُمَّة في مبايعته والوقوف إلى جانبه، البيعة الفريدة التي لم

---

(١)- انظر تفصيل ذلك: القرشي، باقر شريف: موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السّلام). جـ٣ ص٤١٧. تحقيق: مهدي باقر القرشي، مؤسسة الإمام الحسن (عليه السّلام) لإحياء تراث أهل البيت. الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢م.

(٢)- نهج البلاغة، الخطبة الثالثة.





يعرف التاريخ الإسلامي لها من نظير[1]، ومن المعلوم أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام قد ردّ الناس عن مبايعته في أَوّل الأمر، لشدّة الفتن التي وقع فيها المسلمون، فكان الإمام يتحرى السكينة في شؤون المسلمين حين عصفت بهم ريح الفتن.

أمَّا ما ذهب إليه (هاينس هالم) بقوله (ص٢٥): (كانت خلافة عليٍّ القصيرة مليئة بالصراعات الدامية التي تحطمت فيها وحدة الأُمَّة الإسلامية بعد عقدين فقط من وفاة محمّد، فلم يعترف الجميع بخلافة عليٍّ ممَّا اضطره إلى الانتقال من المدينة إلى العراق، حيث اتخذ من مدينة الكوفة الواقعة على نهر الفرات، والتي بُنيت كمعسكر للجيش العربي خلال الفتوحات مقراً له)، ففيه مغالطة واضحة ومجانبة للحقِّ والحقيقة، فإنَّ الذين نكثوا البيعة وخرجوا على أمير المؤمنين عليه السَّلام لم يرق لهم عدل عليٍّ عليه السَّلام واستقامته، وحرصه على تطبيق حكم الله في الناس ليس إلَّا، (فأولئك الذين تهافتوا في بادئ الأمر على عليٍّ عليه السَّلام من أجل البيعة لم يطيقوا تحمل عدالته وشدّته في الحقِّ، ولا سيما ممارسته للعدالة التي أوشكت أنْ تموت بعد تلك المدَّة الطويلة التي شهدت انعدامها، وقد تمثل أبسط مظاهرها في التطاول على بيت المال وسلبه ونهبه الذي أقدم عليه الكثيرون فأنَّى لهم بتحملها)[2].

(١)- انظر: الشيرازي، ناصر مكارم: (نفحات الولاية) شرح نهج البلاغة. جـ ١ ص٢٤٩، دار جواد الأئمة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م.

(٢)- الشيرازي، ناصر مكارم: (نفحات الولاية) شرح نهج البلاغة. جـ ١ ص٢٥٢، دار جواد الأئمة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م.

١٠- محور المرأة والغدير.

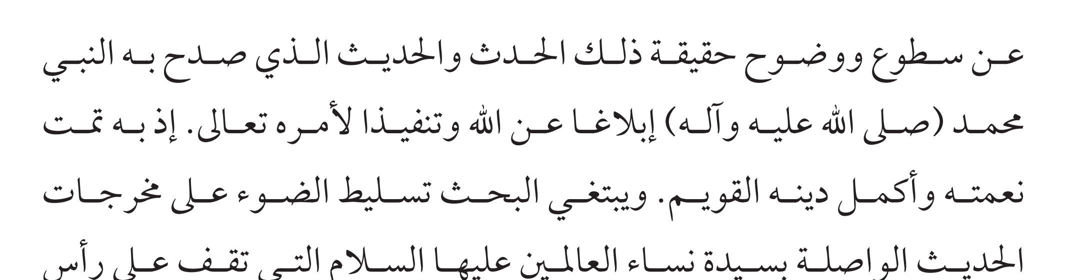
- موقف السيدة الزهراء عليها السلام في حادثة الغدير وآثاره.
- روايات حادثة الغدير.
- بيعة المرأة في الغدير.
- احتجاجات النساء بحديث الغدير وأثرهن في ترسيخ ثقافته.
- الغدير في الأدب النسوي.

السيدة فاطمة (عليه السلام) والغدير شاهد ومبلغ

أ. م. د. انتصار عدنان العواد

للغدير حدث وحديث أثر لا يخفى في التاريخ الإسلامي على امتداد العصور، ومن مراكز قوته ووثاقته حلقات الوصل بينه وبين الأجيال أولئك الرواة الذين عاينوا تفاصيله، وكانوا شهودا ومبلغين، وفي مقدمتهم السيدة فاطمة عليها السلام بما لها من مكانة سامية وارتباط وثيق بالحادثة وحديثها، وبمن عقد لأجله الأمر، وفق الإعداد الإلهي والتنفيذ النبوي. وكذلك كان لها الأثر الكبير في ديمومة الحجة بهذا الحديث في أشد الظروف حلكة بعد رحيل النبي محمد صلى الله عليه وآله.

ويبدأ جذر هذه الصلة بين السيدة فاطمة عليها السلام وبين الحادثة من كونها بضعة النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) التي رافقته في حجة الوداع، فرأت وسمعت من أبيها المصطفى (صلى الله عليه وآله) ما صدر عنه من وصايا وأوامر إلهية نبوية، وكان منها ما جرى في غدير خم، فكانت شاهد على الحدث بكل تفاصيله، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد كانت السيدة فاطمة عليها السلام المبلغ والراوي لذلك الحديث بل والمحتج به في وقت تطلب الظرف منها ذلك. فلم تتوان عن الاحتجاج به على المجتمع الذي أصم أذنيه وأغمض عينيه،



عن سطوع ووضوح حقيقة ذلك الحدث والحديث الذي صدح به النبي محمد (صلى الله عليه وآله) إبلاغا عن الله وتنفيذا لأمره تعالى. إذ به تمت نعمته وأكمل دينه القويم. ويبتغي البحث تسليط الضوء على مخرجات الحديث الواصلة بسيدة نساء العالمين عليها السلام التي تقف على رأس الصحابة الراوين له، إذ تعد من أبرز حلقات الوصل بهذا الحدث.

لقد روي عنها حديث الغدير بطريقين:

الأول: برواية السلسلة الذهبية عن طريق الأئمة الأطهار عليهم السلام.

الثاني: برواية طريق وصف بأنه ألطف الطرق وهو عن الفاطميات.

أما عن احتجاجها بحديث الغدير فقد احتجت مرتين:

الاحتجاج الأول: احتجت على الصحابي محمود بن لبيد.

الاحتجاج الثاني: على الصحابي رافع بن خديجة.

يمكن عد الاحتجاجين أعلاه طريقا ثالثا ورابعا ينتهي إلى السيدة فاطمة عليها السلام.

أن السيدة فاطمة عليها السلام بما لها من مكانة واثر في المجتمع الإسلامي وتاريخه عبر العصور، فان دورها في نقل الحديث له وقع خاص ينسجم مع موقفها المدافع عن حق أمير المؤمنين عليه السلام.

وسوف نتناول البحث في محاور ثلاث:

المحور الأول: حضور السيدة فاطمة (عليه السلام) حادثة غدير خم.

المحور الثاني: احتجاج السيدة فاطمة (عليها السلام) بحديث الغدير.

المحور الثالث: رواية السيدة فاطمة (عليها السلام) لحديث الغدير.

المحور الأول: حضور السيدة فاطمة (عليه السلام) حادثة غدير خم

في السنة العاشرة للهجرة، تهيأ النبي صلى الله عليه وآله لأداء فريضة الحج والتي عرفت بحجة الوداع[1]، وقد تجهز معه عدد كبير من المسلمين، وكانت السيدة فاطمة عليها السلام برفقة أبيها صلى الله عليه وآله في هذه الرحلة.[2]

فقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله) مكث تسع سنين في المدينة المنورة لم يحج، ثم أذن في الناس في الحج في السنة العاشرة: (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حاج)، فقدم إلى المدينة الكثير من المسلمين من أنحاء الجزيرة، يلتمسون الإئتمام بالنبي (صلى الله عليه وآله) والعمل طبقا لأوامره.

وكان من أهم ما ميز هذه الرحلة، عدة أمور من حيث:

١- إنها الحجة الوحيدة والأخيرة للنبي صلى الله عليه وآله، لذا فقد

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/ ٧٤ - ٧٥. الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٢) أبو داود: السنن: ١/ ٤٠٤. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/ ٢٢٣. ابن حبان: صحيح ابن حبان: ٩/ ٢٥٢.



اهتم بها صلى الله عليه وآله بتعليم المسلمين مناسك الحج وغيرها.

٢- كان النبي صلى الله عليه وآله قد نعيت إليه نفسه الشريفة، فأعلن للمسلمين عن قرب لحوقه بالرفيق الأعلى.

٣- أن النبي صلى الله عليه وآله وفي طريق عودته إلى المدينة بلغ عن الله جموع المسلمين في ظهيرة يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة من تلك السنة، في منطقة تسمى غدير خم، حيث أعلن إن الإمام علي (عليه السلام) هو خليفته ووصيه وولي أمر الأمة من بعده، وقد بايعه المسلمون كلهم مقرين له بالطاعة والولاء[١].

أما الإمام علي (عليه السلام) فكان قد بعثه النبي صلى الله عليه وآله على رأس جيش إلى اليمن لدعوة أهلها إلى الإسلام، ومن هناك وافى النبي صلى الله عليه وآله، والتقى به على مشارف مكة[٢].

قال الدارمي[٣]: ((وقدم علي ببدن من اليمن للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فوجد فاطمة فيمن حل ولبست ثيابا صبيغا، واكتحلت، فأنكر علي ذلك عليها. فقالت: إن أبي أمرني، فكان علي يقول: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم محرشا على فاطمة في الذي صنعت، مستفتيا لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فيما ذكرت، فأنكرت

(١) عن تفاصيل حديث الغدير ورواته ومصادره. ينظر: الاميني: الغدير في الكتاب والسنة والأدب والتاريخ الذي يقع في احد عشر جزءا.

(٢) الطبري: تاريخ: ٣/ ٢١٣، ٢٢٢ - ٢٢٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٥ / ١٦٠.

(٣) سنن الدارمي ٢/ ٤٥ ٤٧، وينظر أيضا: مسلم: صحيح مسلم ٤/ ٤٠.

ذلك عليها. فقال: صدقت. ما فعلت حين فرضت الحج. قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك. قال: فان معي الهدي. فلا تحلل. قال. فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم مائة بدنة، فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية وجه إلى منى فأهللنا بالحج...)).

ففي الرواية أعلاه دلالة واضحة على مرافقة السيدة فاطمة عليها السلام أبيها النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنها شهدت حجة الوداع، ومن ثم فأنها مؤكدا قد حضرت يوم البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم بعد منصرفه من الحج.

ولا تفوتنا الإشارة إلى ما ورد من إساءة في الرواية أعلاه لمقام أمير المؤمنين عليه السلام، وطبيعة علاقته بالصديقة فاطمة عليها السلام، إذ تشير الرواية إلى عدم تصديق أمير المؤمنين عليه السلام وشكه بما قالته وفعلته الصديقة فاطمة عليها السلام، لذا قصد النبي (صلى الله عليه وآله) محرشا عليها. وهذا ما لا يمكن قبوله، إذ أن أمير المؤمنين عليه السلام يعرف جيدا مكانة الصديقة فاطمة عليها السلام، فلا يشك بأي قول أو فعل يصدر عنها، إذ هو العالم بمكانتها ومقامها وعلمها، وما كان أحد أعرف بذلك منه ومن أبيها النبي (صلى الله عليه وآله). ثم ما معنى (محرشا عليها) وكأنه يتحين الفرصة للإيقاع بها، وهذا ما لا ينسجم مع واقعية تلك العلاقة المثلى والفريدة التي جمعت بينهما، وكانت

مثالا متكاملا فريدا عز نظيره في التكافؤ والانسجام، شهدت بذلك كلماته عليه السلام فيها، وكلماتها فيه بل وحزنه الشديد لفقدها[١].

وما هذه الإلماحة الدخيلة على النص إلا إشارة واضحة لمحاولة الوضع بقصد الإساءة لتلك العلاقة بين الأمير والصديقة عليهما السلام[٢].

وكانت السيدة فاطمة عليها السلام تسأل النبي صلى الله عليه وآله عن الأحكام المتعلقة بالحج تبياناً للناس، فقد سئلت عائشة عن لحوم الأضاحي، فقالت: قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عنها، ثم رخص فيها؛ قدم علي بن أبي طالب عليه السلام من سفر، فأتته فاطمة بلحم من ضحاياها، فقال عليه السلام: «أو لم ينه عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقالت: «انه قد رخص فيها». قالت: فدخل علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عن ذلك. فقال: كلها من ذي الحجة إلى ذي الحجة[٣].

وروي عنه صلى الله عليه وآله قوله لابنته السيدة فاطمة عليها السلام: «يا فاطمة قومي الى أضحيتكِ فأشهديها فأنه يغفر لك عند أول قطرة

(١) عن طبيعة العلاقة بين أمير المؤمنين والصديقة فاطمة ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ص١٩٧ ٢٠٠.

(٢) كانت الإساءة لأهل البيت عليهم السلام سيما الأمير والصديقة عليهما السلام مما انتهجه الرواة لأغراض شتى. لمزيد من التفاصيل ينظر: النصر الله، والعواد: مقام السيدة فاطمة في السنة النبوية ص١٢٤ ١٧٢، العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ص٢٠٠ ٢٣٨.، ٤٥٢ ٥٠٥.

(٣) ابن حنبل: مسند أحمد بن حنبل: ٦/ ٢٨٢. الهيثمي: مجمع الزوائد ٤/ ٢٧.

تقطر من دمها كل ذنب عملته، وقولي: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❁ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] قيل يا رسول الله: هذا لك ولأهل بيتك خاصة؟ بينما تشير رواية ثانية إلى إن السيدة فاطمة عليها السلام هي من سألت.[2] قال صلى الله عليه وآله: لا بل لنا وللمسلمين عامة»[3].

وفي رواية ثانية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لها: «يا فاطمة! قومي واشهدي أضحيتك، أما أن لكِ بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أما انه يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها سبعين ضعفاً، حتى توضع في ميزانك، هي لآل محمد والناس عامة»[4].

إن النصوص أعلاه تدل على أن الصديقة فاطمة عليها السلام كانت شاهدة حدث البيعة، فضلا عن نصوص الاحتجاج التي ستأتي الإشارة إليها فيما بعد، فإن فيها من الدلالة على ذلك الحضور والشهود لوقعة الغدير وما جرى فيها.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٦٢ ـ١٦٣.

(٢) الزيلعي: نصب الراية: ٦ / ٩٦. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٤ / ١٧.

(٣) الطبراني: المعجم الأوسط: ٣/ ٦٩، المعجم الكبير: ١٨ / ٢٣٩. كتاب الدعاء: ص٣٩٥، الحاكم: المستدرك على الصحيحين: ٤ / ٢٢٢. البيهقي: السنن: ٥ / ٢٣٩، ٩ / ٢٨٣، كتاب فضائل الأوقات: ص٤٠٣. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١٥٥. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٤ / ١٧.

(٤) البيهقي: السنن: ٩ / ٢٨٣.



وقد روى الطبراي[1] بسنده إلى الصديقة فاطمة عليها السلام أنها قالت: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله عشية عرفة. فقال: إن الله جل شأنه - باهى بكم، وغفر لكم عامة، ولعلي خاصة، وأنا أرسلت الى الناس جميعاً غير محاب لقرابتي، إن السعيد كل السعيد وحق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته.

فقد تكون عشية عرفة تلك واقعا في حجة الوداع زمانا ومكانا، وأيضا يحتمل أن تكون فقط زمانا، ومع فرض الاحتمال الأول فإنها إشارة إلى حضورها مع أبيها في تلك الحجة الأخيرة وأيضا فيها دلالة على تأكيد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على موالاة الإمام أمير المؤمنين وفضله عليه السلام.

المحور الثاني: احتجاج السيدة فاطمة (عليها السلام) بحديث الغدير

أوردت الروايات احتجاج السيدة فاطمة عليها السلام بحديث الغدير، في حادثتين:

---

(١) المعجم الكبير: ٢٢ / ٤١٥. وكذلك رواه الصدوق: الامالي: ص٢٤٨ - ٢٤٩. الطبري الصغير: دلائل الزهراء: ص٣٦ - ٣٧. عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى: ص٢٣٧. الخوارزمي: المناقب: ص٧٨ - ٧٩. ابن عساكر تاريخ دمشق: ٤٢ / ١٨٧. ابن البطريق: العمدة: ص٢٠٠. الاربلي: كشف الغمة: ٢ / ٧٨. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص٩٢. ابن جبر: نهج الإيمان: ص٤٥٢. الهيثمي: مجمع الزوائد: ٩ / ١٣٢. ابن الدمشقي: جواهر المطالب: ١/ ١٠١. البياضي: الصراط المستقيم: ٢/ ٥٠. القندوزي: ينابيع المودة: ١/ ٣٨١.

أولا: الحادثة الأولى:

روى الخزاز القمي[١] رواية أسندها إلى محمود بن لبيد قال:

((لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة رضي الله عنه، فوجدتها صلوات الله عليها تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكتت، فأتيتها وسلمت عليها. وقلت: يا سيدة النسوان! قد والله قطعت أنياط[٢] قلبي من بكائك.

فقالت: يا با عمر[٣] يحق لي البكاء، ولقد أصبت بخير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، واشوقاه إلى رسول الله، ثم أنشأت عليها السلام تقول:

إذا مات يوما ميت قل ذكره　　　وذكر أبي مات والله أكثر

قلت: يا سيدتي! إني سائلك عن مسألة تلجلج في صدري.

قالت: سل.

قلت: هل نص رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته على علي

---

(١) كفاية الأثر ص١٩٨ ١٩٩.

(٢) أنياط جمع نياط. والنياط بكسر النون ككتاب: عرق غليظ، نيط به القلب إلى الوتين، فنياط القلب هو ذلك العرق الذي يعلق القلب به. الفراهيدي: العين ٧/ ٤٥٦، الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ٢/ ٢٨٢، الفيومي: المصباح المنير ٢/ ٦٣٠، الطريحي: مجمع البحرين ٤/ ٢٧٧.

(٣) لعلها يا أبا عمر. ولكن من ترجم له لم يذكر هذه الكنية له.



بالإمامة؟

قالت: واعجباه! أنسيتم يوم غدير خم.

قلت: قد كان ذلك، ولكن أخبريني بما أسر إليك.

قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: (علي خير من أخلفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسبطي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة).

قلت: يا سيدتي! فما باله قعد عن حقه؟

قالت: يا با عمر! لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتى ولا يأتي - أو قالت: مثل علي -. ثم قالت: أما والله لو تركوا الحق على أهله، واتبعوا عترة نبيه لما اختلف في الله تعالى اثنان، ولورثها سلف عن سلف، وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، ولكن قدموا من أخره، وأخروا من قدمه الله، حتى إذا ألحد المبعوث، وأوذعوه الحدث المحدوث، واختاروا بشهوتهم، وعملوا بآرائهم، تبا لهم أو لم يسمعوا الله يقول: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»[1] بل سمعوا، ولكنهم كما قال الله سبحانه: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»[2]، هيهات بسطوا

---

(١) سورة القصص الآية ٦٨.

(٢) سورة الحج الآية ٤٦.

في الدنيا آمالهم ونسوا آجالهم، ((فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ))[١]، أعوذ بك يا رب من الجور بعد الكور)).

يمكن القول أنه لا يفوتنا تسجيل بضعة حيثيات على ما جاء في النص أعلاه:

١ راوي الحادثة: هو أبو نعيم محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن إمرؤ القيس بن زيد الأنصاري الأشهلي المدني. ولد على عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأمه أم منظور بنت محمد بن مسلمة، كان له عقب ولكن انقرضوا[٢]، قال البخاري[٣]: له صحبة. فيما قال ابن أبي حاتم[٤]: لا نعرف له صحبة، وذكره العجلي[٥] في التابعين، وترجم له ابن حنبل[٦] وخرج له أحاديث ليس فيها شيء صرح فيه بالسماع،

(١) سورة محمد الآية ٨.

(٢) تنظر ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/ ٧٧، ابن حنبل: مسند ٤٢٧ ٤٢٩، البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ٤٠٢، ابن حبان: الثقات ٣/ ١٩٧، ٥/ ٤٣٤، مشاهير علماء الامصار ص٥٢، ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٣٧٨ ١٣٧٩، العجلي: معرفة الثقات ١/ ٩٧، ٢/ ٢٢٦، ابن ابي حاتم: الجرح والتعديل ٨/ ٢٨٩، المزي: تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٠٩، الذهبي: سير اعلام النبلاء ٣/ ٤٨٥، ابن حجر: الإصابة ٦/ ٣٥، تقريب التهذيب ٢/ ١٦٤، تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٩، الصنعاني: سبل السلام ٣/ ١٧٣.

(٣) التاريخ الكبير ٧/ ٤٠٢.

(٤) الجرح والتعديل ٨/ ٢٨٩.

(٥) معرفة الثقاة ٢/ ٢٢٦، وينظر: الصنعاني: سبل السلام ٣/ ١٧٣.

(٦) المسند ص٤٢٧ ٤٢٩.



ونعته ابن حجر[1] بالصحابي الصغير جل روايته عن الصحابة، واحتمل أن يكون عمره يوم وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ثلاث عشرة سنة[2]، وقال ابن حبان[3]: أنه يروي المراسيل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عداده في أهل المدينة، روى عن أهلها، وقد أجمع علماء الرجال من مدرسة الخلفاء على وثاقته. وهناك من عده ومحمود بن الربيع بن لبيد شخصا واحدا، وان قولهم بن لبيد نسبة لجده[4]، ولكن ابن عبد البر[5] قال: أن محمود بن لبيد أسن من محمود بن الربيع. وقال ابن حجر: محمود بن لبيد اشهلي من الاوس ومحمود بن الربيع خزرجي[6]، كان له موقفا في الاحتجاج على عثمان أيام حكمه[7]، اختلف في وفاته في ٩٣ أو ٩٦ أو ٩٧ أو ٩٩هـ[8].

بعد عرض ترجمة محمود بن لبيد يمكن القول:

يتضح من ترجمة هذا الصحابي ناقل الحادثة أنه ولد على عهد رسول

(١) تقريب التهذيب ٢/ ١٦٤.

(٢) تهذيب التهذيب ١/ ٦٠.

(٣) الثقات ٥/ ٤٣٤.

(٤) ابن حزم: المحلى ٣/ ١٨٨.

(٥) الاستيعاب ٣/ ١٣٧٨ ١٣٧٩، ابن حجر: الإصابة ٦/ ٣٥.

(٦) الإصابة ٦/ ٣٥.

(٧) الشهرستاني: وضوء النبي (صلى الله عليه وآله) ٢/ ٤٢٤.

(٨) ابن حبان: الثقات ٣/ ١٩٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٥، ابن حجر: تقريب ٢/ ١٦٤.

الله (صلى الله عليه وآله) لذلك يبدو أنه كان صغيرا في العهد النبوي كما صرح بذلك ابن حجر[1] الذي احتمل أن يكون عمره ١٣ سنة. لذا يمكن القول أن ما بين الحادثة ووفاة النبي (صلى الله عليه وآله) أيام قليلة، فلماذا نجده يتسائل هل نص النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته على علي عليه السلام بالإمامة؟ اين كان هذا الرجل والنبي (صلى الله عليه وآله) يصدح ليل نهار بأحقية أمير المؤمنين عليه السلام وتنصيبه إماما للمسلمين؟!! أن قيل ربما لصغر سنه، فهل يا ترى بهذه الأيام القلائل كبر ونضج وأصبح مؤهلا ومدركا للإمامة؟ أم أنه كان خارج المدينة؟ أم لعل الدعاية المضادة كانت قوية بحيث ضللت على الناس الحقيقة!!.

ولكن يكفي جواب السيدة فاطمة عليها السلام واحتجاجها عليه بالقول: أنسيتم يوم غدير خم؟ هذا يعني أنه كان حاضرا بشكل قطعي في ذلك اليوم فالصديقة فاطمة عليها السلام لا تقول شططا وحاشاها. ثم أنه أقر لها قائلا: قد كان ذلك.

٢- ما لدافع إلى ذهاب محمود بن لبيد إلى قبر حمزة، هل للزيارة؟ أم أنه كان يتابع حركة السيدة فاطمة عليها السلام؟!

٣- تقول الرواية أن الصديقة فاطمة (عليها السلام) كانت مواظبة على زيارة قبر حمزة (عليه السلام) والشهداء بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا ما عرف عنها، ولكن بكائها عنده بتلك الحالة التي أثارت شجن وعاطفة محمود بن لبيد وإجابتها بأن بكائها إنما كان على أبيها. إذن

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٦٠.



لماذا لا تذهب وتبكي عند قبر أبيها النبي (صلى الله عليه وآله).

فهل أن مانعيها البكاء اضطروها ان تبتعد عن قبره (صلى الله عليه وآله)، فازداد وجدها وهمها، ولكن سوء حالتها الصحية بعد حادثة الهجوم والضرب، ما كانت لتؤهلها للذهاب بشكل متتابع إلى زيارة قبر حمزة (عليه السلام) وهو في موضع أحد البعيد عن المدينة. إلا أن تكون زيارتها له قبل الحادثة.

٤- ما معنى قوله لها: ((أخبريني بما أسر إليك))، فإن كان سرا فكيف تذيعه؟ ثم أن صيغة كلام النبي (صلى الله عليه وآله) الذي يفترض أنه كان سرا خاصا ببضعته، إنما يدلل على توسع الخطاب وشموله كل الأمة بدليل الألفاظ وتوجيه الخطاب بالقول: (علي خير من أخلفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسبطيه وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لأن أتبعتموهم وجدتموهم هاديين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيمة)).

فهل أن السيدة فاطمة (عليها السلام) بحاجة لهذه المعلومة عن أحقية زوجها ومكانته وعواقب مخالفته، وهي الأعلم بذلك. إذن فالخطاب ليس لها بل للأمة جمعاء، فهل هذا سر خاص بها.

والراجح لدينا ان حديث الأسرار الذي اختصت به الصديقة فاطمة (عليها السلام) إنما هو إخبارها بما سيجري عليها وأهل بيتها بعد رحيل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأنها أول شهيدة تلحق بأبيها

جـراء الظلـم الـذي نالهـا مـن القـوم[١].

٤ ويـأت سـؤال آخـر يزيـد الأمـر حـيرة في محمـود بـن لبيـد أن كان صحابيـا عـاش تلـك الفـترة وسـمع مـن النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) فـما معنـى قولـه سـائلا عـن موقـف الإمـام عـلي (عليـه السـلام): ((فـما بالـه قعـد عـن حقـه؟!))، فهـل كان غائبـا عـن الحـدث؟ وهـل أن الله تـرك حقـه؟ ألم يصـدح هـو والصديقـة فاطمـة (عليهـا السـلام) بذلـك الحـق ولم يـتركا حجـة لأحـد.

إلا أن يكـون هـذا السـؤال جـاء في فـترة متأخـرة جـدا لمـن غـاب عـن الحـدث وضللتـه الدعايـة المضـادة لأهـل البيـت (عليهـم السـلام) التـي صـورت الإمـام عـلي (عليـه السـلام) بصـورة المتنـازل عـن حقـه.

الحادثة الثانية

بعـد أن ألقـت السـيدة فاطمـة (عليهـا السـلام) خطبتهـا في المهاجريـن والأنصـار وانصرفـت، تبعهـا رافـع بـن رفاعـة الزرقـي وقـال لهـا: يـا سـيدة النسـاء، لـو كان أبـو الحسـن تكلـم في هـذا الأمـر وذكـر للنـاس قبـل أن يجـري هـذا العقـد، مـا عدلنـا بـه أحـدا.

فقالـت لـه: «إليـك عنـي، فـما جعـل الله لأحـد بعـد غديـر خـم مـن حجـة ولا عـذر».[٢]

---

(١) عن تفاصيل حديث الإسرار ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ص٧٠١ ٧٠٦.

(٢) الطبري الإمامي: دلائل الإمامة ص١٢٢.



وللسيد المقرم[1] تعليق على تساؤل هذا الرجل كفانا مؤنة الرد، إذ يقول:

((عجيب من هذا الأحمق أن يتغافل عن قيام أمير المؤمنين بالدعوة وتعريفهم أحقيته بالأمر، فإن خطبته الطويلة المعروفة بالوسيلة المذكورة في روضة الكافي[2] ملحقة بتحف العقول ص١٣٩ وفي هامش مرآة العقول[3] ج٤ ص٢٠٣، وفي الوافي ج٤ ص٤ في أول الروض[4] فإنها في المسجد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بسبعة أيام وفيها التذكير بيوم الغدير وظلم المتوثبين على هذا الأمر)).

ولكن من هو رافع بن رفاعة الزرقي؟ وهل كان غائبا عن المدينة؟

هو رافع بن رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق النصارى الخزرجي الزرقي، صحابي روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)[5]. لكن ابن عبد البر[6] يقول: لا تصح صحبته، وعده

(١) وفاة الصديقة فاطمة (عليها السلام) ص١٤٤.

(٢) الكليني: الكافي: ٨/ ١٨.

(٣) المجلسي: مرآة العقول ٢٥/ ٣٧.

(٤) الفيض الكاشاني: الوافي ٢٦/ ١٧.

(٥) ابن الأثير: أسد الغابة ٢/ ١٦١، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٦٤، تقريب التهذيب ١/ ٢٩٠.

(٦) الاستيعاب ٢/ ٤٨٠.

غيره غير معروف[1] بل مجهول[2]، وقيل عنه أنه تابعي[3]، وفي ترجمته عند النمازي[4] قال عنه: ((صحابي مذموم)) مستدلا بالرواية أعلاه. وهناك من احتمل أن يكون رافع هذا هو نفسه رافع بن خديج[5]. فيما نجد ابن الأثير[6] قد فصل بيتهما وترجم لكل واحد منهما على حدة، وكذلك فعل الصالحي الشامي[7].

أما من ترجم رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الأوسي الحارثي[8]. يكنى بأبي عبد الله وقيل أبو خديج[9]. عد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)[10]، قيل أنه عرض نفسه يوم بدر

(1) المزي: تهذيب الكمال ٩/ ٢٦، الشوكاني: نيل الأوطار ٦/ ٢٠، العظيم آبادي: عون المعبود ٩/ ٢١١.

(2) الشوكاني: نيل الأوطار ٦/ ٢٠.

(3) ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٩٠، الخزرجي اليمني: خلاصة تهذيب الكمال ص١١٣.

(4) مستدركات علم رجال الحديث ٣/ ٣٨١.

(5) ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٦٤، تقريب التهذيب ١/ ٢٩٠.

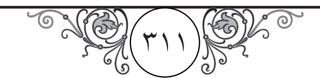
(6) أسد الغابة ٢/ ١٦٠ـ ١٦١.

(7) سبل الهدى والرشاد ٤/ ٨٨.

(8) ابن الأثير: أسد الغابة ٢/ ١٦٠، وتنظر ترجمته: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٥٧، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣/ ٤٧٩، ابن حبان: الثقات ٣/ ١٢١، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٤٧٩ ٤٨٠،.

(9) الضحاك: الأحاد والمثاني ٢/ ٢٣١، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص٣١.

(10) الطوسي: الرجال ص٣٩، ٦٣، التفرشي: نقد الرجال ٢/ ٢٣١.



للجهاد، فرده النبي (صلى الله عليه وآله) لصغره، وأجازه يوم أحد، فشهد أحد والخندق وغيرهما، وأصابه يوم أحد سهم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا أشهد لك يوم القيمة[1]، وقيل أنه شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام)[2]، وقيل كان من شهود أمير المؤمنين (عليه السلام) على كتاب التحكيم بعد صفين[3]،

قدم أصفهان أيام عمر بن الخطاب، فكان من محدثيها[4]، وساند عثمان لما حوصر في أيامه الأخيرة، فتسلح مع ولديه وعبيده للوصول إلى عثمان[5]، وكان عريف قومه في المدينة[6]، مجالسا لمروان بن الحكم[7]، وكان ممن يفتي في المدينة أيام معاوية وما بعده[8]، توفي أيام معاوية[9]، وقيل أيام عمر بن عبد العزيز[10] واختلف في سنة وفاته مابين ٦٨هـ[11]،

---

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٤٧٩ ٤٨٠، ابن الاثير: أسد الغابة ٢/ ١٦٠.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٤٨٠، ابن الاثير: أسد الغابة ٢/ ١٦١.

(٣) النمازي: مستدركات علم رجال الحديث ٣/ ٣٨١.

(٤) أبن حبان الأصبهاني: طبقات المحدثين بأصبهان ١/ ٢٥١.

(٥) أبن حبان الأصبهاني: طبقات المحدثين ١/ ٢٥١.

(٦) ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٦٢ ٣٦٣.

(٧) ابن حنبل: مسند ٣/ ٢٢.

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٨١ ١٨٣.

(٩) ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٦٣.

(١٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٥٧.

(١١) الضحاك: الآحاد والمثاني ٤/ ١٢١.



٧٣هـ، ٧٤هـ[١]، ١٠٠هـ[٢].

وثمة ملاحظة جديرة بالإشارة إليها أن من ضمن الرواة عن رافع بن خديج كان (محمود بن لبيد)، وهو الذي مر بنا في رواية الحادثة الأولى لاحتجاج السيدة فاطمة عليها السلام. فهل ثمة علاقة بين الحادثتين باعتبار هذين الحادثتين منفصلتين بكل تفاصيلها، وان نقل احدهما عن الأخر لا ربط له بهذه المسألة. مع ملاحظة ان كلاهما كانت صحبته للنبي صلى الله عليه وآله محل خلاف أو أنهما من رواة المراسيل.

المحور الثالث: رواية السيدة فاطمة (عليها السلام) لحديث الغدير

كانت السيدة فاطمة عليها السلام راوية لحديث الولاية (الغدير). وقد ورد ذلك بطريقين:

الأول: عن السلسلة الذهبية لأئمة أهل البيت عليهم السلام: جاء ذلك عند الصدوق وابن عساكر باختلاف بسيط.

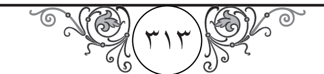
١- الشيخ الصدوق[٣]: ((حدثنا محمد بن عمر الحافظ، قال: حدثنا الحسن بن عبد الله التميمي قال: حدثني أبي قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر

---

(١) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص٣١، ابن الاثير: أسد الغابة ٢/ ١٦٠.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة ١/ ٣٣٩.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ٦٩، عطاردي: مسند الإمام الرضا عليه السلام ١/ ١٣٣.



بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن أبيه الحسين، فاطمة بنت رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم)، إن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعلي عليه السلام: من كنت وليه فعلي وليه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه)).

٢- ابن عساكر[١]: ((أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر، أنا أبو سعد الجنزرودي، أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين، نا محمد بن عبد الله بن عمر المقرئ الحافظ، نا الحسن بن عبد الله بن العباس التميمي، حدثني أبي، حدثني علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جده جعفر، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين بن علي، عن أمه[٢] فاطمة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) لعلي من كنت وليه فعلي وليه)).

الثاني: سند الفاطميات

ومن النصوص الدالة على رواية السيدة فاطمة عليها السلام لحديث الغدير ما أخرجه ابن الجزري في كتابه ((مناقب الأسد الغالب ممزق الكتائب ليث بن غالب أبي الحسن علي بن أبي طالب المعروف بأسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام))[٣]، قال:

(وألطف طريق وقع بهذا الحديث وأغربه، ما حدثنا به شيخنا خاتمة

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢/ ١٨٧.

(٢) لعل هناك سقط، فلعله عن أبيه الحسين عليه السلام عن أمه فاطمة عليها السلام.

(٣) ص٤٠ ٤١.

الحفـاظ أبـو بكـر محمـد بـن عبـد الله بـن المحـب المقـدسي مشـافهة. قـال: أخبرتنـا الشـيخة أم محمـد زينـب بنـت أحمـد بـن عبـد الرحيـم المقدسـية، عـن أبي المظفـر محمـد بـن فتيـان بـن المسـيني. قـال: أخبرنـا أبـو موسـى محمـد بن أبي بكـر الحافـظ. أخبرنـا ابـن عمّـة والـدي القـاضي أبـو القاسـم عبـد الواحـد بـن محمـد بـن عبـد الواحـد المـدني بقـراءتي عليـه، أخبرنـا ظفـر بـن داعـي العلـوي بأسـترآباد، أخبرنـا والـدي وأبـو أحمـد بـن مطـرف المطـرفي. قـالا: حدثنـا أبـو سـعيد الإدريـسي إجـازة فيـما أخرجـه في تاريـخ أسـترآباد، حدثنـي محمـد بـن محمـد بـن الحسـن أبـو العبـاس الرشـيدي مـن ولـد هـارون الرشـيد بسـمرقند ومـا كتبنـاه إلاّ عنـه، حدثنـا أبـو الحسـن محمـد بـن جعفـر الحلـواني، حدثنـا عـلي بـن محمـد بـن جعفـر الأهـوازي مـولى الرشـيد، حدثنـا بكـر بـن أحمـد القـصري، حدثتنـا فاطمـة بنـت عـلي بـن موسـى الرضـا، حدثتنـي فاطمـة وزينـب وأم كلثـوم بنـات موسـى بـن جعفـر. قلـن: حدثتنـا فاطمـة بنـت جعفـر بـن محمـد الصـادق، حدثتنـي فاطمـة بـن محمـد بـن عـلي، حدثتنـي فاطمـة بنـت عـلي بـن الحسـين، حدثتنـي فاطمـة وسـكينة ابنتـا الحسـين بـن عـلي، عـن أم كلثـوم بنـت فاطمـة بنـت النبـي (صـلى الله عليـه [وآلـه] وسـلم) عـن فاطمـة الزهـراء بنـت الرسـول (صـلى الله عليـه [وآلـه] وسـلم) ورضي عنهـا.

قالـت: أنسـيتم قـول رسـول الله (صـلى الله عليـه [وآلـه] وسـلم) يـوم غديـر خـم: ((مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه))، وقولـه (صـلى الله عليـه وآلـه): ((أنـت منـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى)).

قال ابن الجرزي[1]: (هكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء، وقال: وهذا الحديث مسلسل من وجه آخر، وهو أن كل واحدة من الفواطم تروي عن عمّة لها، فهو رواية خمس بنات أخ كل واحدة منهن عن عمّتها).

وتجدر الإشارة إلى أن روايتها لحديث المنزلة[2] يحتمل أن يكون ضمن روايتها واحتجاجها بحديث الغدير لأن النبي محمد صلى الله عليه وآله كان قد صرح بهذا الحديث أيضا في يوم الغدير.[3]

والملاحظ أن العلامة الأميني في كتابه الغدير[4] وهو في معرض توثيقه لرواية السيدة فاطمة عليها السلام لحديث الغدير، أشار إلى حديث الولاية بروايتها عليها السلام في كتاب ابن عقدة. وعند مراجعة النص عند ابن عقدة وجدنا التالي:

((ابن عقدة، من طريق عروة بن خارجة، عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها. قالت: سمعت أبي (صلى الله عليه وآله) في مرضه الذي قبض فيه

---

(١) ص٤١.

(٢) هو قول النبي محمد صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) ينظر: البخاري: صحيح البخاري ٤/ ٢٠٨، مسلم: صحيح مسلم ٧/ ١٢٠، ابن ماجه: سنن ابن ماجه ١/ ٤٣، الترمذي: سنن الترمذي ٥/ ٣٠٢، الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٣٧.

(٣) الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام ١/ ٨٢.

(٤) ١/ ١٣٩.

يقـول، وقـد امتـلأت الحجـرة مـن أصحابـه: «أيهـا النـاس يوشـك أن أقبـض قبضـا سريعـا وقـد قدمـت إليكـم القـول معـذرة إليكـم، ألا وإني مخلـف فيكـم كتـاب ربي عـز وجـل وعـترتي أهـل بيتـي»، ثـم أخـذ بيـد عـلي فقـال: «هـذا عـلي مـع القـرآن والقـرآن مـع عـلي، لا يفترقـان حتـى يـردا عـلي الحـوض، فأسـألكم مـا تخلفـوني فيهـما».[1]

وكـما هـو واضـح أن الحادثـة في مـرض النبـي صـلى الله عليـه وآلـه أي بعـد حادثـة الغديـر.

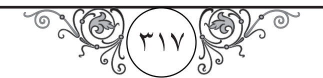
وثمة سؤال قد يطرح:

لمـاذا لم تحتـج الصديقـة فاطمـة عليهـا السـلام بحديـث الغديـر في خطبتهـا التـي ألقتهـا عـلى المهاجريـن والأنصـار؟

للسيد العاملي إجابة شافية عن هذا السؤال نكتفي بها:

أولاً: أن جمهـور علـماء السـنة - إلا مـن شـذ - لا ينكـرون صـدور هـذا الحديـث. فـإذا كان الحديـث ثابتـاً ومعلومـاً لـدى كل أحـد، وكان النبـي صـلى الله عليـه وآلـه قـد أورده أمـام عـشرات الألـوف مـن النـاس، كـما ذكـرت الروايـات، فـلا تبقـى حاجـة إلى الإحتجـاج بـه؟! فـإن مـن يعـرف حرمـة الكـذب، ويقـرأ الآيـات في ذلـك، ويسـمع تأكيـدات الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه، عـلى حرمتـه. ومـن يعـرف حرمـة السرقـة، ويقـرأ آيـات تحريمهـا صبـاح مسـاء. ومـن يعـرف وجـوب الصـلاة، ويقـرأ ويسـمع آيـات القـرآن، وكلـمات

(١) ابن عقدة: الولاية ص٢٤٢، القندوزي: ينابيع المودة ١/ ١٢٤.



الرسول صلى الله عليه وآله في الحث عليها، والدعوة إليها. فإنه حين يمارس الكذب، ويقدم على السرقة، وعلى ترك الصلاة جهاراً نهاراً، فسيكون الاحتجاج عليه بالآيات والروايات عبثاً، وبلا فائدة أو عائدة. وهكذا الحال بالنسبة لحديث الغدير، فإن من يأتي بالآلاف من حملة السلاح من بني أسلم، ويستقوي بهم، ويهاجم بيت فاطمة «عليها السلام»، ويضربها ويسقط جنينها، ويأخذ علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» بالقوة للبيعة. ومن يقول: إن النبي ليهجر - وهو على فراش المرض - ليمنعه من كتابة كتاب لا تضل الأمة بعده.. وهو يفعل ذلك كله - قبل أن ينبس علي «عليه السلام» ولا غيره ببنت شفة حول الخلافة. مع أنه قد حضر قبل سبعين يوماً فقط يوم الغدير، وسمع أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله، وبايع علياً «عليه السلام»، في ذلك اليوم وهنأه بالولاية. إن من يفعل ذلك، فإن الاحتجاج لا ينفع معه لأنه يكون ظاهر الجحود في نفسه. ولن يزيد ذلك الناس معرفة بالحق، لأن الناس كلهم لم ينسوا يوم الغدير وسواه من المواقف الحاسمة، كما لا ينسون صلاتهم وصيامهم.[1]

ثانياً: لو سلمنا جدلاً أن التاريخ لم ينقل لنا شيئاً من احتجاجات الصديقة فاطمة عليها السلام، فهو لا يدل على عدم حصوله منها عليها السلام، لا سيما مع الحرص الظاهر على محاربة علي، وطمس كل شيء يؤيد حقه عليه السلام بالأمر، والتخلص من كل ما يدين خصومه فيما أقدموا عليه. وعدم نقل أهل السنة ذلك، يعد أمراً طبيعياً، لأن نقلهم له

(١) العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٣٢/ ٦٧ ٦٨.

إنـما يعنـي تسـجيل إدانـة لأنـاس يريـدون تبرئتهـم مـن كل شيء، بـل يريـدون ادّعـاء العصمـة لهـم، وإظهـار أهليتهـم للإمامـة، والخلافـة والزعامـة. كـما أنـه سـوف يحـدث خلـلاً اعتقاديـاً لـو أراد النـاس الالتـزام بلوازمـه.(١)

ثالثـاً: إنـه ليـس ثمـة مـا يـدل عـلى انحصـار الحجيـة بـما نقلـه محدثـو ومؤرخـو وعلـماء أهـل السـنة، بحيـث يبطـل ذلـك أقـوال ونقـولات غيرهـم. ومـن يدّعـي هـذا الانحصـار يحتـاج إلى دليـل. بـل ربـما يكـون دليـل مخالفيهـم هـو الأقـوى. لأن هـذا التوثيـق، وذاك الرفـض يتوقـف عـلى حسـم الأمـر في مسـألة الإمامـة وفقـاً للأدلـة الشرعيـة المتوفـرة، فـلا معنـى لفـرض اتجـاه معين في الأخـذ بمصـادر ومراجـع بعينهـا، قبـل حسـم الأمـر في تلـك المسـألة، لأن هنـاك مـن يقـول: إن الأدلـة القاطعـة تـدل عـلى أن قضايـا الديـن لا بـد أن تؤخـذ مـن القـرآن، ومـن خصـوص عـترة الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه المعصومـين، والمنصـوص عليهـم، فمـن خالفهـم في شيء، فإنـه يـردّ عليـه.(٢)

رابعـاً: إننـا نجـد في مصـادر أهـل السـنة والشـيعة العديـد مـن المـوارد التـي أشـير فيهـا إلى أن الصديقـة فاطمـة عليهـا السـلام قـد احتجـت بحديـث الغديـر.(٣) وكـما مـر بنـا.

وختامـا يمكـن القـول بـما أن السـيدة فاطمـة عليهـا السـلام شـهدت حجـة الـوداع مـع النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وزوجهـا أمـير المؤمنـين عليـه السـلام،

(١) العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٣٢/ ٦٨ ٦٩.
(٢) العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٣٢/ ٦٩.
(٣) العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ٣٢/ ٦٩.





لـذا فقـد شـهدت يـوم غديـر خـم وسـمعت النبـي صـلى الله عليـه وآلـه يبلـغ المسـلمين بالأمـر الإلهـي بتنصيـب الإمـام عـلي عليـه السـلام في مقـام الإمامـة وخلفـا للنبـي صـلى الله عليـه وآلـه، لـذا نجدهـا حينـما رأت الإنحـراف في الأمة أبـدت احتجاجـا شـديدا، وكذلـك كانـت راويـة لحديـث الغديـر الـذي وصلنا عنهـا بطريـق السلسـلة الذهبيـة (أئمـة أهـل البيـت عليهـم السـلام)، وبطريـق سـنده الفاطميـات مـن بنـات الأئمـة عليهـم السـلام.

مصادر الدراسة

القرآن الكريم

أولا: المصادر الأولية

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠ هـ.

١ـ أسـد الغابـة في معرفـة الصحابـة، تـح: خليـل مأمـون، ط٢، دار المعرفـة، بـيروت، ٢٠٠١م.

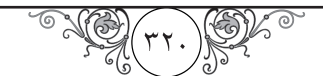
الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت ٦٩٣هـ.

٢ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥م.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦ هـ).

٣ـ التاريـخ الكبـير، بــ. محـق، ب. ط، المكتبـة الإسـلامية، ديـار بكـر، ب. ت.

٤ـ الصحيح، مط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١.



ابن البطريق: شمس الدين يحيى بن الحسن (٥٣٣-٦٠٠).

٥ـ عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، تح: جماعة المدرسين، ط١، مط: جماعة المدرسين، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.

البياضي: زين الدين العاملي ت ٨٧٧هـ.

٦ـ الصراط المستقيم: تح: محمد البهبودي، ط١، المكتبة المرتضوية، ١٣٨٤هـ.

البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ.

٧ـ السنن الكبرى، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

٨ـ فضائل الاوقات، تح: عدنان عبد الرحمن، ط١، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٠٩-٢٧٩هـ).

٩ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

التفرشي: مصطفى بن الحسين الحسيني (ق ١١هـ).

١٠ـ نقد الرجال، تح:مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، مط ستارة قم، ١٤١٨هـ.

ابن جبر: زين الدين علي بن يوسف (ق ٧هـ).



١١ـ نهج الإيمان، تح: احمد الحسيني، ط١، مط: ستارة، قم، ١٤١٨هـ.

ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن الرازي ت ٣٢٧هـ.

١٢ـ كتاب الجرح والتعديل، ط١، مط: دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٣٢١-٤٠٥هـ).

١٣ـ المستدرك على الصحيحين، تح: د. يوسف المرعشلي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

ابن حبان: أبي حاتم محمد ت٣٥٤.

١٤ـ الثقات، ط١، مط دائرة المعارف العثمانية، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٧٣م.

١٥ـ صحيح ابن حبان، تح: شعيب الارناؤوط، ط٢، بيروت، ١٩٩٣.

١٦ـ مشاهير علماء الأمصار، تح: مرزوق علي، ط١، دار الوفاء، ب. مكا، ١٩٩١م.

ابن حبان: أبو محمد عبد الله بن محمد ت٣٦٩هـ.

١٧ـ طبقات المحدثين باصبهان، تح: عبد الغفور عبد الحق، ط٢، بيروت، ١٤١٢.

ابن حجر: أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (٧٧٣-٨٥٢هـ).

١٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ب. ط، دار الفكر، ب. مكا، ب. ت.

١٩ـ تقريب التهذيب، ط١، دار الفكر، ب. مكا، ١٩٨٤م.

٢٠ـ تهذيب التهذيب، تح: مصطفى عبد القادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن حزم: أبو محمد بن احمد ت٤٥٦.

٢١ـ المحلى، تح: احمد محمد شاكر، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

ابن حنبل: أبو عبد الله احمد بن محمد (١٦٤-٢٤١هـ).

٢٢ـ المسند، ب. محق، دار صادر، بيروت، ب. ت.

الخزاز: أبو القاسم علي بن محمد بن علي القمي ت (ق ٤هـ).

٢٣ـ كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تح: عبد اللطيف الحسيني، ب. ط، مط الخيام، الناشر: بيدار، قم، ١٤٠١هـ.

الخزرجي: صفي الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري اليميني. ت٩٢٣ هـ

٢٤ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، قدّم له واعتنى بنشره عبد الفتّاح أبو غدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط ٣، بيروت، ١٣٩٩هـ.

الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ).

٢٥ـ مقتل الحسين عليه السلام، تح: محمد السماوي، ط٢، مط مهر، الناشر: أنوار الهدى، ١٤٢٣هـ.

الدارمي: أبو محمد عبد الله بن بهرام (ت٢٥٥).





٢٦ـ السنن، ب. محق، ب. ط، الناشر: مطبعة الاعتدال، دمشق، ب. ت.

أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ).

٢٧ـ سنن أبي داود، تح: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن الدمشقي: شمس الدين أبي البركات محمد بن احمد (ت ٨٧١هـ).

٢٨ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد باقر المحمودي، ط١، مط: دانتش، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٥هـ.

الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٢٩ـ سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الارنؤوط - حسين الأسد، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

الزمخشري: جار الله محمود بن عمر ت٥٢٨.

٣٠ـ الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

الزيلعي: جمال الدين ت ٧٦٢هـ.

٣١ـ نصب الراية لأحاديث الهداية، تح: أيمن صالح شعبان، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥هـ.

السخاوي: شمس الدين ت٩٠٢هـ.



٣٢ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٩٣هـ.

ابن سعد: محمد ت ٢٣٠هـ.

٣٣ـ الطبقات الكبرى، ب. ط، دار صادر، بيروت، ب. مكا.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ.

٣٤ـ نيل الاوطار، ب. ط، ب. مط، الناشر: دار الجليل، بيروت، ب. ت.

الصالحي الشامي: محمد بن يوسف ت ٩٤٢ هـ.

٣٥ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تح: عادل احمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ.

٣٦ـ الامالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧.

٣٧ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام، ط١، مط شريعت، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٥هـ.

الصنعاني: محمد بن إسماعيل الكحلاني ت١١٨٢هـ.

٣٨ـ سبل السلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني)، جمعه وعلق عليه: محمد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة،





مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٠.

الضحاك: ابن أبي عاصم: ت٢٨٧ هـ.

٣٩ـ الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل احمد، ط١، دار الدراية، الرياض، ١٩٩١م.

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن احمد (٢٦٠-٣٦٠هـ).

٤٠ـ كتاب الدعاء، تح: مصطفى عبد القادر، ط١، بيروت، ١٤١٣هـ.

٤١ـ المعجم الأوسط، تح: إبراهيم الحسيني، ب. ط، دار الحرمين، ب. مكا، ب. ت.

٤٢ـ المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ب. ت.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ.

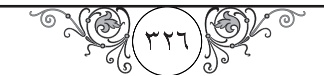
٤٣ـ تاريخ الرسل والملوك، راجعه: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

الطبري الصغير: أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم (ق ٥هـ).

٤٤ـ دلائل الزهراء، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٥هـ.

٤٥ـ دلائل الإمامة، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، ١٤١٣هـ.

الطريحي: فخر الدين ت١٠٨٥ هـ.



٤٦ـ مجمع البحرين، تح: احمد الحسيني، ط٢، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ).

٤٧ـ رجال الطوسي، تح: محمد صادق آل بحر العلوم، ط١، مط: الحيدرية، النجف، ١٩٦١.

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ت٤٦٣.

٤٨ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة، ب. ط، دار الفكر، ب. ت.

العجلي: الحافظ احمد بن عبد الله ت ٢٦١هـ.

٤٩ـ معرفة الثقات، ط١، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.

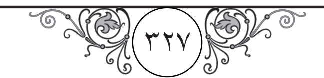
ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (٤٩٩-٥٧١هـ).

٥٠ـ تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن عقدة: أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي ت٣٣٢هـ.

٥١ـ الولاية، جمع وتحقيق: عبد الرزاق حرز الدين، ب. مكا، ب. ت.

عماد الدين الطبري: أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد ٥٥٣هـ.



٥٢ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تح: جواد القيومي، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٢هـ.

الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد (١٠٠-١٧٥هـ).

٥٣ـ كتاب العين، تح: د. مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، ط٢، مط: الصدر، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.

الفيض الكاشاني: المحسن ت ١٠٩١هـ.

٥٤ـ الوافي، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني، ط١، مكتبة أمير المؤمنين العامة، أصفهان، ١٤٠٦هـ.

الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ ت٧٧٠هـ.

٥٥ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بلا محقق، ب. ط، دار الفكر، ب. ت.

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م.

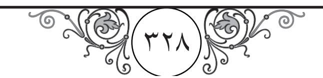
٥٦ـ الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

القندوزي: سليمان بن ابراهيم الحنفي ت ١٢٩٤هـ.

٥٧ـ ينابيع المودة، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٧هـ.

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي ت ٧٦٤هـ.

٥٨ـ البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.



الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ت ٣٢٨ / ٣٢٩هـ.

٥٩ـ الأصول من الكافي، صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، ط٣، مط: الحيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.

ابن ماجة: محمد بن يزيد القز ويني (٢٧٠هـ - ٢٧٥هـ).

٦٠ـ سنن بن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

المجلسي: محمد باقر ت (١١١١هـ).

٦١ـ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ط٢، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ هـ.

محب الدين الطبري: أبو جعفر احمد بن عبد الله ت ٦٩٤هـ.

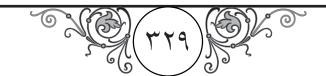
٦٢ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الناشر: مكتبة القدسي، ١٣٥٦هـ.

المزي: ابو الحجاج يوسف ت ٧٤٢ هـ

٦٣ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

مسلم بن الحجاج النيسأبوري ت ٢٦١هـ.

٦٤ـ الجامع الصحيح، ب. تح، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ب. ت.



الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ.

٦٥ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ب. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

اليعقوبي: احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ت بعد ٢٩٢هـ.

٦٦ـ التاريخ، علق عليه: خليل المنصور، ط١، مط: مهر، الناشر: دار الاعتصام، ١٤٢٥هـ.

ثانيا: المصادر الثانوية

الاميني: عبد الحسين بن احمد النجفي ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٦٧ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م.

الشهرستاني: علي.

٦٨ـ وضوء النبي صلى الله عليه وآله، ط١، مط: ستارة، قم، ١٤١٥هـ.

العاملي: جعفر مرتضى.

٦٩ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ب. ط، دار السيرة، بيروت، ب. ت.

عطاردي: الشيخ عزيز الله.

٧٠ـ مسند الإمام الرضا (ع)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)، مطبعة

أستان قدس الرضوي، ١٤٠٦هـ.

العظيم آبادي: محمد شمس الحق ت ١٣٢٩هـ.

٧١ـ عون المعبود، ط٢، بيروت، ١٩٩٥.

العواد: انتصار عدنان.

٧٢ـ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ط١، دار البديل، بيروت، ٢٠٠٩م.

المقرم: عبد الرزاق الموسوي ت١٩٧١م.

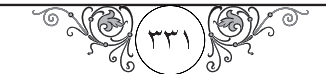
٧٣ـ وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام، ط١، قم، ١٤١٣هـ.

النصرالله: جواد كاظم، والعواد: انتصار عدنان.

٧٤ـ مقام السيدة فاطمة في السنة النبوية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد ٢٠، ٢٠١٣، ص٧٧ ٢٠٦.

النمازي: علي الشاهرودي ت ١٤٠٥هـ.

٧٥ـ مستدركات علم رجال الحديث، ط١، مطبعة شفق، طهران، ١٤١٢هـ.







دور المرأة الإسلامية بيوم البيعة

أ. م. د. لمياء حسين مولة

نبذة التاريخية ليوم الغدير

يوم الغدير هو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة النبوية المباركة.

و هو اليوم الذي نَصَّبَ الرسول المصطفى محمد صلى الله عليه و آله بأمر من الله عزَّ و جلَّ علي بن أبي طالب عليه السلام خليفةً و وصياً و إماماً و ولياً من بعده. سمَّى العيد عند الشيعة (بعيد الغدير) نسبة إلى المكان الذي وقعت عنده الخطبة، وهو غدير خم القريب من الجحفة تحت شجرة هناك[١] .

كما يُسمَّى أيضًا بعيد الولاية كونه اليوم الذي ولّى فيه الرسول محمد علي بن أبي طالب وليًّا للمسلمين.

والغدير هو حسب معجم اللغة العربية المعاصر «مياه راكدة، قليلة العمق، يغادرها السَّيلُ». كما يُسمَّى أيضًا عند الشيعة بعيد الولاية كونه اليوم الذي ولّى فيه الرسول محمد علي بن أبي طالب وليًّا للمسلمين كما يعتقدون. وليوم الغدير أيضا أسماء آخرى عندهم، فاسمه في السماء يوم

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، ص٢٥١-٢٥٢



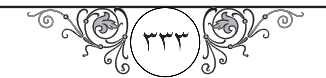
العهد المعهود، وفي الأرض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود.

يصنِّف البيروني في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية المكتوب عام ٣٩٠ هـ هذا اليوم ضُمن أحداث ذي الحجة، ويذكره باسم غدير خم. وقبل ذلك كله روى الفياض بن محمد بن عمر الطوسي عن الإمام الرضا المتوفى سنة ٢٠٣ هـ، أنه كان يحتفل بذلك اليوم، حيث قال: «حضرتُ مجلسَ مولانَا عليِّ بن موسى الرِّضا في يوم الغدير وبِحضرته جماعةٌ من خواصِّه قد احتبسهُمْ عندهُ للإِفطار معهُ قد قدَّم إِلى منازلهمْ الطَّعام والْبُرَّ وأَلبسهمُ الصِّلاةَ والكسْوَةَ حتَّى الخواتيمَ والنِّعال.»[1].

وكان الفاطميون في مصر قد اضفوا على عيد الغدير صفة الرسمية، وهكذا الأمر في إيران حيث يتحفل بذلك اليوم منذ تسلم الشاه إسماعيل الصفوي السلطة عام ٩٠٧ هجرية وحتى يومنا هذا بصورة رسمية. أمّا النجف الاشرف فقد اعتاد أهلها إقامة حفل بهيج في الصحن العلوي يوم الثامن عشر من ذي الحجة يحضروه علماء الشيعة ووجهاؤهم بالإضافة إلى سفراء الدول الإسلامية في العراق، وتلقى في ذلك الحفل الكثير من القصائد والخطب. وهكذا الأمر بالنسبة إلى الشيعة الزيدية في اليمن حيث تحيي هي الأخرى ذلك اليوم بكل إجلال وبهاء. فمنذ القرون الماضية

---

(١) وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة): ١٤ / ٣٨٨، للشيخ محمد بن الحسن بن علي الحُر العاملي، المولود سنة: ١٠٣٣ هجرية بجبل عامل لبنان، و المتوفى سنة: ١١٠٤ بمشهد الإمام الرضا و المدفون بها، طبعة: مؤسسة آل البيت، سنة: ١٤٠٩ هجرية، قم / إيران.



والى هـذا اليـوم اصبـح الاحتفـال بعيـد الغديـر شـعاراً للشـيعة [١].

ثـم إنهـم ازدحمـوا عـلى النبـي وأميرالمؤمنـين (عليهـما السـلام) وتسـابقوا لإعطـاء البيعـة لعـلي بـن أبي طالـب (عليـه السـلام)، وهنـا قـال النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه): «الحمـد لله الـذى فضلنـا عـلى جميـع العالمـين».

ومـن الواضـح أن النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) لم يفـرح في كل انتصاراتـه وفتوحاتـه كـما فـرح في يـوم الغديـر، حيـث أمـر المسـلمين بتهنئـة عـلي (عليـه السـلام) لمقـام الإمامـة وقـال: «ان الله خصَّنـى بالنبـوة وأهـل بيتـى بالامامـة».

المعجزة الإلهية فى الغدير

وفي الغديـر أجـرى الله معجـزة عـلى يـد رسـوله الكريـم لتكـون إمضـاء إلهيـاً لولايـة عـلي بـن أبي طالـب (عليـه السـلام). ففـي اليـوم الثالـث مـن الغديـر جـاء رجـل اسـمه الحـارث الفهـري مـع اثنـى عـشر رجـلا مـن أصحابـه إلى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآله)وقـال: يـا محمـد، أمرتنا عـن الله أن نشـهد أن لا إلـه إلا الله وأنـك رسـول الله فقبلنـاه، وأمرتنـا أن نصـلي خمسـاً فقبلنـاه، وأمرتنـا بالحـج فقبلنـاه، ثـم لم تـرض بذلـك حتـى رفعـت بضبـع ابـن عمـك ففضَّلتـه علينـا وقلـت: «مـن كنـت مـولاه فعـلى مـولاه». أهـذا شي مـن عنـدك أم مـن الله؟ فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه): والله الـذي لا إلـه إلا هـو، إن هـذا مـن الله.

فـولَّى الحـارث يريـد راحلتـه وهـو يقـول: «اللهـم ان كان مـا يقـول محمـد حقـاً فأمطـر علينـا حجـارة مـن السـماء أو ائتنـا بعـذاب أليـم». فـما وصـل إليهـا

(١) عيد الغدير في عهد الفاطميين. محمد هادي الاميني. مكتبة الروضة الحيدرية

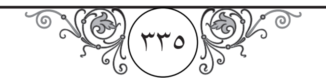
حتى رماه الله بحجر: فسقط على هامته وخرج من دبره فقتله: وأنزل الله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع). (٢) فالتفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أصحابه وقال: رأيتم؟ قالوا: نعم. قال: وسمعتم؟ قالوا: نعم. قال: طوبى لمن تولاه والويل لمن عاداه. كأني أنظر إلى علي وشيعته يوم القيامة يزفُّون على نوق من رياض الجنة، شباب متوَّجون مكحَّلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قد أُيِّدوا برضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم. حتى سكنوا حظيرة القدس من جوار رب العالمين، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذُّ الأعين وهم فيها خالدون. ويقول لهم الملائكة: (سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار). [١]

إن ما جرى في الغدير من بيان للناس يعتبر أكبر خطاب إلهي في الإسلام، وهو إبلاغ أمر ولاية أهل البيت (عليهم السلام). وفي موارد كثيرة نلاحظ أن الله تعالى ومن أجل إتمام الحجة على الناس يظهر المعجزات على يد النبي (صلى الله عليه وآله) لكي تطمئن القلوب أكثر.

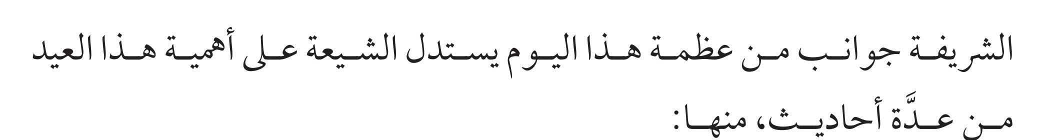
الأحاديث الشريفة ليوم الغدير

و هو ثاني أهم حدث في الإسلام بعد البعثة النبوية المباركة و نزول القرآن الكريم. يحتفل الشيعة بهذا اليوم ويعتبرونه ثالث الأعياد وأعظمها، كما يُعتبر صيام هذا اليوم من أفضل العبادات وهو مستحبٌ وليس حرامًا كعيدي الفطر والأضحى. و هو يوم عظيم ذكرت الأحاديث

(١) كتاب الغدير، ج١، ص١٠- مكتبة مدرسة الفقاهة- نسخة محفوظة ١٣ نوفمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.







الشريفة جوانب من عظمة هذا اليوم يستدل الشيعة على أهمية هذا العيد من عدَّة أحاديث، منها:

فقد رُوي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه و آله: «يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ أَفْضَلُ أَعْيَادِ أُمَّتِي، وَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي اللهُّ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ بِنَصْبِ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَلَماً لِأُمَّتِي يَهْتَدُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي، وَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ اللهُّ فِيهِ الدِّينَ، وَ أَتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيهِ النِّعْمَةَ، وَ رَضِيَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً...»[1].

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن الإمام جعفر الصادق: «قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: نعم يا حسن أعظمهما وأشرفهما، قلت: وأي يوم هو؟ قال: هو يوم نصب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيه علما للناس، قلت: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟ قال: تصومه يا حسن وتكثر الصلاة على محمد وآله وتبرء إلى الله ممن ظلمهم فإن الانبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الاوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيدا، قال: قلت: فما لمن صامه؟ قال: صيام ستين شهرا، ولا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب فإنه هو اليوم الذي

---

(١) تهذيب الأحكام: ٣/ ١٤٣، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المولود بخراسان سنة: ٣٨٥ هجرية، و المتوفى بالنجف الأشرف سنة: ٤٦٠ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية / شمسية، طهران / إيران.



نزلت فيه النبوة على محمد وثوابه مثل ستين شهرا لكم.

عن عن المفضل بن عمر قال: قلت للأمام جعفر الصادق: «كم للمسلمين من عيد؟ فقال: أربعة أعياد. قال: قلت: قد عرفت العيدين والجمعة. فقال لي: أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله أمير المؤمنين ونصبه للناس عَلَما. قال: قلت: ما يجب علينا في ذلك اليوم؟ قال: يجب عليكم صيامه شكرا لله وحمدا له، مع أنه أهل أن يشكر كل ساعة، كذلك أمرت الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الذي يقام فيه الوصي ويتخذونه عيدا[1].

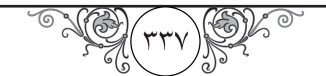
و عن الإمام الرضا عليه السلام: « وَ اللهَّ لَوْ عَرَفَ النَّاسُ فَضْلَ هَذَا الْيَوْمِ بِحَقِيقَتِهِ لَصَافَحَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ مَرَّات».

وروي عن عن البراء بن عازب في حديث عن رسول الله محمد بن عبد الله أنه قال:

كنا مع رسول الله في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكُسح لرسول الله تحت

شجرتين فصلى الظهر واخذ بيد علي فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا:

(١) الأمالي: ١٢٥، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المولود سنة: ٣٠٥ هجرية بقم، و المتوفى سنة: ٣٨١ هجرية، الطبعة السادسة، سنة: ١٤١٨ هجرية، طهران / إيران.



بلى. فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه.

فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئًا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

واستمرت المراسم البيعة ثلاثة أيام حتى شارك جميع المسلمين. وأمر النبي (صلى الله عليه وآله) مناديه أن يمشي بين الناس ويكرر عليهم جوهر بيعة الغدير بهذه العبارة: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله».

دور المرأة بيوم الغدير

للمراة، في الإسلام، حقوق اجتماعية كما للرجل، كما ان لها مكانتها المرموقة واللائقة بشانها في المجتمع، فلا يمنعها مانع من المشاركة في النشاطات والفعاليات الجماعية والاجتماعية، فقد انيطت بها مسؤوليات ومهمات اجتماعية كثيرة على حد سواء مع الرجل، وقد تحدث القرآن الكريم والسنة الشريفة عن هذا النشاط أيضا.

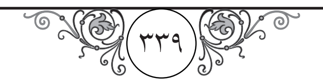
بيد ان التكليف بالجهاد الابتدائي والهجومي مرفوع عنها. اما سائر انواع النضال والكفاح، كالجهاد الدفاعي، او القيام بالكثير من النشاطات المتقدمة او الملازمة او اللاحقة للحرب والجهاد، فلم يرفع قلم التكليف عنها، ورفع التكليف عنها اكرام لها واعزاز لشانها، قال الله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون

عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم). فقد دلت الآية الشريفة على ان المراة كالرجل انيطت بها مهمة كبيرة، الا وهي الولاية الاجتماعية، ولذا فان بامكانها ممارسة مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع الاصعدة: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والحقوقية، وغير ذلك. وبعد التوسع في مفهوم «المعروف» و«المنكر» في الإسلام تتضح لنا ايضا حدود المشاركة الاجتماعية للمراة[1].

وبناء على ما تقدم، فان بامكان المراة مشاطرة الرجل في جميع المجالات، وعلى جميع الاصعدة، الا في موارد معدودة استثنيت من المشاركة فيها رفعا لثقل التكليف عن عاتقها. لكن في مقابل ذلك حلت محلها تكاليف ووظائف اخرى تضاهيها في الاهمية، كالقضايا السياسية والحكومية التي هي على راس القضايا الاجتماعية.

ولذا، نجد ان للمراة في صدر الإسلام مشاركة جادة في القضايا السياسية، وحضورا جادا وفاعلا في ساحة الأحداث، حتى ان النبي قد اخذ البيعة من النساء، وعلى انفراد امتثالا لقوله تعالى: (يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) وعقد معهن ميثاقا طبقا للاسس والمعايير. وبذلك يكون قد عرف لهذه الشريحة

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧. أمالى الشيخ المفيد: ص ٥٧



مـن المجتمـع الإسـلامي مسـؤولياتها ومهماتهـا السياسـية والاجتماعيـة.

فالايـة المباركـة تحدثـت عـن موقـف النسـاء في عهـد النبـي ومبايعتهـن للنظـام الإسـلامي الفتـي، وكان ذلـك في يـوم فتـح مكـة بعـد ان فـرغ النبـي مـن اخـذ البيعـة مـن الرجـال، حيـث توجـه الى اخـذ البيعـة مـن النسـاء لمـا اردن مبايعتـه، فنزلـت الآيـة الشريفـة واكـدت ضرورة مشـاركة النسـاء في الامـور السياسـية، فكانـت البيعـة قائمـة عـلى مـا ذكـر في الآيـة مـن شروط كان يلـزم عـلى النسـاء الالتـزام والوفـاء للنبـي بهـا.

امـا كيفيـة هـذه البيعـة، فقـد ذكـر المؤرخـون انهـا كانـت عـلى مسـتوى المشـافهة بـين النسـاء والنبـي، وقيـل: انـه كان قـد امـر بانـاء مـد يـده الشريفـة فيـه، ثـم امـر النسـاء بمثـل مـا فعـل، فـكان بذلـك قـد تحقـق اعظـم ميثـاق بـين الفـرد والدولـة، وقيـل: ان اخـذ البيعـة مـن النسـاء كان مـن وراء حجـاب (الثيـاب) وقـد روي ان بيعـة النسـاء لامـير المؤمنـين يـوم الغديـر كانـت بمـد اليـد في الانـاء ايضـا[1].

وفي حديـث مماثـل لبيعـة النسـاء للإمـام عـلي (عليـة السـلام)، ثبتنـا الله وإياكـم عـلى ولايـة أمـير المؤمنـين وجعلنـا ممـن يبايـع بقيـة الله في أرضـه في ذلـك اليـوم الموعـود.

أمـر النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) النسـاء بالبيعـة لعـلي (عليـه السـلام) بإمرة المؤمنـين وتهنئتـه، وقـد أكَّـد ذلـك بصـورة خاصـة عـلى زوجاتـه وأمرهـن أن

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٨. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ٣٠٩.

يذهبـن إلى خيمتـه ويبايعنـه!

فأمـر رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه) بإحضـار إنـاء كبـير فيـه مـاء، وأن يـضرب عليه بسـتار بحيـث إن النسـاء كـنَّ يضعـن أيديهـن في الإنـاء خلف السـتار، وأميرالمؤمنـين (عليـه السـلام) يضـع يـده في الإنـاء مـن الجانـب الآخـر، وبهـذه الصـورة تمـت بيعـة النسـاء.

فبايعتـه الصديقـة الطاهـرة فاطمـة الزهـراء (عليهـا السـلام)، وكـذا نسـاء النبـي (صـلى الله عليـه وآله)جميعهـن، وأم هـاني أخـت أميرالمؤمنـين (عليـه السـلام) وفاطمـة بنـت حمـزة عـم النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه)، وأسـماء بنـت عميـس، كـما بايعـه سـائر النسـاء الحـاضرات.

و هكـذا نـرى ان المـرأة منـذ صـدر الرسـاله كان لهـا دور مهـم و فعـال، و ان الإسـلام لم يهمـش دورهـا و اعطاهـا واجبـات و فـرض عليهـا مـا فـرض عـلى الرجـال مـع استثناء بعـض الأحـكام الخاصـة بهـم في قبـال أحـكام و فرائـض خاصـة بالمـرأة ايضـاً.[1]

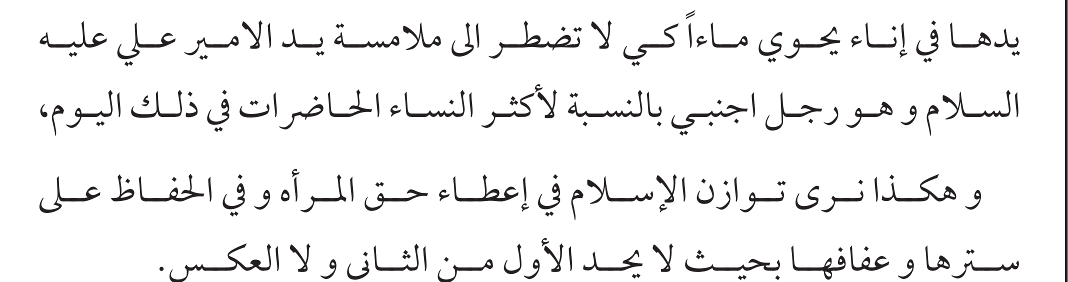
و لـذا فقـد اهتـم الرسـول الأعظـم صلـوات الله عليـه و آلـه بالنسـاء يـوم غديـر خـم المبـارك، و امـر بنصـب خيمـة خاصـةٍ بهـن ليبايعـن بهـا اميرهـن و إمامهـن عـلي عليـه السـلام.... و بنفس الوقـت نـرى حـرص رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه الشـديد في الحفـاظ عـلى حشـمة النسـاء و سـترهن، لـذا أمـر ان يـضرب سـتار بـين النسـاء و بـين أمـير المؤمنـين عليـه السـلام و ان تضـع المـراة

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧. أمالي الشيخ المفيد: ص ٥٧.



يدها في إناء يحوي ماءاً كي لا تضطر الى ملامسة يد الامير علي عليه السلام و هو رجل اجنبي بالنسبة لأكثر النساء الحاضرات في ذلك اليوم،

و هكذا نرى توازن الإسلام في إعطاء حق المرأه و في الحفاظ على سترها و عفافها بحيث لا يحد الأول من الثاني و لا العكس.



كانت للنساء دورا بارزا ليس في البيعة فقط انما المشاركة في النهضة الاجتماعية السياسية الكبرى، الا وهي الهجرة، وكانت هجرتهن بمثابة هجرة الرجال بلا اي فرق، وقد اثنى الوحي على تلك الظاهرة، فوصفها بانها ظاهرة اصيلة، تلك الهجرة كانت في زمان حرمت فيه المراة من اكثر حقوقها ولم يكن لها حق المشاركة وابداء الراي في القضاياالاجتماعية، قال الله تعالى: (يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار...).

والسر في الامتحان المذكور للنساء، في الآية المباركة، انما هو من اجل معرفة ان خروجهن لم يكن لاجل خلاف عائلي او عدم رغبة في ازواجهن، فقد ورد في شان نزول الآية كما في بعض التفاسير: ان الامتحان كان باستحلافهن ان ما خرجن من بغض زوج، ولا رغبة عن ارض في ارض، ولا التماسا الدنيا.

كما ان بامكان المراة المشاركة الفعالة والجادة في النهضات الاجتماعية الاخرى ايضا، واحداث مسار رشيد وصحيح من اجل هداية المجتمع وارشاده، وافضل انموذج على ذلك مشاركة المراة في النهضة الحسينية

يـوم عاشـوراء، ومشـاركتها في قضيـة تحريـم التنبـاك، وفي الثـورة الإسـلامية في العقديـن الاخيريـن، فـان مـا لعبتـه مـن دور ثـوري وحمـاسي آنـذاك لم يكـن ليخفـى عـلى احد[1].

منصبان لا تتصدى لهما: الإمامة والمرجعية

ويمكـن للمـراة ايضـا ممارسـة نشـاطاتها الاجتماعيـة في جميـع المجـالات عـدا التصـدي للمسـؤولية في منصبـين اجتماعيـين خطيريـن:

احدهمـا: الإمامـة التـي لهـا وضعهـا الاسـتثنائي الخـاص، فانـه لا يجـوز لهـا ارتيـاد هـذا المنصـب الخطـير. نعـم بامكانهـا الوصـول الى مقـام العصمـة والولايـة اللذيـن هماجوهرتـا النبـوة والامامـة والعمـدة فيهـما ومـن شـانها بلوغ ذلـك، فـان السـيدة الكـبرى فاطمـة الزهـراء قـد بلغـت هـذا المقـام السـامي، الا ان التكليـف بذلـك قـد رفـع عـن عاتـق المـراة، لمـا في هذيـن المنصبـين الخطيريـن اعنـي النبـوة والامامـة مـن مصاعـب وشـدائد، كالقيـام بالحـروب والقتـال وغـير ذلـك.

الثـاني: التصـدي للمرجعيـة، فـان بعـض العلـماء لم يشـترط الذكـورة فيهـا فيـما لـو توافـرت للمـراة سـائر شرائطهـا العامـة الاخـرى.

عـلى انـه قـد ورد، في الاخبـار، ان المـراة سـتلعب دورا اجتماعيـا مهـما في مسـتقبل الزمـان، وانهـا سـوف تشـارك في الثـورة المهدويـة والنهضـة الكـبرى

---

(١) الغدير: ج ١ ص ٢٩١. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ١٩٩. إثبات الهداة: ج ٢ ص ٢١٩ ح ١٠٢.



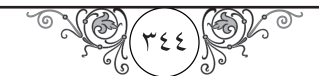


للإمـام القائم(صلـوات الله عليـه)، فتكـون مـن الثلـة التـي يختارهـا الإمـام في نهضتـه. فمـن تلـك الاخبـار مـا ورد عـن الإمـام الباقـر انـه قـال: «... ويجـيء والله ثلاثمئـة وبضعـة عـشر رجـلا، فيهـم خمسـون امـراة... ».

وهـذا الأمـر يحكـي لنـا الـدور الاجتماعـي الخطـير الـذي سـتزاوله المـراة في المسـتقبل، خصوصـا وان النخبـة مـن اصحـاب الحجة في غايـة الفهـم والادراك والمعرفـة والاعتقـاد السـليم بالديـن، فهـم شـخصيات فـذة لا نظـير لهـا. والدخـول في هـذه العصبـة بحاجـة الى وعـي دينـي، ونبـوغ فكـري وعلمـي، ومقـدرة نفسـية عاليـة. قـال الإمـام الصـادق، عندمـا سـاله ابـو بصـير: جعلت فـداك! ليـس عـلى الارض يومئـذ مؤمـن غيرهـم (اي اصحـاب المهـدي)؟، قـال: «بـلى، ولكـن هـذه التـي يخـرج الله فيهـا القائـم، وهـم النجبـاء والقضـاة والحـكام والفقهـاء في الديـن... »(.

وحينئـذ، فـضرورة الانتظـار لعـصر الظهـور الموعـود تقتـضي عـلى الاقـل ان يكـون للمـراة في المجتمـع المنتظـر ثقافـة ووعـي دينـي رشـيد وتفقـه في الشريعـة، وهوبحاجـة ايضـا الى خـبرة في الادارة الاجتماعيـة والامسـاك بزمـام الامـور، وانـه لا بـد للمـراة مـن ان تتصـف بـما يليـق بهـذا المقـام الرفيـع، لكـي يتسـنى لهـا الحضوروالمشـاركة في هـذا الانقـلاب العظيـم والثـورة العالميـة الكـبرى.

كذلـك مطالبـة فاطمـة الزهـراء(ع) بحقهـا وحـق الإمـام عـلي وخطبتهـا الطويلـة في المسـجد في ذلـك، شـاهد عـلى مشروعيـة الـدور السـياسي للمـرأة وعـدم منافاتـه للحجـاب عـلى اكمـل صـوره، وكـم مـن النسـاء المؤمنـات



في تاريـخ الإسـلام اصبحـن سـبباً لعـزل الـولاة كـما في عهـد مولانـا أمـير المؤمنـين..

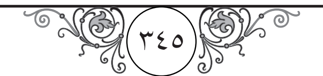
و لم تذهـب بيعـة النسـاء يـوم الغديـر عبثـاً فقـد كان للمـرأة دور مهـم ساهمت بـه في الدفـاع و الـذبِّ عـن صاحـب البيعـه (ع) ولنتأكـد أكثـر فـإن يـوم الغديـر الـذي تعـرض للغـدر مـن قبـل المنافقـين و التخـاذل مـن قبـل المتخاذلـين لم يدافـع عنـه ويذكـر بـه سـوى إمـرأةٍ واحـده و هـي سـيدتنا الزهـراء عليهـا السـلام.

فالمـرأة يمكـن ان تقـوم بأعـمالٍ يعجـز عنهـا الرجـال الأشـداء، لـذا اعتنـى الإسـلام بهـا لأنهـا عامـل مهـم جـداً لنـصرة ديـن الله عـلى مـدى التاريـخ.

ومـن أجـل تأكيـد البيعـة شرعيـاً ورسـمياً أمـر رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) بعـد الانتهـاء مـن البيعـة أن تنصـب خيمتـان: أحدهمـا خاصـة بـه، والأُخـرى لأميرالمؤمنـين (عليـه السـلام) وأمـره بالجلـوس فيهـا، وأمـر النـاس بـأن يهنـؤوه ويبايعـوه. وأقبـل النـاس مجاميـع، كل مجموعـة تدخـل أولا إلى خيمـة الرسـول الأعظـم (صـلى الله عليـه وآلـه) ويبايعونـه ويباركـون لـه هـذا اليـوم، ثـم يذهبـون إلى خيمـة أميرالمؤمنـين (عليـه السـلام) ويهنؤونـه ويبايعونه بخلافـة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) والإمامـة مـن بعـده، ويسـلِّمون عليـه بإمـرة المؤمنـين[1].

---

(١) الغدير.. في الكتاب والسُّنّة والأدب.. الشيخ عبدالحسين أحمد الأمينيّ (ت ١٣٩٠ هـ). دار الكتب الإسلاميّة طهران. الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٨هـ.



مزاولة المراءة في القضاء

ان مزاولة النساء للقضاء، فان للفقهاء في ذلك آراء واقوالا شتى: ففريق منهم لم يجوز لها ذلك، وادعى عليه بعضهم الاجماع، وفريق آخر منهم آهذا الراي مزيج من راي المتقدمين والمعاصرين جوز لها القضاء، فالمقدس الاردبيلي(قدس سره) من متاخري المتاخرين منع القول بانكار القضاء للمراة بشكل مطلق، كما انكر الاجماع المذكور عليه. والدليل الاخر الذي استدل المخالفون به على عدم جواز القضاء للمراة: ما ورد عن ابي خديجة، عن ابي عبد الله الصادق، انه قال: بعثني ابو عبد الله الى اصحابنا، فقال: «قل لهم: اياكم اذا وقعت بينكم خصومة، او تدار في شيء من الاخذ والعطاء، ان تحاكموا الى احد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلا قد عرف حلالنا وحرامنا، فاني قد جعلته عليكم قاضيا، واياكم ان يخاصم بعضكم بعضا الى السلطان الجائر».

فانه ليس من المسلم به عند بعض الفقهاء ارادة خصوص جنس الذكر من الرجل في قوله: «اجعلوا بينكم رجلا»، بل المراد هو فرد من النوع الإنساني يكون قد بلغ هذه المرحلة من النضج الديني، وله اضطلاع ونظر وتشخيص في أحاديث الحلال والحرام والقواعد المستنبطة منها.

ان الكثير من التعابير التي جاء الخطاب فيها موجها الى جنس الذكر انما هي خطابات عامة وموجهة الى نوع الإنسان. والسر في توجيه الخطاب غالبا الى الرجل هو ان للرجال في المجتمع حضورا بينا وملموسا وتواجدا

دائما ومستمرا.

وعليه، فليس الجنس شرطا في هكذا امور، بل الأمر في تلك الخطابات على نحو القضية الخارجية.

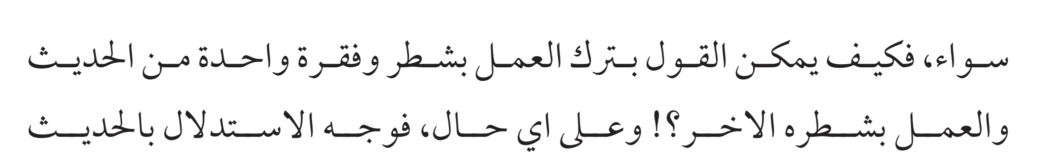
ومن المفهوم العام للحديث الشريف يتضح ان الإمام قد اكد على عدم جواز التعاطي والتحاكم الى حكام الجور، علاوة على انه اكد على محورين آخرين:

١- ان القاضي لا بد من ان يكون من أهل الحق واتباع المذهب العدل.

٢- انه لا بد من ان يكون عالما بما يرتبط بشؤون القضاء.

فالمحور العام، في الحديث المتقدم، هو النهي عن الرجوع الى المحاكم التابعة للطاغوت. وحينئذ، فادلة القضاء تشمل كل انسان مستجمع لشرائط القضاء التي من جملتها: العلم، والتقوى، ودقة النظر، والقدرة على اتخاذ الموقف والقرار بعيدا عن تحكم العاطفة والرقة فيه. هذا، ويرى بعض الفقهاء ان تسلم المراة منصب القضاء لا يحتاج الى دليل او شرط خاص في حالة توافر شرائط القضاء العامة.

ومما استدل به المانعون ايضا حديث آخر، وهو الحديث الذي عقد له الشيخ الحر العاملي في كتابه: «الوسائل» بابا تحت عنوان: «باب ان المراة لا تولى القضاء» والذي لا يندرج تحته الا هذا الحديث، وهو ان النبي قال: «يا علي، ليس على المراة جمعة... ولا تولى القضاء... ». ولم يعمل الفقهاء بالحديث المذكور في صلاة الجمعة بل اوجبوها على الرجل والمراة



سواء، فكيف يمكن القول بترك العمل بشطر وفقرة واحدة من الحديث والعمل بشطره الاخر؟! وعلى اي حال، فوجه الاستدلال بالحديث المذكور غير واضح ايضا.

ومما لا ريب فيه ان ابداء الراي في موضوع كهذا بحاجة الى اعمال ذوق اجتهادي وفقهي رفيع، ولا ينبغي التعامل معه على مستوى الشعار وطبقا للمذاق الشخصي الخاص، هذا وقد قام جماعة من الفقهاء المعاصرين بعمل تحقيقي في هذا المجال، وذكروا ان تولي المراة منصب القضاء لا اشكال فيه. ولكن حتى لو توصلنا بعد التحري الشديد والدراسة الفقهية الدقيقة الى ان المراة لا تولى القضاء، فلا ينبغي عد ذلك منقصة لشانها، بل تلك مسؤولية رفعت عن عاتقها، ذلك ان القضاء من جملة الاعمال الشاقة للغاية، فالمحاكم وما يجري فيها من احداث وما يرتادها من مجرمين وجناة ومدعين ومدعى عليهم وما شاكل ذلك من جانب، ومن جانب آخر الاضطراب الذي يخامر القاضي من اجل ارضاء الله تعالى وارضاء وجدانه وما يبذله من جهد في سبيل معرفة الحق، ومن ثم الحكم بالعدل ومحاسبة الناس، ذلك كله يهز الإنسان من الاعماق، فمع اخذ ذلك كله بنظر الاعتبار يكون ارتياد منصب القضاء امرا صعبا وفي غاية الخطورة، وقد ورد في الروايات من التعابير الرادعة والمحذرة ما يثقل على المتامل فيها ادنى تامل اقتحام هذا الميدان، فقد ورد عن الإمام الصادق انه قال: «القضاة اربعة: ثلاثة في النار وواحد في الجنة: رجل قضى بجور، وهو يعلم، فهو في النار، ورجل قضى بجور وهو لا يعلم فهو في

النـار، ورجـل قـضى بحـق وهـو لايعلـم فهـو في النـار، ورجـل قـضى بالحـق وهـو يعلـم فهـو في الجنـة».

وورد في أحاديـث اخـرى ان القضـاء مـن عمـل الانبيـاء، ففـي حديـث عـن عـلي، وقـد القـى صبيـان الكتـاب الواحهـم بـين يديـه ليخـير بينهـم، فقـال: «انهـا حكومـة، والجـور فيهـا كالجـور في الحكـم... ».

وحينئـذ - وبعـد اخـذ صعوبـة ممارسـة العمـل القضائـي بنظـر الاعتبـار - الا يكـون في رفـع تلـك المهمـة عـن شريحـة خاصـة مـن النـاس نوعـا مـن الخدمـة لهـم؟! وهـل يكـون رفـع التكليـف عنهـم والارفـاق بهـم اسـتنقاصا لهـم ومحـوا لشـخصيتهم؟ كلا، ان في رفـع ثقـل مسـؤولية القضـاء عـن عاتـق المـراة عـلى فـرض اثباتـه نوعـا مـن الخدمـة العظيمـة لهـذه الشريحـة مـن المجتمـع الإنسـاني، ذلـك ان القضـاء كسـائر الاعـمال الصعبـة والشـاقة، مـن قبيـل الجهـاد، خصوصـا بعـد الالتفـات الى ان النسـاء اشـد عاطفـة ورقـة مـن الرجـال، والى ان التأثـر بالعواطـف يشـدد مـن الازمـة في هـذا المجـال.

المكانة الاجتماعية للمراة

وفي مـا يرتبـط بالمكانـة الاجتماعيـة للمـراة يمكـن الإشـارة الى نحويـن مـن انحـاء النشـاط الاجتماعـي:

النشاطات الثقافية والعلمية

لا يخفـى ان الإسـلام رغـب في طلـب العلـم وتحصيـل المعرفـة وافشـاء ذلـك في اوسـاط المجتمـع، كـما شـجع عـلى ضرورة التكامـل العلمـي مـن دون فـرق

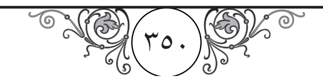




في ذلـك بـين الافـراد والطبقـات، وفي الآيـات الشريفـة دلالـة واضحـة جـدا عـلى ذلـك، كـما ان في الأحاديـث ايضـا تاكيـدا حثيثـا عـلى ضرورة التكامـل المعـرفي والنزعـة العقليـة في المجتمـع، حتـى انـه عـرف الديـن بالعقـل، قـال امـير المؤمنـين: «العقـل شرع مـن داخـل، والـشرع عقـل مـن خـارج». وللنبـي في هـذا المجـال حديـث معـروف ومتواتـر ذكـره أهـل العلـم مـن المذاهـب الإسـلامية جميعهـا واخـذوا بـه. قـال: «طلـب العلـم فريضـة عـلى كل مسـلم ومسـلمة»ولم تـرد لفظـة «مسـلمة» في بعـض النصـوص، فلفظـة «مسـلم» في تلـك النصـوص اسـم جنـس يشـمل الرجـل والمـراة كلفظـة «مؤمـن» و...، وهـذا ممـا لا ريـب فيـه.

ثـم انـه لا يشـترط اذن الـزوج في تعلـم المـراة واكتسـابها للكثـير مـن العلـوم، كتعلـم اصـول الديـن والعقيـدة، وتعلـم الأحـكام الشرعيـة الواجـب عـلى النسـاء تعلمهـا، وهذاالنحـو مـن الامـور التكليفيـة لا اثـر لمنـع الـزوج مـن تعلمـه.

لقـد ازيلـت، بعـد ظهـور الإسـلام، الموانـع والعقبـات عـن طريـق كل مـن اراد التعلـم، خصوصـا هـذه الشريحـة، الأمر الـذي افسـح للمراة مجـال الدخـول في ميادين العلـم والمعرفـة، فلـم يمـض كثـير مـن الوقـت حتـى بلغـت نسـوة مـن المعرفـة بالديـن مـا بلغـن، وحـزن مقامـا رفيعـا في العلـم والمعرفـة، ولنذكـر انموذجـا لذلـك، فقـد روي في حـق احـدى النسـاء المتعلـمات والمنتهـلات مـن تعاليـم هـذا الديـن القويـم ان زوج بريـرة شـكا زوجتـه (بريـرة) الى رسـول الله بانهـا تركـت البيـت وخرجـت، فدعاهارسـول الله وقـال: «ارجعـي الى



زوجـك»، فقالـت: اتامـرني يـا رسـول الله؟ فقـال: «لا، بـل انـا شـافع».
ويسـتفاد مـن هـذه المحـاورة الموجـزة ان هـذه المـراة قـد بلغـت درجـة مـن التكامـل في ادراك المفاهيـم الدينيـة ومعرفـة ضوابـط أحـكام الشريعـة، حتـى انهـا صـارت في صـدد تحليـل كلام النبي وعرضـه عـلى المقاييـس الدقيقـة عندما سـالت: اتامـرني يـا رسـول الله؟ اي هـل ان ذلـك واجـب بلحـاظ كونـك مقننـا ومشرعـا وانـه امـر مولـوي تشريعـي، او انـه مجـرد ارشـاد مـن اجـل اصـلاح ذات البـين؟ فايـد مـا فهمتـه بقولـه: «لا، بـل انـا شـافع».

فـان هـذا الأنمـوذج ونظائـره مـن النـماذج الكثـيرة يكشـف عـن مسـتوى الادراك الرفيـع الـذي بلغتـه بعـض النسـاء في الجاهليـة ممـن لا معرفـة لهـن بـشيء مـن الثقافـة.

ب- دورها في بناء الاسرة

لا تخفـى أهميـة الاسرة عـلى احـد، كـما لا يخفـى الـدور الاسـاس والبنـاء الـذي تلعبـه الاسرة في تربيـة الجيـل وتنشـيئته، ومـا تمنحـه مـن السـكينة والطمانينـة، فـالاسرة هـي النـواة الأولى للمجتمـع، وكلـما كانـت البيئـة التـي يعيـش فيهـا الإنسـان متزلزلـة وحديثـة البنـاء والاسـاس بـرزت أهميـة الاسرة اكثـر.. ». فلـو قـضى افـراد الاسرة اكثـر اوقاتهـم داخـل البيـت فانـه سـوف تسـتحكم العلاقـات العاطفيـة بينهـم ايضـا، وبذلـك سـوف تقـوى شـوكة الاسرة وتـزداد اهميتهـا.

ان للمـراة في البيـت الى جانـب مـا لهـا مـن ادوار اخـرى ظاهـرة وغـير



ظاهـرة دوريـن اساسـيين، نشـير اليهـا:

١- ان المـراة تـؤدي دور اعـادة بنـاء الشـخصية مـن جديـد، ولهـا القـدرة والتاثـير الايجـابي والمفيـد عـلى الرجـل، فالاطمئنـان والسـكينة التـي تعطيهـا المـراة للرجـل لايمكـن اسـتبدالها بـاي شيء ابـدا.

وقـد رفـع القـرآن الكريـم السـتار عـن هـذه الحقيقـة، وذكـر الـدور المشروع الـذي يمكـن للمـراة ان تؤديـه، قـال تعـالى: (ومـن آياتـه ان خلـق لكـم مـن انفسـكم ازواجـا لتسـكنواالیها وجعـل بينكـم مـودة ورحمـة ان في ذلـك لايـات لقـوم يتفكـرون).

٢- الـدور المهـم الاخـر للمـراة هـو مهمـة الامومـة ورسـالتها، وهـذا الـدور ايضـا مـن اهـم الادوار الاساسـية، ومـن قواعـد الاسرة واركانهـا في بنـاء الإنسـان واعـداده، وللرسـالة المذكـورة التـي تحملهـا الام مراحـل طويلـة تكـون فيهـا الام وبحـق المربيـة الحقيقيـة لـلاولاد مـن حـين انعقـاد النطفـة في الرحـم وحتـى مرحلـة دخـول الطفـل الى المدرسـة.

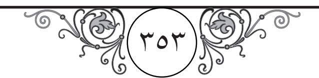
كـما يكـون لـلام في المراحـل اللاحقـة، وحتـى آخـر لحظـات عمرهـا، تاثـير جـدي عـلى سـلوك ابنائهـا، بالرغـم مـن ان تلـك المراحـل هـي مراحـل استقلالهم. ومـن الطبيعـي فـان المرحلـة التي تـترك فيهـا الام تاثـيرا بالغـا هـي مرحلـة الرضاعـة والطفولـة، فـان ابعـاد شـخصية الطفـل جميعهـا تكمـن في هـذه المرحلـة التـي تكـون طويلـة نسـبيا آعـلى يـد الام وفي احضانهـا الدافئـة. وفي هـذه المرحلـة يصـل الطفـل الى مـا ينبغـي ان يصـل إليـه ويسـتغني بـما قـد

اختزنـه مـن الام مـن راس مـال اسـاسي وعطـاء ثـر في هـذه المرحلـة، كـما تكـون الاجـواء التعليميـة ايضـا مبنيـة عـلى الاسـاس الـذي وضعتـه الام، حيـث يـمارس الطفـل نشـاطاته بنـاء عـلى ذلـك. ولـذا نجـد ان الإسـلام قـد اكدكثـيرا عـلى مرحلـة الحمـل، ومـا بعـد الوضـع، والرضاعـة وغيرهـا، وقـد اوصى الامهـات بذلـك، واصـدر بشـانه تعليـمات ترتبـط بفسـلجة البـدن تشـتمل عـلى بيـان كيفيـة الرضـاع والطعـام المناسـب وغـير ذلـك، كـما اصـدر بذلـك تعليـمات نفسـية وتربويـة لا بـد مـن توفيرهـا للابنـاء، وذلـك جميعـه مؤثـر جـدا في الـدور الاسـاسي الـذي تقـوم بـه المـراة في اداء مهمتهـا ورسـالتها الخطـيرة (الامومـة) في تربيتهـا للابنـاء، ذلـك ان اجمـل مـا يمكـن للمـراة القيـام بـه هـو هـذا الـدور (الفـن) الـذي يعجـز عـن ادائـه غيرهابمثـل هـذه الروعـة والجـمال.

وعليـه ف«لا بـد مـن الاعـتراف بـان قمـة الروعـة والجـمال في العـالم تلـك المـراة التـي ترضـع صبيهـا لبـن الصحـة والسـلامة».

وحينئـذ، فانـه ينبغـي عـلى التعاليـم التـي تريـد صالـح المـراة والدفـاع عـن حقوقهـا والوقـوف الى جانبهـا وقفـة انسـانية اصوليـة، ينبغـي لهـا ان تلتفـت الى عمـق هـذا البعـد – دور الامومـة – في حيـاة المـراة، وعـدم التضحيـة بـه مـن اجـل بعـض الامـور الاجتماعيـة سريعـة الـزوال.

لقـد اكـد الإسـلام كثـيرا عـلى دور الام وعظمتـه لتسـتوثق وتسـتحكم علاقـة الابنـاء بقطـب الرحـى في الاسرة وتقـوى عـرى النظـام العائـلي اكثـر فاكثـر، كـما انـه نجـد في كلـمات المخلصـين مـن المفكريـن الذيـن شـغلوا بالهـم

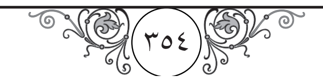




كثيرا من اجل ايجاد حلول افضل تحسن من الاوضاع في المجتمعات البشرية توصيات كثيرة للنساء بعدم التغافل عن الدور الاصيل (دور الامومة)، كما حذروهن من الوقوع تحت تاثير الاعلام والتهريج في رفع شعار مساواة المراة للرجل لئلا يكون ذلك معوقا وحجرعثرة في طريق ادائها للدور المذكور بصورة تامة وصحيحة، حيث ان ترك العمل بذلك خسارة فادحة يكون من الصعب تفاديها بشيء، تلك الخسارة التي كثيرا مانجد لها نماذج في الاطفال الذين يفقدون حنان الام واحضانها الدافئة، او تلك الاسر التي تهدمت بمعول الطلاق.

لا شك ان المرأة تشكل نصف المجتمع، ولا شك أن دورها السياسي والاجتماعي لا يقل عن الرجل وإن اختلفت المواقع والمهام.. ومع ان حضارة اليوم تتباين مع الإسلام في كثير من عناصرها ومكوناتها، لكنها في الوقت نفسه تلتقي معه في كثير من المفردات، سواء تلك التي اقتبست من الإسلام، أم كانت نتاجاً للتطوّر العلمي والتقني، ظناً منهم ان التقدم العلمي المذهل للغرب والانتكاسات الكثيرة لبلاد الإسلام في العصور المتأخرة ناشيئة من ثقافة البلدين في جميع زواياها، فخلعوا ثقافة الإسلام وحاولوا تقمص ثقافة الغرب في كل شيء حتى المأكل والمشرب والملبس...... الخ.

إن ملاحظة سريعة لآيات القرآن الكريم وروايات السنة المطهرة تسوقنا إلى ضرورة حفظ الثوابت وفي نفس الوقت مراعاة التطوّر والارتقاء بشكل متوازن ودقيق.



قـال الله تعـالى (الذيـن يسـتمعون القـول فيتبعـون احسـنة) الزمـر: ١٨، مـن أي طـرف كان هـذا القـول الحسـن؟

وفي الحديـث الشريـف (خـذ الحكمـة ولـو مـن فـم كافـر)، فـإذا نطـق الكافر بكلمـة حـق فلـماذا نرفضهـا؟ أليـس العقـل والـشرع يأمـران باتبـاع الطريقـة الصحيحـة؟ وفي الحديـث (الحكمـة ضالـة المؤمـن اينـما وجدهـا أخذهـا).

الملامح الرئيسية لخطبة النبى (صلى الله عليه وآله) بيوم الغدير

كان مـن عـادات العـرب أنهـم إذا أرادوا الإعلان عن رئاسـة شـخص على قبيلـة أو طائفـة منهـم، وضعـوا عمامـةً عـلى رأسـه. وفي الحـالات المهمـة يقـوم كبـير القـوم بوضـع عمامتـه عـلى رأس ذلـك الشـخص، لإظهـار شـدة اعتـماده عليـه ووثاقتـه بـه. ولهـذا رأينـا الرسـول الأعظـم (صـلى الله عليـه وآلـه) في يـوم الغديـر أهـدى عمامتـه التـي تسـمى «السـحاب» ووضعهـا عـلى رأس أميرالمؤمنـين (عليـه السـلام) وألقـى بحنكهـا عـلى كتفـه وقـال: «العمامـة تـاج الملائكـة»

وقـد تحـدَّث أميرالمؤمنـين (عليـه السـلام) عـن ذلـك فقـال: ألبسـني رسـول الله (صـلى الله عليـه وآله)عمامتـه واضعـاً طرفهـا عـلى كتفـي وقـال لي: «ان الله تعـالى أمدَّنـى فى بـدر وحنـين بملائكـة عـلى رؤوسـهم مثـل هـذه العمامـة».

تسليم النبى (صلى الله عليه وآله) مواريث الأنبياء إلى صاحب الولاية.

بعـد الانتهـاء مـن مناسـك الحـج نـزل الأمـر الإلهـي عـلى النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) بهـذا الخطـاب: «قـد قضيـت نبوتـك واسـتكملت أيامـك، فاجعـل



الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند على بن أبى طالب، فانى لا أترك الأرض الا ولى فيها عالم تعرف به طاعتى وتعرف ولايتى».

وتتكون آثار علم الأنبياء من صحف آدم وإبراهيم والتوراة والإنجيل، وكل ما نزل من عند الله تعالى على أنبيائه من صحف، وعصا موسى، وخاتم سليمان، وغيرها من المواريث التي لم تكن إلا لدى حجج الله تعالى في الأرض، حتى وصلت إلى خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) لتكون بعده عند أوصيائه (عليهم السلام).

فدعا النبي (صلى الله عليه وآله) أميرالمؤمنين (عليه السلام) وأودعه تلك الودائع الإلهية، ومنه انتقلت إلى الأئمة من ذريته حتى وصلت إلى الإمام الثاني عشر بقية الله الأعظم (عليه السلام) وهي الآن في حرزه.

ربما استغرقت خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في الغدير نحو ساعة، لأنها كانت شاملة ومفصلة. وقد قسَّمناها إلى عشرة نقاط اساسية[1]:

١. العبودية والتسليم لله

في الفقرة الأولى من الخطبة بدأ النبي (صلى الله عليه وآله) بحمد الله والثناء عليه، ذاكراً صفاته وقدرته ورحمته، شاهداً على نفسه بالعبودية المطلقة أمام الذات المقدسة، فقال: «وأومن به وبملائكته وكتبه ورسله. أسمع لأمره وأطيع وأبادر الى كلِّ ما يرضاه، وأستسلم لما قضاه.

---

(١) السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج٤، ص٤١٤-٤٢٨، دار المعرفة، بيروت، ط١٩٧١.

٢. ثـم ألفـت النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) المسـلمين إلى الهـدف الأصـلي من الخطبـة، وأخبرهـم أن الوحـي نـزل عليـه بهـذه الآيـة: (يـا أيهـا الرسـول بلِّـغ مـا أنـزل اليـك مـن ربـك وان لم تفعـل فـما بلَّغـت رسـالته والله يعصمـك مـن النـاس)، وأني يجب عـليَّ أن أبلغكـم الأمـر الإلهـي في عـلي بـن أبي طالـب، وإن لم أفعـل فلايؤمـن عـليَّ مـن عـذاب الله وعقابـه.

ثـم قـال (صـلى الله عليـه وآلـه): إن جبرئيـل هبـط إلي مـراراً ثلاثـاً يأمـرني عـن السـلام ربي وهـو السـلام أن أقـوم في هـذا المشـهد، فأعلـم كل أبيـض وأسـود أن عـلي بـن أبي طالـب أخـي ووصيـي وخليفتـي عـلى أمتـي والإمـام مـن بعـدي الـذي محلـه مني محـل هـارون مـن موسـى، إلا أنـه لا نبـي بعـدي، وهـو وليكـم بعـد الله و رسـوله وقـد أنـزل الله تبـارك وتعـالى عـليَّ بذلـك آيـة مـن كتابـه: (انـما وليكـم الله ورسـوله والذيـن آمنـوا الذيـن يقيمـون الصلـوة ويؤتـون الزكـوة وهـم راكعـون)، وعـلي بـن أبي طالـب الـذي أقـام الصـلاة وآتـى الـزكاة وهـو راكـعٌ يريـد الله عـز وجـل في كل حـال. ثـم قـال: لايـرضى الله منـى الا أن أبلِّـغ مـا أنـزل الله اليَّ فى حـق عـليٍّ.

٣. وفي الفقـرة الثالثـة أعلـن النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) إمامـة اثنـي عـشر إمامـاً مـن عترتـة إلى آخـر الدنيـا، لكـي يقطـع بذلـك طمـع الطامعـين بالسـلطة بعـده نهائيـاً. ومـن أجـل أن يـدرك النـاس أهميـة هـذه المسـألة قـال (صـلى الله عليـه وآلـه): إنـه آخـر مقـام أقومـه في هـذا المشـهد، فاسـمعوا وأطيعـوا وانقـادوا لأمـر الله ربكـم. فـإن الله عـز وجـل هـو ربكـم ووليكـم وإلهكـم: ثـم مـن دونـه رسـوله محمـدٌ وليكـم القائـم المخاطـب لكـم: ثـم مـن بعـدى عـليٌّ



وليُّكم وامامكم بأمر الله ربكم: ثم الإمامة فى ذريتى من ولده الى يوم القيامة، يوم تلقون الله ورسوله.

٤. من كنت مولاه فهذا علي مولاه

عند ما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) واقفاً على المنبر إلى جانب النبي (صلى الله عليه وآله) أدنى منه بمرقاة، قال (صلى الله عليه وآله) له: «ادن مني». فاقترب منه أمير المؤمنين (عليه السلام) فأمسك النبي (صلى الله عليه وآله) بعضديه ورفع علياً (عليه السلام) من مكانه حتى حاذت قدماه ركبة النبي (صلى الله عليه وآله) وشاهد الناس بياض إبطيهما، وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

وبعد هذا المقطع من الخطبة الشريفة أعلن النبي (صلى الله عليه وآله) للناس نزول ملك الوحي عليه يخبره عن إكمال الدين وإتمام النعمة بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام): «اللهم إنك أنزلت الآية في عليٍّ وليِّك عند تبيين ذلك ونصبك إياه لهذا اليوم: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً)(١): وقلت: (ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين). (٢) اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً أني قد بلَّغت.

٥. قال النبي (صلى الله عليه وآله): معاشر الناس، انما أكمل الله عز وجل دينكم بامامته: فمن لم يأتمَّ به وبمن يقوم مقامه من ولدي من

صلبه إلى يوم القيامة، والعرض على الله عز وجل فاولئك الذين هبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. نبيكم خير نبيٍّ ووصيُّكم خير وصيٍّ، وبنوه خير الأوصياء[1].

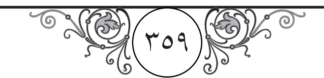
٦- تحذير المسلمين من مؤامرة السقيفة

بعد أن تلا النبي (صلى الله عليه وآله) عدة آيات التحذير من العذاب واللعنة، قال: بالله ما عنى بهذه الآية إلا قوماً من أصحابي أعرفهم بأسمائهم وأنسابهم وقد أمرت بالصفح عنهم، لأن الله عز وجل قد جعلنا حجةً على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين والغاصبين من جميع العالمين.

وفي هذا المقطع أشار (صلى الله عليه وآله) إلى خلق نوره ونور أهل بيته وقال: معاشر الناس، النور من الله عز وجل مسلوكٌ فيَّ، ثم في علي بن أبي طالب، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي، الذي يأخذ بحق الله... »، ثم أشار (صلى الله عليه وآله) إلى أعدائهم الأئمة الذين يدعون إلى النار وقال: معاشر الناس، إنه سيكون من بعدي أئمةٌ يدعون إلى النار، ويوم القيامة لاينصرون.

---

(١) روضة الواعظين: ج ١ ص ٨٩. الاحتجاج: ج ١ ص ٦٦. اليقين: ص ٣٤٣ باب ١٢٧. نزهة الكرام: ج ١ ص ١٨٦. العدد القوية: ص ١٦٩. التحصين: ص ٥٧٨ باب ٢٩ من القسم الثانى. الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٦٩، نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبرى. نهج الإيمان: ص ٩٢ نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبرى. بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٠١ ٢٠٧، إثبات الهداة: ج ٢ ص ١١٤، ج ٣ ص ٥٥٨.





٧- فريضة مودة أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم

ثـم بـيَّن النبى (صـلى الله عليـه وآلـه) بـركات ولايـة أهـل البيـت (عليهـم السـلام) ومحبتهـم، وتـلا عـلى النـاس سـورة الحمـد التـي هـي أم الكتـاب وقـال: فيَّ نزلَـت وفيهـم والله نزلـت، ولهـم عمَّـت وإياهـم خصَّـت. اولئـك أوليـاء الله الذيـن لا خـوفٌ عليهـم ولا هـم يحزنـون... ».

ثـم تـلا (صـلى الله عليـه وآلـه) آيـات مـن القـرآن الكريـم تتحـدث عـن أصحـاب الجنـة وأوضـح أن المقصـود بهـم الشـيعة وأتبـاع أهـل البيـت (عليهم السـلام). ثـم تـلا (صـلى الله عليـه وآلـه) آيـات عـن أصحـاب النـار وصرح بـأن المـراد بهـم أعـداء أهـل البيـت (عليهـم السـلام).

وممـا قالـه (صـلى الله عليـه وآلـه): ألا إن أولياءهـم الذيـن يدخلـون الجنـة بسـلام آمنـين، تتلقاهـم الملائكـة بالتسـليم يقولـون: «سـلامٌ عليكـم، طِبتـم فادخلوهـا خالديـن».

٨- بشارة النبى (صلى الله عليه وآله) بالإمام المهدى عجل الله فرجه

وفي مقطـع آخـر مـن خطبـة الغديـر تطـرَّق النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) إلى ذكـر الإمـام المهـدي أرواحنـا فـداه، فذكـر أوصافـه وبـشَّر العـالَمَ بالعـدل والقسـط عـلى يـده، فقـال:ألا إن خاتـم الأئمـة منـا القائـم المهـدي. ألا إنـه الظاهـر عـلى الديـن. ألا إنـه المنتقـم مـن الظالمـين. ألا إنـه فاتـح الحصـون وهادمهـا. ألا إنـه غالـب كل قبيلـة مـن أهـل الـشرك وهاديهـا. ألا إنـه المـدرك بـكل ثـار لأوليـاء الله. ألا إنـه النـاصر لديـن الله.

٩- أمر النبى (صلى الله عليه وآله) المسلمين ببيعة على (عليه السلام)

ثـم تطـرَّق إلى مسـألة البيعـة وبـيَّن أهميتهـا وقيمتهـا وقـال (صـلى الله عليـه وآلـه): فأمـرت أن آخـذ البيعـة منكـم والصفقـة لكـم بقبـول مـا جئـت بـه عـن الله عـز وجـل في عـلي أميرالمؤمنـين والأوصيـاء مـن بعـده الذيـن هـم منـي ومنه إمامـةً فيهـم قائمـة، خاتمهـا المهـدي إلى يـوم يلقـى الله الـذي يقـدِّر ويقـضي.

ألا وإني قـد بايعـت الله، وعـلي قـد بايعنـي، وأنـا أخذكـم بالبيعـة لـه عـن الله عـز وجـل. ثـم قـرأ: (ان الذيـن يبايعونـك انـما يبايعـون الله، يـد الله فـوق أيديهـم. فمـن نكـث فانـما ينكـث عـلى نفسـه ومـن أوفى بـما عاهـد عليـه الله فسـيؤتيه أجـراً عظيـماً). (١)

١٠. الايمان والرضا بالأئمة الاثنى عشر من العترة

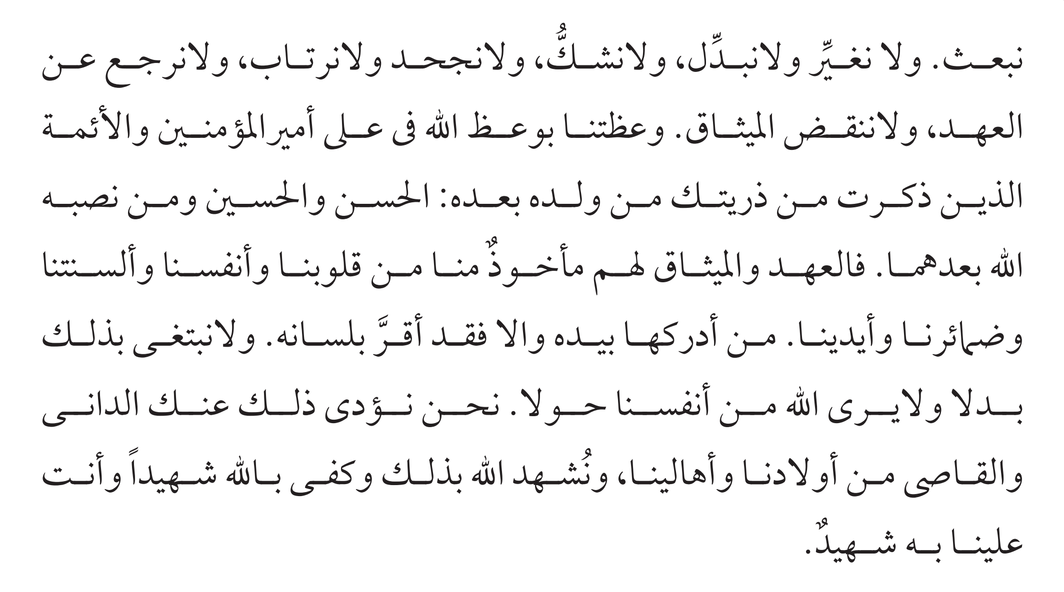
في آخـر فقـرة مـن الخطـاب النبـوي أخـذ (صـلى الله عليـه وآلـه) في أمـر البيعـة قائـلا: معـاشر النـاس، إنكـم أكثـر مـن أن تصافقـوني بكـف واحـد في وقـت واحـد، وقدأمـرني الله عـز وجـل أن آخـذ مـن ألسـنتكم الإقـرار بـما عقَّـدت لعـليٍّ أميرالمؤمنـين ولمـن جـاء بعـده مـن الأئمـة منـي ومنـه عـلى مـا أعلمتكـم أن ذريتـي مـن صلبـه. فقولـوا بأجمعكـم:

انـا سـامعون مطيعـون راضـون منقـادون لمـا بلَّغـت عـن ربنـا وربـك فى أمـر امامنـا عـلى أميرالمؤمنـين ومـن ولـدت مـن صلبـه. نبايعـك عـلى ذلـك بقلوبنـا وأنفسـنا وألسـنتنا وأيدينـا. عـلى ذلـك نحيـى وعليـه نمـوت وعليـه

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٨. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ٣٠٩.




نبعث. ولا نغيِّر ولانبدِّل، ولانشكُّ، ولانجحد ولانرتاب، ولانرجع عن العهد، ولانقض الميثاق. وعظتنا بوعظ الله فى على أميرالمؤمنين والأئمة الذين ذكرت من ذريتك من ولده بعده: الحسن والحسين ومن نصبه الله بعدهما. فالعهد والميثاق لهم مأخوذٌ منا من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وضمائرنا وأيدينا. من أدركها بيده والا فقد أقرَّ بلسانه. ولانبتغى بذلك بدلا ولايرى الله من أنفسنا حولا. نحن نؤدى ذلك عنك الدانى والقاصى من أولادنا وأهالينا، ونُشهد الله بذلك وكفى بالله شهيداً وأنت علينا به شهيدٌ.

فاستجاب المسلون وفعلوا ما أمرهم به النبي (صلى الله عليه وآله) وردَّدوا ما قاله، وتمَّت البيعة العامة بهذه الصورة، والنبي (صلى الله عليه وآله) واقف على المنبر.

نحن نريد أن نبايع عليًا يوم الغدير، عليٌ ماذا يريد منّا بالوقت الحاضر

عليٌ يريد منّا أن نكون دعاة له ولسيرته ولحياته، ولا يريد أن ندعو له بخطاباتنا ولا بكتبنا ولا بألسنتنا فقط، يريد أن ندعو له من خلال سلوكنا، عليٌ كما ورد عن الإمام الصادق: كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم، كونوا زينًا لنا ولا تكونوا شينًا علينا، أنا عندما أقول: «بايعتُ عليًا» يجب أن يبايعه سلوكي قبل أن يبايعه لساني، أنا قبل أن أقول: «أشهد أنّ عليًا وليّ الله» يجب أن يشهد بذلك سلوكي قبل أن يشهد بذلك لساني، يجب أن تنعكس هذه الشهادة الثالثة على عملي وعلى سلوكي وعلى حياتي، عليّ في يوم الغدير ألا أظهر فقط أنّ عليًا ولي الله، بل عليّ في يوم الغدير

أن ألتـزم بـأن أكـون علويًـا في سـلوكي، علويًـا في عمـلي، علويًـا في منطلقـاتي، يجـب أن يعيـش عـليٌ في قلبـي، ويعيـش عـليٌ في ضمـيري، ويعيـش عـليٌ في سـلوكي وحـركاتي، عـليٌ هكـذا يريـدني.

ورد عـن الإمـام العسـكري سـلام الله عليـه: إنّ الرّجـل منكـم ليكـون في القبيلـة فيكـون زينهـا يعنـي أفضـل شـخص فيهـا، فيكـون زينهـا، أدّاهـم للأمانـة، وأقضاهـم للحقـوق، وأصدقهـم في الحديـث، وأورعهـم في الديـن الشـيعي المبايـع لعـلي دائـمًا هـو المتميّـز، دائـمًا هـو النمـوذج المتميّـز، شـيعة عـلي دائـمًا هـم المتميّـزون، المتميّـزون بأخلاقهـم، المتميّـزون بحسـن سـلوكهم، المتميّـزون بنظافـة قلوبهـم، المتميّـزون بطهـارة جوانحهـم، المتميّـزون بصدقهـم في المعاملـة، يجب أن يكـون الشـيعي المبايـع لعـلي متميّـزًا معروفًـا بين المسـلمين بأنّـه إنسـانٌ صـادقٌ، إنسـانٌ طاهـرٌ، إنسـانٌ ملتـزمٌ بالصـدق والأمانـة وقضـاء الحقـوق، هـذه هـي البيعـة الحقيقيّـة، وهـذا هـو المدلـول الحقيقـي لبيعـة عـلي.

الآن نحـن عندنـا مشـكلة يعيشـها الكثـير منّـا، هـذه لا تختـصّ بنـا كشـيعة، لا، عامـة ككثـير مـن النـاس، لكـن يجـب نحـن كشـيعة ألا تكـون عندنـا، «مشـكلة التسـيّب وعـدم الانضبـاط تحـت النظـام الحافـظ للأعـراض والأنفس والأمـوال»، هنـاك أنظمـة شرّعـت ومعـروفٌ لمـاذا شرّعـت، شرّعت هـذه الأنظمـة وقنّنـت هـذه الأنظمـة لحفـظ الأعـراض، لحفـظ الأنفـس، لحفـظ الأمـوال، أنـا كإنسـان مبايـع لعـلي عـليّ أن أنتظـم بهـذه الأنظمـة لأنّ الانتظـام تحتهـا يعنـي مراعـاة الهـدف الأعـلى وهـو حفـظ النفـوس والأعـراض والأمـوال، التسـيّب مـن أنظمـة المـرور، كثـيرٌ منّـا مـن أبنائنـا وإخواننـا لا



يـالي بمراعـاة أنظمـة المـرور، لا يـالي بمراعـاة الأنظمـة المجعولـة في الشـوارع، لمـاذا؟! «والله مـا أكـو ضرورة وأنـا الآن مسـتعجل ومـا عنـدي وقـت.. » وإلى آخـر الأعـذار والمـبرّرات! أنـت تعـرف أنّ هـذه الأنظمـة لم تُوضَـع اعتباطًـا وإنّـما هـي أنظمـة وُضِعَـت لحفـظ الأنفـس ولحفـظ الأمـوال، التفريـط في إتّبـاع هـذه الأنظمـة ومحاولـة التسـيّب والفـرار عـلى هـذه الأنظمـة يعنـي عـدم مبالاة بالهـدف منهـا، وهـو حفـظ الأعـراض وحفـظ الأمـوال وحفـظ الأنفـس، لمـاذا لا نـربّي في أنفسـنا روح الانتظـام؟! لمـاذا نـربّي أنفسـنا عـلى روح التسـيّب وروح اللامبـالاة وروح عـدم الاعتنـاء؟! لمـاذا لا نعلّـم أنفسـنا ونـدرّب أنفسـنا عـلى أن نكـون نظاميّـين؟! عـلى أن نكـون منتظمـين تحـت النظـام الحافـظ للأعـراض والأنفـس والأمـوال؟

التسـيّب مثـلاً مـن أنظمـة العمـل، التسـيّب مثـلاً مـن أنظمـة المدرسـة، أنظمـة الأعـمال وُضِعَـت لقضـاء حقـوق النـاس وحوائـج النـاس، الكثـير مـن الوظائـف إنّـما جُعِلَـت هـذه الوظائـف لقضـاء حقـوق النـاس ولخدمـة المجتمـع، التفريـط في وقـت العمـل، التسـيّب مـن نظـام العمـل، عـدم مراعـاة أنظمـة العمـل، عـدم مراعـاة أنظمـة الدراسـة، عـدم مراعـاة قوانـين الدراسـة.. هـذه الـروح «روح التسـيّب، روح اللامبـالاة، روح عـدم الاعتنـاء، المهـم أنـا أن أتحـرر مـن هـذه الأنظمـة.. » هـذه الـروح روح التسـيّب تجعلـك بمظهـر غـير لائـق أمـام المجتمـع الإسـلامي، المجتمـع الإسـلامي يأخـذ عليـك نظـرة أنّـك إنسـانٌ غـير نظامـي، أنّـك إنسـانٌ متسـيّبٌ، أنّـك إنسـانٌ تعيـش اللامبـالاة وعـدم الاعتنـاء، أنـت إذا أردت أن تكـون أنموذجًـا متميّـزًا بـين



فئات المجتمع الإسلامي بحيث تجذبهم بتميّزك وبسلوكك إلى نضارة المذهب الشيعي وإلى نقاء المذهب الشيعي فعليك أن تكون نظاميًا، عليك أن تكون منتظمًا تحت إطار النظام الحافظ للأعراض والأنفس والأموال حتى تكون مظهرًا متميّزًا وحتى تكون شخصًا معروفًا بالانتظام والسير وراء النظام.

إذن فبالنتيجة: بيعة علي بن أبي طالب لا تنحصر في أن تكون فقط وفقط قولاً لسانيًا وكلامًا خطابيًا وإنّما هي التزامٌ وسلوكٌ عمليٌ يجعلك علويًا بمرور الوقت إذا درّبت شخصك وروحك على أن تكون علويًا ملتزمًا بسيرة علي بن أبي طالب و عليٌ مع الحق، والحق مع علي.

المصادر

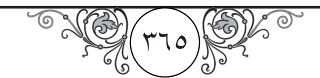
١- الأمالي، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المولود سنة: ٣٠٥ هجرية بقم، و المتوفى سنة: ٣٨١ هجرية، الطبعة السادسة، سنة: ١٤١٨ هجرية، طهران / إيران.

٢- البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، ص٢٥١-٢٥٢.

٣- بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧. أمالي الشيخ المفيد: ص ٥٧.

٤- بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٨. عوالم العلوم: ج ١٥/ ٣ ص ٣٠٩.

٥- تهذيب الأحكام: ٣ / ١٤٣، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المولود بخراسان سنة: ٣٨٥ هجرية، و المتوفى بالنجف الأشرف سنة: ٤٦٠ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية /





شمسية، طهران / إيران.

٦- روضة الواعظين: ج ١ ص ٨٩. الاحتجاج: ج ١ ص ٦٦. اليقين: ص ٣٤٣ باب ١٢٧. نزهة الكرام: ج ١ ص ١٨٦. العدد القوية: ص ١٦٩. التحصين: ص ٥٧٨ باب ٢٩ من القسم الثانى. الصراط المستقيم: ج ١ ص ١٦٩، نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبرى. نهج الإيمان: ص ٩٢ نقلا عن كتاب الولاية تأليف المؤرخ الطبرى. بحار الأنوار: ج ٣٧ ص ٢٠١ ٢٠٧، إثبات الهداة: ج ٢ ص ١١٤، ج ٣ ص ٥٥٨.

٧- السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ج٤، ص٤١٤-٤٢٨، دار المعرفة، بيروت، ط١٩٧١.

٨- عيد الغدير في عهد الفاطميين. محمد هادي الاميني. مكتبة الروضة الحيدرية

٩- الغدير.. في الكتاب والسُّنّة والأدب.. الشيخ عبدالحسين أحمد الأمينيّ (ت ١٣٩٠ هـ). دار الكتب الإسلاميّة طهران. الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٨هـ.

١٠- كتاب الغدير، ج١، ص١٠- مكتبة مدرسة الفقاهة- نسخة محفوظة ١٣ نوفمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

١١- وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة): ١٤ / ٣٨٨، للشيخ محمد بن الحسن بن علي الحُر العاملي، المولود سنة: ١٠٣٣ هجرية بجبل عامل لبنان، و المتوفى سنة: ١١٠٤ بمشهد الإمام الرضا و المدفون بها، طبعة: مؤسسة آل البيت، سنة: ١٤٠٩ هجرية، قم / إيران.



المحتويات